كرسى الوزارة

عبد العاطى حامد





كتب صدرت للمؤلف
طبع ٤ مرات
ونفدت جميع
طبعاته
مغامرات صحفي
في قاع المجتمع المصري
حكايتي مع الجن والعفاريت!
نفدت
جميع
طبعاته

كرسى الوزارة

اهداءات ٢٠٠٣

الدكتور/ حافظ يوسف

الإسكندرية

الطبعة الأولى
صفر ١٤٠٦هـ - نوفمبر ١٩٨٥م



اهداء من دكتور
حافظ يوسف

عبد العاطي حامد

الغلاف بريشة : مصطفى حسين
رسوم داخلية : جمال هلال
الخطوط بريشة : عبد الله المراغي

الإخراج الفني : شكري رشـــدي

المقدمة

كرسى الوزارة ، هو أعجب كرسى فى العالم ، الذى يجلس عليه تسلط عليه الأضواء ، ويكثر بالطبع الحاملون والمنافقون ، والوزير الناجح كما أجمع جميع الوزراء ، هو الذى يعرف أن كرسى الوزارة كرسى غير خالد .. والوزير يجب أن يعمل لكى يتكلم عمله بعيدا عن الاستعراضات والأضواء والفلاشات .. ولقد أتاحت لى الظروف أن أتعرف على أشخاص عاديين ، استطاعوا أن يحفروا طريقهم بأظافرهم فى الصخر.. وساعدهم الحظ حتى وصلوا الى كرسى الوزارة .. !!

* * * *

وقد كان من المفروض أن يصدر هذا الكتاب منذ سنتين على الأقل .. ولكن زحمة الحياة وشغلها الشاغل أخذانى بعيدا .. وعندما كنت أنوى أن أركز لكى يصدر هذا الكتاب بأسرع وقت ممكن ، كنت أنشغل بشىء ما ، الى درجة أن أحد الاصدقاء الذين أعتز بهم قال لى وهو يضحك : يبدو أن العفاريت التى كتبت عنها فى كتابك السابق « حكايتى مع الجن والعفاريت » يعاكسونك ولا يريدون أن يصدر لك كتاب آخر.. فكلما نويت وعزمت على انهاء الكتاب أنشغل فى شىء ما .. الى أن أتيحت لى الفرصة أخيرا .. وركزت لكى يصدر هذا الكتاب .. وكل شىء بميعاد .. وبأمر الله .. !!

وفى هذا الكتاب مجموعة كبيرة من الأسرار والأخبار والحكايات ، تعرض وتعرف لأول مرة .. وحرصت ألا أذيع

ما فى جعبتى مرة واحدة ، ولكن بالقدر المسموح .. فليس كل ما يعرفه الصحفى ينشره وذلك اما حفاظا على المصدر نفسه ، واما أن الوقت لم يحن بعد لنشر هذه الأسرار .. وكل « وقت وله آذان » كما يقولون .. !!

* * * *

وبعد أن انهيت من تأليف الكتاب وجدت أن الأحداث كثيرة وأنها تزيد عن كتاب .. فالذكريات متزاحمة فى ذهنى ، والوزراء والمسئولون الذين قابلتهم وعرفتهم وصادقتهم كثيرون ، لأن شعارى الذى أومن به : أنه لابد من كسب صديق كل يوم .. وكانت مصادرى جميعا من الأصدقاء .. عشت معهم فى أفراحهم وأحزانهم فى الأزمات والعقبات .. ووجدت أننى لو كتبت كل هذه الأحداث سيكون حجم الكتاب أكثر من ألف صفحة ، ولذلك فكرت أن يكون هذا الكتاب باسم « كرسى الوزارة » والكتاب الثانى « ديوان الوزارة » .. والفرق بينهما أن الأول يتحدث عن كيفية وصول المسئول الى كرسى الوزارة ، أما الكتاب الثانى الذى سيصدر قريبا فسيتحدث عن : ماذا فعل المسئول بعد كرسى الوزارة .. وماهى القرارات التى اتخذها الوزير ونجحت وكان لها صدى ، وماهى القرارات التى ندم عليها .. وهل لو عاد من جديد الى كرسى الوزارة .. سيتخذ نفس هذه القرارات .. ام أن القرارات تتغير بتغير الظروف .. !!

* * * *

ولقد اخترت فى كتاب « كرسى الوزارة » مجموعة من

السادة رؤساء ونواب الوزارة والوزراء، أما فى «ديوان الوزارة» فهناك مجموعة كبيرة حرصت أن تكون أسماؤهم مفاجأة فى الكتاب الجديد.. أثروا فى الحياة السياسية ولعبو دورا كبيرا..

* * * *

وأرجو أن يكون كتاب «ديوان الوزارة» بما فيه من معلومات مكملا لكتاب «كرسى الوزارة».. حيث سيكون فيه الجزء الثانى من مذكرات صفوت الشريف وزير الاعلام وحسن أبوباشا وزير الحكم المحلى..

* * * *

وانى أومن بأن دنيا الكاتب هى أبناؤه من الكتب.. تعيش للتاريخ ويرجع اليها من يريد معرفة الحقيقة.. فالكتب تخلد كاتبها.. وفى رأيي أن الكاتب بما قدمه للمكتبة ولقرائه يخلد دائما بمقدار عدد أبنائه فى عالم الأدب والصحافة والمسرح والسينما.. فمعظم الأسماء اللامعة الآن فى سماء هذا العالم هم الذين أثروا المكتبة بالعديد من مؤلفاتهم.. فلمعوا بالكتب، ولمعت بهم الكتب..

وأرجو أن يكون ما كتبته فى كتابى «كرسى الوزارة» رافدا صادقا للذين يريدون معرفة الحقيقة.. !!

فاللهم قوّنى، والهمنى، وارشدنى، الى الطريق السليم....

عبد العاطى حامد

وأثناء جلوسنا فى الاستراحة الخاصة بمطار موسكو لكى نستقل الطائرة الى سيمفروبيل قال حافظ بدوى : الواحد عامل حساب المقابلة دى .. بودجورنى بيقولوا عنه أنه راجل عصبى وحاد المزاج وربما يزيد عن خده وفى هذه الحالة ... !!

وسكت حافظ بدوى

قلت : وفى هذه الحالة انت تمثل مصر.. وأعتقد أن ردك انت الآخر سيكون حاسما .

ووصلنا سيمفوربيل على الحدود بين روسيا وتركيا وقابلنا شاب صغير مسئول عن الحزب فى سيمفوربيل اسمه جورباتشيف ..

حافظ بدوى
كفاحٌ تحدَّى
الزمن ..!



فى أحد أيام الستينات اتصل بى الأخ الصديق حسن سعد المصور بمكتب أخبار اليوم فى طنطا وقال لى : لماذا لا تأتى الى طنطا لكى اراك ، وتزور السيد البدوى وأنا دائما أتفاءل بالأخ حسن سعد وكنت اسميه « الشيخ حسن » فقد قام معى بعمل موضوع عن الشيخ عطعوط ، والذى تنكرت فيه فى شخصية الشيخ عطعوط وقد كان يحمل كيس البخور وفى داخله كاميرا مختفية وكنت عندما أقول له : أطلق البخور ياشيخ حسن ، معناه التقط الصورة ونجح الموضوع نجاحا باهرا ، ورافقنى ايضا فى موضوع عمال التراحيل وذهبت الى مديرية التحرير وأنا متنكر فى زى عامل تراحيل ، وكان يتبعنى ليصورنى ..

موضوعات كثيرة كان حسن سعد هو القاسم المشترك معى وكنت استريح معه وأطلب ان يسافر معى كثيرا .. ومرة طلبته للسفر الى سيناء وابو رديس وكانت رحلة شاقة وطويلة ، ومرة أخرى ذهبت معه الى مدينة الطور لكى نستقبل اولادنا العائدين من اليمن .. موضوعات وعمل .. وعمر طويل وحب اكنه للشيخ حسن .. ولم اكذب خبرا فقد كنت فى حاجة الى هذه الراحة الاجبارية وجهزت حقيبتى وفرحت لاننى سأزور السيد البدوى ، فأنا دائما اتفاءل به وبالسيدة نفيسة رضى الله عنها ، وأستأذنت الجريدة أن اسافر الى طنطا فوافقوا بشرط أن أقوم بعمل عدة تحقيقات صحفية فى الغربية ووسط الدلتا .. وذهبت الى طنطا .. وصلتها فى المساء فزرت السيد البدوى ونمت ليلتها فى منزل حسن سعد ، وفى الصباح الباكر ذهبنا الى كفر الشيخ وهناك قصدنا المحافظة لنقابل المحافظ واستقبلنى وقتها سكرتير المحافظ رياض قابيل ـــ مدير ميناتورز للسياحة الآن ـــ وكان سكرتيرا خاصا للسيد المحافظ وشعرت أن

رياض أخ وصديق منذ البداية وأصبح صديقى الى الآن ، وطلبت منه مقابلة السيد المحافظ فقابلني بالمحافظ وكان وقتها اللواء جمال حماد وتعرفت بالمحافظ وكانت ومازالت لديه موهبة صحفية أدبية .. وكانت مقابلة المحافظ لنا رائعة ولم يتركنا نرجع طنطا وأصر أن ننام ليلتها فى كفرالشيخ وسهرنا الليل بطوله معه نتكلم فى الأدب وفى السياسة ، وفى الحكم المحلى ، واجريت حديثا طويلا مع المحافظ الأديب جمال حماد « وهو يعمل مؤرخا يكتب فى الصحف والمجلات الآن » وعدت الى القاهرة وكتبت التحقيق ونشرته فى اخبار اليوم .. وتكررت رحلاتى وتوطدت الصداقة بيني وبين المحافظ الى أن فكر المحافظ أن ينفذ فكرة تسويق السمك تعاونيا وذلك بعد أن لاحظ المحافظ الاقطاع السمكي المتفشى فى بحيرة البرلس وفى محافظة كفرالشيخ بصفة عامة وبعد اعلان التسويق ذهبت الى كفر الشيخ وكان معي المرحوم الأستاذ رشاد الشبرابخومي فقد كان لى أكثر من أخ وأكثر من صديق .. وكان فى أحيان كثيرة بمثابة الوالد يحيطنى برعايته وبحنانه .. فقد كان رشادا بحق .. وركبنا مع المحافظ الى بحيرة البرلس وكانت مظاهرة بحرية رائعة هتف فيها الصيادون للمحافظ ، وتأثر الأستاذ رشاد الشبرابخومى بهذه المظاهرة خصوصا أن المحافظ أخذنا لنمر على قرى صغيرة من قرى الصيادين « كالخاشعة » « والشخلوبة » من الاسماء التى عرفتها وهى على شمال السماء كما يطلقون عليها ، وبعد الاحتفال الرائع فى عرض البحر، عدنا الى كفرالشيخ وجلسنا مع المحافظ وفى المساء حضر الينا رياض قابيل سكرتير المحافظ وقال أرجو أن تأتى الى المحافظة غدا لتقابل بعض أعضاء مجلس الشعب لأنهم يريدون أن يتحدثوا عن التسويق التعاوني للسمك .. وفعلا ذهبت فى اليوم التالى الى مكتب المحافظ وهناك تعرفت لأول مرة بحافظ بدوى عضومجلس الشعب ، قال لى رياض قابيل أن حافظ بك شاعريهوى الأدب ، لديه ملكة الحفظ ، وأخذ الأستاذ حافظ يلقى أمامنا اشعارا وخطبا منها خطبة المحافظ التى

القاها أخيرا فى جموع الصيادين وخطبة أخرى القاها فى ابناء شعب كفرالشيخ بمناسبة ذكرى ثورة يوليو، وتوطدت صلتى بعضو مجلس الشعب حافظ بدوى ، وفى ليلة دعانى لكى نسهر سويا وطلب أن نذهب الى منزله ولكنى طلبت أن يكون اللقاء فى نادى كفرالشيخ ، و بعد أن تناولنا العشاء أخذ حافظ بدوى يقص على رحلة حياته وهى قصة كفاح كبيرة ، فقد ولد ـــ كما يقول ـــ و يده اليسرى بها شلل أو شبه مشلولة وأصبحت فيها عاهة ، وهذا فى الار ياف يعنى الكثير .. يعنى أن الشخص يشعر بنقص بصفة دائمة ولكن حافظ بدوى أراد أن يثبت العكس فيده شللها لايعوقه بل على العكس سيكون حافزا له ، وذاكر التلميذ حافظ بدوى والتحق بمدرسة المعلمين ثم تخرج فيها مدرسا الزاميا كما يطلقون عليه ولكن حافظ بدوى كان يحب الخطابة ولغته العربية سليمة لذا كان منتهى أمله أن يكون محاميا .. وذاكر وحصل على التوجيهية (الثانوية العامة حاليا) ودخل كلية الحقوق ونجح وأصبح مدرس الالزامى محاميا ، و بدأ صيته ينتشر وأخذ المحامى حافظ بدوى كل القضايا وكان مجتهدا يحاول أن يبذل جهدا كبيرا فيها ، كان يأخذ القضايا من الغنى والفقير، الكبير والصغير، كانوا يطلبونه فى عز الليل ـــ كما يقولون ـــ يجدونه جاهزا دائما ، وكان الاستاذ حافظ قاسما مشتركا بين أهالى مركز سيدى سالم ، الى أن جاء موعد أول انتخاب لمجلس الأمة ورشح حافظ بدوى نفسه فيها ونجح نجاحا مبهراً وأصبح مدرس الالزامى المحامى عضوا بمجلس الأمة (الشعب حاليا) وفى المجلس لمع حافظ بدوى وأصبح رئيسا لاحدى اللجان الهامة فى مجلس الشعب وكانت صلتى لا تنقطع بحافظ بدوى ، لأنه صاحب حديث ممتع وقصة كفاحه امتع ، كان يقص على ذكرياته وكفاحه وحياته ونجاحه .. قصصا اذا ذكرتها ستشغل مجلدات ..

* * * *

الى أن حدث أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد دعى الى مؤتمر للاتحاد الاشتراكى وفى مؤتمر عام حضره الرئيس جمال عبد الناصر وجميع رجالات الدولة قام حافظ بدوى والقى خطبة عصماء ـــ كما يقولون ـــ

استطاع أن يبين للرئيس عبدالناصر أنه حافظ للميثاق اذ قال من الميثاق ومن الذاكرة فصولا كبيرة ادهشت الحاضرين ويومها صفق عبدالناصر لحافظ بدوى طويلا ، وفى هذا المؤتمر لمع اسم حافظ بدوى وفى نفس المؤتمر أيضا تكلم الشيخ عاشور وانتقد رجال الاتحاد الاشتراكى فذهب وراء الشمس كما يقولون ..

وفى أول تعديل وزارى كان حافظ بدوى وزيرا للشئون الاجتماعية ، وكان تعيينه مفاجأة للجميع اذ أن الرئيس عبدالناصر احتفظ باسمه حتى آخر لحظة حتى يكون مفاجأة للجميع ..

وقد حدث أن ذهب أحد الوزراء المقربين جدا لعبدالناصر وقال له:ياريس كيف تعين حافظ بدوى وزيرا للشئون ، الوزارة التى تدعو الى تنظيم الأسرة وهو أب لاثنى عشر ابنا وابنة ، فدهش عبدالناصر وقال اثنا عشر ؟ !ليه .. هو ماكينة .. !!

وطلب حافظ بدوى وقال له : انت عندك ١٢ عيل صحيح ؟

قال حافظ بدوى : ايوه ياسيادة الرئيس .

قال : ده مش كثير جدا ياحافظ .

قال : ياريس المال والبنون زينة الحياة الدنيا .

قال عبدالناصر : طيب انت مسئول الآن عن وزارة الشئون الاجتماعية . اوعى تقول الكلام ده .. المفروض أن الوزارة المسئولة منك تدعو الى تحديد النسل ، والمفروض أن تدعو أنت ايضا الى تحديد النسل .

وبالفعل أجرى التليفزيون لقاء مع حافظ بدوى وسأله المذيع أنت وزير للشئون الاجتماعية ولديك اثنا عشر ولدا وبنتا . فقال حافظ ولد واحد اسمه علاء والباقى كله بنات وأنا الآن أعانى من كثرة الاولاد ، وادعو كل اب وكل أم الى تحديد النسل .

* * * *

ونظرا للعلاقة والصداقة بينى وبين حافظ بدوى اعتمدتنى الجريدة مندوبا

للنجريدة فى وزارة الشئون ، وبدأ حافظ بدوى ولأول مرة يوسع قاعدة معرفته بالصحفيين وبعد أن كنت أنا الصحفى الوحيد الصديق لحافظ بدوى أصبح عدد كبير من الصحفيين أصدقاء لحافظ بدوى ، وشعر وزير الشئون ولأول مرة أنه من طبيعة عمل الوزير أن يصادق كل الصحفيين ، وبعد أن عين حافظ بدوى وزيرا للشئون عين الاستاذ فكرى صالح ــ وقد كان موظفا فى كفرالشيخ ــ سكرتيرا خاصا له ثم عين الاستاذ سامى مهران ــ وقد كان وكيل نيابة فى كفرالشيخ ارتبط بعلاقة صداقة بحافظ بدوى ــ عين مديرا لمكتب وزير الشئون الاجتماعية ، وكنت دائم الجلوس فى مكتب فكرى صالح أو سامى مهران ، وبعد أن اشتدت المنافسة بين الصحف الثلاث الأخبار ، الاهرام ، الجمهورية ، علاوة على أخبار اليوم التى كنت أمثلها ، كنت اتصل بحافظ بدوى وزير الشئون يوميا فى منزله لاحصل على الأخبار الخاصة بوزارة الشئون ، واجريت معه أول حديث عندما تولى وزارة الشئون وكان بهذا الحديث كثير من الأخبار ، واتصلت به بعد النشر فاذا بالوزير يقول لى : ياعم عبدالعاطى الصحفيين زعلوا منى علشان الحديث اللى أنت أخذته ، وقالوا اننى اختصصتك بهذا الحديث .

قلت : وما الضرر إذا !!

قال : لا .. فيه ناس نصحونى بأنه لا يجب أن يغضب منى الصحفيون

قلت لحافظ بدوى : والمطلوب الآن

قال : يبقى فيه عدالة . يعنى تتصل بى كل ثلاثة أو اربعة اسابيع اعطيك خبرا أو خبرين .. !!

ووجدتنى اقول له بزعل : شكرا .. شكرا حافظ بك .

* * * *

ولم اتصل به مرة أخرى الا بعد أن قامت حرب سنة ١٩٦٧ وبدأ موضوع المهاجرين .. وكانت تبرعات الأهالى من الذهب والفضة التى بدأتها المرحومة أم كلثوم ثم المرحوم عبدالحليم حافظ ، وبدأ حافظ بدوى يمر على محافظات القناة ومناطق التهجير فى المنوفية والفيوم والصعيد ..

وفى أحد الأيام فوجئت بعامل التليفون يبحث عنى و يقول لى :
ـــ جالك تليفون هام
ـــ قلت : ممن
ـــ قال : السيد الدكتور حافظ بدوى اتصل بك
ـــ قلت : هو قال لك دكتور
ـــ قال : ابدا هو قال حافظ بدوى فقط .. وقال خليه ـــ يقصدنى ـــ يتصل بى فى الوزارة أو فى المنزل ..

وكان منزل الوزير فى ذلك الوقت فى شارع الجيش قبل أن ينتقل الى منزله الحالى أمام المريديان ..

ـــ اتصلت بالوزير وجدته فى الوزارة واذا به يقول لى :
ـــ انت مقاطعنى وللا ايه ؟
ـــ قلت : يعنى .. أنا زعلان
ـــ قال حافظ بدوى : وكان مشهورا بطيبة قلبه ـــ من ايه ؟
ـــ قلت : لما قلت لى إن الصحفيين غاضبون من انك تخصنى باخبار انفراد

ـــ قال : ياشيخ انت لسه فاكر.. ده أنا باحبك زى ما بحب أخويا .. وعلى فكرة انت عارف طبعا ان شقيقى اسمه عبدالعاطى ، فانت من الآن عبدالعاطى بدوى الشهير بعبدالعاطى حامد ..

قلت له : ماشى الكلام

قال الوزير: وعلشان ماتزعلش انا حافظ حامد الشهير بحافظ بدوى .. وضحك الوزير ضحكة عالية وقال : فورا تحضر الى فى الوزارة علشان تعمل جولة تشوف فيها أحوال المهاجرين .

وذهبت الى الوزير فى الوزارة واخذنى فى سيارته وبجوازه فى المقعد الأخير جلسنا نتسامر الى أن وصلنا الى المنوفية ـــ بلدى ـــ ورأينا أحوال المهاجرين .. أحوال صعبة يرق لها قلب الحجر.. شكاوى ولعنات يسمعها

الوزير خصوصا أن المنوفية كان بها أغلب سكان بورسعيد المهاجرين .. سمعت واحدا يقول لحافظ بدوى أنت جاى تعمل ايه ملعون ابوكو لأبو الحكومة ..

وعندما ذهبت الشرطة الى الرجل قال لهم حافظ بدوى : اتركوه ظروفه صعبة ، وأخذ حافظ بدوى يسمع منه شكواه وعمل على ازالتها فقد كان الرجل وأسرته ينامون فى دورة مياه وكان حالهم سيئا وفظيعا .. وكانت أسرة الرجل تتكون من خمس بنات وولدين كبار خلافه هو وزوجته وأمه ، فأمر حافظ بدوى وزير الشئون أن ينقلوا الى حجرتين وتزاد لهم الاعانات ..

والحقيقة لم ينم الرجل .. وأقول هذا وهو بين يدى الله ـــ لاأريد منه جزاء ولاشكورا ـــ كان دائم التجوال والترحال ، كان يحمل هم المهاجرين وكنا نرى مناظر مخزية ومؤلمة .. آه لو عاش الذين يتكلمون عن الحروب وعن النضال والصمود والتصدى .. الى آخر هذا الكلام .. آه لو عاشوا مكان المهاجرين يوما واحدا وذاقوا ماذاقه المهاجرون من بؤس وتشرد وجوع ، لعرفوا كم هى الحرب قاسية ومؤلمة .. لقد كانت سنوات التهجير، هى سنوات الالام والعذاب .. سنوات المهانة والاهانة .. لقد كانت اعانة التهجير لا تكفى لأن تعيش الأسرة ، فأهالى بورسعيد والسويس والاسماعيلية كانوا يعيشون عيشة رغدة ، وفجأة أصبحوا فى العراء لا أكل ولا ماء ولا كساء ، والحقيقة كان حافظ بدوى كالنحلة لايتعب ولايكل ، كان يسمع شكاوى وصرخات المهاجرين يواسيهم بينما كان فى السيارة يتألم لهم ، كان معه حقيبة يحملها سكرتيره ، ومدير مكتبه يدفع للمهاجرين اعانات فورية دون ايصالات ، كان يسمع الشكوى و يأمر بالاعانة ، ولقد استطاع حافظ بدوى بجولاته أن يحد من شكاوى وصراخ المهاجرين ، فقد كانت عملية التهجير فى بادىء الأمر مؤلمة وقاسية لناس تركوا ديارهم وأموالهم ومساكنهم واصبحوا لاجئين ينامون فى المدارس والمستشفيات .. !!

* * * *

واستمر الكلام عن الصمود والتصدى ولا صوت يعلو فوق صوت

المعركة الى أن توفى جمال عبد الناصر وتولى أنور السادات الحكم ، وجاءت ثورة ١٥ مايو وفيها عين حافظ بدوى رئيسا لمجلس الشعب خلفا للدكتور لبيب شقير رئيس المجلس وذلك بعد حركة من أعضاء المجلس لاسقاط عضوية بعض الاعضاء الآخرين الذين كانوا يناصرون على صبرى ومجموعته ، وتم اسقاط العضوية عن عدد كبير من اعضاء مجلس الشعب واعيد انتخاب غيرهم وأصبح بعد ذلك حافظ بدوى رئيسا لمحكمة الثورة ، وكنت احضر المحاكمات ، وكنت اسمع ادعاء الدكتور مصطفى أبوزيد فهمى المدعى العام الاشتراكى فى ذلك الوقت ، وبعد أن حكمت المحكمة على المتهمين أجريت حديثا مع حافظ بدوى رئيس المحكمة : لماذا الاعدام ولماذا البراءة ولماذا المؤبد ؟ وقد كان حديثا كبيرا وضع النقاط على الحروف بالنسبة للحكم ولكى أحصل على هذا الحديث ذهبت الى منزل حافظ بدوى على كورنيش النيل أمام المريديان أكثر من مرة وأخذت اقنعه وهو يقول لى : لاربما يغضب الرئيس السادات ، وبعد نشر الحديث فوجئت به يطلبنى و يقول : الرئيس السادات انبسط قوى من الحديث وسروره كان كبيرا وقال : حلو قوى الحديث المنشور فى اخبار اليوم ياحافظ ، وطلب منى رئيس المحكمة ورئيس مجلس الشعب تكملة الحديث فى عدد آخر ولكن المسئولون عن الجريدة فى ذلك الوقت رفضوا لأنه سيكون تكرارا لما نشرته ... ونشر هذا الحديث بقدر ما أسعد حافظ بدوى بقدر ما أثار سخط وغضب الكثيرين ومنهم أصدقائى وعلى سبيل المثال وجيه اباظة الذى مازال غاضبا منى الى اليوم على ما كتبته على لسان حافظ بدوى من أنه كان زعيما من زعماء التنظيم وأنه كان مسئولا عن قلب القاهرة الى ظلام .. وبعد انتهاء المحاكمات وتنفيذ العقوبات بدأ حافظ بدوى نشاطه فى مجلس الشعب ، بدأ الطلبة فى عام ١٩٧٢ يسبون حافظ بدوى و يسبون حكم السادات و يضحكون على عام الحسم وعام الضباب و يسبون جيهان السادات وحكم السادات الى أن فوجئنا بقرار غريب وعجيب من الرئيس السادات وهو طرد الخبراء الروس من مصر .. وكان لهذا القرار دوى هائل وفظيع ، واعتقد البعض أن الحرب بين روسيا ومصر ستقوم وان هذا القرار لايمكن أن يمر بدون

عقاب ، الى أن اعلن أن وفدا من مجلس الشعب المصرى سيقوم بز يارة الى الاتحاد السوفيتى ، واستدعانى رئيس التحر ير وقال لى : حاول أن تكون فى هذه الز يارة لأن هذه الز يارة مهمة جدا خصوصا بعد طرد الخبراء الروس ..

وذهبت الى مجلس الشعب لاقابل حافظ بدوى رئيس مجلس الشعب والصديق القديم وقابلته فى وسط المواعيد فقال لى أن الرحلات مقصورة على الصحفيين الذين يعملون لتغطية أخبار المجلس ..

قلت وأنا .. أنا أحمل بطاقة للمجلس أيضا

قال : ولكنك لاتحضر .. و بصراحة بعض الزملاء غاضبين من أننى أخصك بأخبار المجلس وأنت فى مكتبك .

قلت : والعمل

قال : معلش النوبة دى

وذهبت الى منزلى ولم أنم ليلتها .. وكيف سأرى للاستاذ احسان عبدالقدوس رئيس التحر ير وجهى .. هل اقول له أن حافظ بدوى رفض أن اصحبه الى موسكو وقال انه سيصحب أحد الصحفيين المندو بين فى مجلس الشعب .. وصممت ألا أهزم .. أحاول مرة أخرى وأنسى أننى اعرف حافظ بدوى المدرس القديم واتكلم معه بمنطق رئيس مجلس الشعب بالنسبة للنشر .. وذهبت مرة أخرى لأقابل حافظ بدوى فى مجلس الشعب فقال فكرى صالح أن لديه مواعيد ، وأشارعلى أن انتظر الى تنتهى هذه المواعيد وفوجئت بفكرى يقول ده خرج ، الحقه فى السيارة .. وذهبت الى السيارة وكتبت له خطابا لاانساه قلت فيه :

* * * *

السيد الاستاذ رئيس مجلس الشعب

تحية طيبة و بعد ..

يعز على أن اكتب لك هذا الخطاب ، من صديق قديم ، ولكن فوجئت أن الصداقة ليس لها ثمن ولا قيمة فى هذه الدنيا ، لقد طلبت منك أن أذهب

معك الى الاتحاد السوفيتى ولم اطلب قبل ذلك شيئا وأن اغلب الصحفيين سافروا معك وأنا لم أفرض نفسى عليك ولكن لأهمية هذه الرحلة فان جريدة أخبار اليوم أوسع الجرائد العربية انتشارا يمكن أن تلعب دورا كبيرا فى الاعلام لهذه الرحلة وثق انىنى لن اكتب لك مرة أخرى ولن اتكلم معك فى هذا الموضوع ولكن يبدو أن الوقت يغير الناس واعذرنى فى لهجتى فى هذا الخطاب فأنا فى أشد الضيق من موقف صديق ..

ووقعت الخطاب واعطيته له .. وفوجئت به يضرب تليفونا و يقول : أنا زعلان .. زعلان قوى .. عيب ياراجل تكون اللهجة دى بيننا .. وقت ايه اللى يغير الناس .. احنا اخوات وأشقاء ولكن فيه أصول .. أنا وضعت اسم زميل لك كصحفى يسافر معى الى موسكو أنت حتسافر بعدين ..

وجدت نفسي أقول له بعصبية : ياحافظ بك لابعدين ولا قبلين ومتشكرين ..

قال حافظ بدوى : أقولك علشان ماتزعلش حتسافر معانا ياسيدى واستعد .

وذهبت الى الجريدة وقلت للأستاذ سعيد سنبل مدير التحرير ماقاله لى حافظ بدوى وكما هومعروف عن سعيد سنبل من الدقه قال : لا يمكن نوافق الا بعد أن تحضر لنا قرار السفر من مجلس الشعب ..

وذهبت الى المجلس فى اليوم الثانى وفوجئت كما توقع الاستاذ سعيد سنبل باسم شخص آخر هو الذاهب الى موسكو ضمن الوفد .. ما الذى يحدث ؟ وكيف حدث ؟ .. لا اعلم .. !!

اتصلت بحافظ بدوى رئيس مجلس الشعب فى منزله واخبرته بما حدث قال : ازاى يبقى ده القرار القديم .. القرار الجديد انت اللى مسافر ومش مسافر كصحفى انت مسافر كعضو وفد لأن الاتحاد السوفيتى طلب عدم وجود صحفيين ضمن الوفد وأنا وضعت اسمك كعضو وفد يعنى حتحضر كل الاجتماعات وكل اللقاءات ..

قلت : وخطاب الترشيح

قال : مر علي في المجلس غدا

وذهبت الى المجلس واذا بي أجد أكثر من زميل في حجرة الانتظار الخاصة برئيس المجلس ثم دخلت مكتب رئيس المجلس وقابلني حافظ بدوى وكان معه فى الحجرة بعض الأشخاص يتبادل معهم الحديث . والتفت الى وقال خطاب ترشيحك للسفر سيكون جاهزا حالا .. وفعلا و بعد نصف الساعة اخذت الخطاب وذهبت الى الأستاذ سعيد سنبل فوقعه واعطاه للاستاذ احسان عبدالقدوس ، وقبل أن يوقع الاستاذ احسان طلب من الاستاذ سعيد سنبل ضمانات العمل ورغم انى كنت مدعوا دعوة كلية و بدون بدل سفر الا أن بعض الزملاء كانوا فى منتهى الزعل من هذا ودخلوا الى الاستاذ احسان يطلبون منه الا يوافق على السفر بسهولة ..

* * * *

وبعد الحاح وضمانات وافق الاستاذ احسان على السفر ورغم ما كان بيني وبينه من عدم استلطاف فى ذلك الوقت الا أنه كان يحترم شغلى ويشجعني ، والحقيقة لقد كان احسان عبدالقدوس من رؤساء التحرير الذين عرفتهم وكانوا يحبون العمل للعمل فقد كان لا يفرق بين صغير وكبير الا بالعمل وبرغم اننى لم أكن صديقه ولا من « شلته » كما يقولون الا أنه كان يحب عملى ويشجعنى فى العمل وينشر عملى واخبارى أما من الناحية الشخصية فكان لا يستلطفنى وذلك بفعل أولاد الحلال .. وفى الفترة الأخيرة قويت المعرفة بيني وبين الأستاذ احسان فعرفنى على حقيقتى وعرفته على حقيقته ... المهم صدر قرار سفرى كعضو وفد مجلس الشعب الى موسكو واستعددت للسفر وجاء موعد السفر فتجمعنا فى صالة كبار الزوار وكان ضمن هذا الوفد الذى يرأسه حافظ بدوى رئيس مجلس الشعب فى هذا الوقت البرت برسوم سلامة وزير شئون الهجرة الآن ـ والمرحوم حلمى الغندور ـ وفتحى سلمان عضو مجلس الشعب عن تلا وميت أبوالكوم ، وقد كان فتحى سليمان صديقا حميا للسادات والأستاذ أحمد حلمى بدر الذى أصبح بعد

ذلك محافظا للسويس وحوالى خمسة أعضاء آخرين .. وقبل أن نركب الطائرة أصر البعض أن يشتروا عددا من الراديوهات من صالة السفر لأنها ارخص بعض الشيء .. وغادرنا القاهرة ووصلنا الى موسكو وفى مطار موسكو ركز التليفزيون الروسى على أعضاء مجلس الشعب وهم يحملون الراديوهات وقالوا فى تعليقهم على وصول الوفد فى نشرات التليفزيون ، لقد وصل اعضاء الوفد البرلمانى المصرى وهم يحملون عددا من الراديوهات التى يريدون تهريبها من الجمارك ..

وبدأت توزيعات الضيوف ، حافظ بدوى رئيس مجلس الشعب حجزوا له فيلا بعيدة عن العاصمة ، نحن اعضاء الوفد كنا فى فندق «سوفييت سكايا» أى سماء السوفييت ، ونزلنا فى الحجرات كل واحد له حجرة ومرافقة أو مرافق ليسهل له اعماله .. كان سفيرنا فى هذا الوقت المرحوم يحيى عبدالقادر وكنت اعرفه منذ أن كان رئيس لاتحاد الاذاعة والتليفزيون ، وكان الوزير المفوض فى ذلك الوقت محمد وفاء حجازى ، فى الليل أقامت السفارة المصرية حفل عشاء تكريما لرئيس مجلس الشعب المصرى والوفد المرافق له ، وفوجئت بعدد من الشخصيات السوفيتية فى الحفل وكلهم بالطبع يستنكرون الطريقة التى طردنا بها الخبراء الروس وأن روسيا فعلت الكثير من أجل مصر ولا يمكن أن تكون النتيجة بهذه الطريقة ، المهم فى حفل العشاء تبادل رئيس مجلس الشعب والضيوف السوفييت الخطب والكلام ، واثناء خطبة حافظ بدوى فوجئت بالسفير يحيى عبدالقادر يستدعينى وقال لى أرجو أن تهمس فى أذن السيد رئيس مجلس الشعب وتقول له... لاداعى للشعر ، ولاداعى للجنة والنار هنا .. فقد كانت خطبة حافظ بدوى التى القاها كلها بالشعر وكلها عن الثواب والعقاب والجنة والنار ، وهمست فى اذن حافظ بدوى بما قاله لى السفير عن تغيير اللهجة فالقى خطبة سياسية نالت الاعجاب ، وفى اليوم التالى نظمت لنا زيارة للكرملين ، وزيارة أخرى لمقر الحزب واللجنة المركزية ، القصور غاية فى الترف والفخامة ، وذهبنا الى مدرسة أولاد اعضاء الحزب ، المدرسة مختلفة عن مدارس أولاد الشعب ، الأولى فى غاية الفخامة ، والثانية فى غاية التواضع وتجلب الندامة كما يقولون ، ذهبنا الى مكاتب الحزب وقابلنا اعضاءه فاذا بهم يعيشون كالملوك ، زرنا المصانع

ووجدنا العامل يعمل فيها كالالة يدور كالثور فى الساقية كما يقولون .. وكتبت مقالة بعنوان: موسكو ترقص بعد التاسعة مساء . وقلت فيها أن موسكو للأغنياء يسهرون فيها بعد التاسعة مساء ، أما الفقراء فيعملون من الساعة السابعة صباحا الى الخامسة مساء فيعود العامل الى منزله وهو منهك القوى تعبان ، لايهمه الا أن ينام لكى يصحو مبكرا فى اليوم التالى وهكذا ، أما الذين يسهرون و يعيشون فهم أعضاء الحزب وكبار القيادات فهم يعيشون فى نعيم ، الخدم والحشم .. ان كل همهم وهدفهم الاشتغال فقط بالسياسة و يكسبون من جراء هذا الكثير، وكما كان يقول الشيخ عاشور ـ رحمه الله ـ يتكلمون عن الاشتراكية والتقشف و يركبون سيارات المرسيدس و يطلبون من الشعب أن يربط الحزام وهم ينعمون بالخير و يتمرغون فيه .. !!

كانت ثانى جولة لنا فى مدينة لينتجراد بطلة الصمود والتحدى ، والحقيقة لقد اعجبت بهذه المدينة و بأهلها ، فعند دخولنا المدينة وزيارتنا لقبر الجندى المجهول والأماكن التى حدثت فيها المعركة وجدنا أهالى القتلى والضحايا يصرخون كأن المعركة حدثت أمس أو اليوم .. كل شيء على ماهورغم مضى المدة الطويلة ونزلت الى قلب المركب التى اشتركت فى المعركة وهى أقدم وأكبر مركب .. أثار الضرب مازالت ظاهرة فيها وكأنها أصيبت اليوم حتى الدخان يظهر فى سحب كثيفة تخرج من المركب بل أكثر من هذا رجال الاسعاف ينقلون بعض الجرحى من المركب واثناء ذهابنا الى المقابر وجدنا أهالى الشهداء يصرخون و يولولون و يبكون و يسبون النازية والحرب المدمرة ، وفى صورة أخرى لوحات مرسومة عن كفاح أهل لينتجراد و بطولة أهل لينتجراد وكيف أنها تصدت للاستعمار وضربت مثلا حيا فى البطولة الرائعة ..

و بعد الجولة فى لينتجراد عدنا الى موسكو وعلمنا أن موعد الوفد مع بودجورنى قد تحدد غدا الساعة الثانية عشرة ظهرا وسألنا فى أى مكان ؟

قالوا : لا نعلم .. !!

ولكن المفروض أن يكون الوفد جاهزا الساعة التاسعة صباحا لأن مكان

المقابلة سيكون بعيدا نوعا ما ..

قلنا : وهل يقتضي هذا ثلاث ساعات

قالوا : وأكثر من هذا

ومرت علينا السيارات وأتى المرافقون في الساعة الثامنة والنصف صباحا وركبنا السيارة .. ووجدنا أنفسنا في اتجاه المطار مباشرة ..

وهنا علق المرحوم حلمي الغندور عضو مجلس الشعب وقال يبدو أننا ستطرد ياجماعة أو طردونا واننا في طريقنا الى مصر ..

وهنا صرخ عم كامل عضو مجلس الشعب عن المحلة الكبرى في ذلك الوقت : اشيائي ومتعلقاتي وحاجاتي « الكبتش ماشين بتاعتي » .. دى تبقى مصيبة وأثناء الكلام وصلت سيارة حافظ بدوى رئيس الوفد وذهبت اليه وقال أن بودجورني سيقابلنا في بلد قريبة على حدود تركيا وتقع على البسفور اسمها « سيمفروبيل ».. وأثناء جلوسنا في الاستراحة الخاصة بالمطار قال حافظ بدوى : الواحد عامل حساب المقابلة دى .. بودجورني بيقولوا عنه أنه راجل عصبي وحاد المزاج وربما يزيد عن حده وفي هذه الحالة .. .. .. وسكت حافظ بدوى .

قلت : وفي هذه الحالة انت تمثل مصر.. وردك سيكون أنت الآخر حاسما .

قال : ودى تبقى دبلوماسية ياعم عبد العاطى .. !! على أى حال... ربنا يسهل .

* * * *

وصلنا « سيمفروبيل » واستقبلنا في المطار شاب متوسط العمر اسمه جورباتشيف المسئول عن الحزب في هذه المدينة .. ووصلنا الى مقر الحزب .. مقر متواضع نوعا ما ، وبعد تناولنا المرطبات ... وصلنا قاعة الاجتماعات وهى قاعة متوسطة .. ووجدنا اسماءنا بالعربية كل واحد على كرسى خاص به وامامه اسمه

بالعربي وبالروسي .. ودخل بودجورني في لحظة دخول حافظ بدوي وسلم عليه بحرارة ..

وبدأ الاجتماع .. استعرض بودجورني العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتي منذ عهد عبد الناصر، والأزمات التي وقف فيها الاتحاد السوفيتي مع مصر .. سواء من السد العالي الذي تخلت أمريكا عن تمويله .. الى أزمة القمح التي كانت مصر ستجوع بسببها .. الى أزمة السلاح الذي لولا روسيا لركعت مصر تحت الاقدام، والهبات التي اعطتها روسيا لمصر والخبرة الروسية بالنسبة لحائط الصواريخ بعد العدوان وحماية روسيا لأرض وجو مصر منذ ٨ يونيو ١٩٦٧ وفي الأوقات العصيبة واستمرت هذه المساعدة الى أن جاء السادات وطرد الخبراء الروس بطريقة مهينة واعلن هذا في احدى خطبه على الملاء وقال أنه طرد الخبراء الروس فهل هذا يصح ؟

وقال بودجورني انكم أول وفد على مستوى المسئولية يصل بعد اعلان السادات بطرد الخبراء السوفييت .. والسوفييت كلهم من مصر ولايمكن بعد هذا أن نأمن جانب السادات، فليس السوفييت الذين يطردون من مصر بهذه الطريقة ... وارتفع صوت بودجورني وقال أن هذه العملية لايمكن أن تمر بدون عقاب ...

وهنا طلب حافظ بدوي الكلمة وقال : اسمح لي ياسيادة الرئيس اننا نقدر دور السوفييت ولايمكن أن ننسى فضلهم، ولكن اسمح لي أن أقول أن مصر تعاني من جرح ينزف دما وهو الهزيمة وأن الشعب في مصر لايمكن أن يتحمل الهزيمة ولابد أن يأخذ بثأره وأن الرئيس السادات سبق أن اعلن عن عام الحسم وتحول هذا العام الى نكتة .. ولقد قابلت الرئيس قبل حضوري وقال أنه طلب منكم اسلحة ومعدات ولم يجد الا المماطلة .. والتسويف .

* * * *

وهنا علت نبرات صوت بودجورني وبدأ يخبط بيده ويقول من الذي

انهزم .. لقد حذرناكم من اسرائيل ، واعطيناكم اسلحة معظمها ترك فى الصحراء واستولت عليه اسرائيل ، مهماتنا اسرارنا القيتموها فى الصحراء وأخذتها اسرائيل كالبيضة المقشرة ، ولو دفعت اسرائيل كنوز الدنيا كلها لما حصلت على ما حصلت عليه فى حرب الأيام الستة ..

قال حافظ بدوى .. لا نريد العودة للوراء ياسيادة الرئيس ، ولكن حسبما سمعت وعرفت أن مصر كانت ستبدأ بتوجيه الضربة الأولى ، لولا أن السفير السوفييتى أيقظ الرئيس جمال عبد الناصر وابلغه أن مصر يجب أن تتريث ولا توجه الضربة الأولى ، لأن اسرائيل ليست جادة...

قال بودجورنى بانفعال : من قال هذا ، لقد أرسلنا تقارير المخابرات والاقمار الصناعية وكل شيء وحذرناكم ..

قال حافظ بدوى : ولكن الرئيس جمال عبد الناصر قال هذا علنا وفى احدى خطبه ..

قال بودجورنى : هذا الكلام منقوص ... نحن طالبنا بضبط النفس فقط ولم نقل لكم أهملوا فى واجبكم واتركوا الطائرات على الأرض كالبط ليصطادها أى قناص .

قال حافظ بدوى : على أى حال لسنا لجنة تحقيق ياسيادة الرئيس نحن ننظر الى الامام وننسى ما مضى ..

قال بودجورنى : اذا أردت أن تبنى فابحث عن الأساس .. ورغم ما حدث منكم فى حرب الأيام الستة ، أخذنا الأمور على عاتقنا وبدأنا نسمع تصريحات غريبة عن طرد الخبراء الروس وتقصيركم الشديد وكلها مروية عن الرئيس السادات ، ففى احدى خطبه قال أنه توجد قواعد سوفيتية لا يدخلها ضباط مصريون .. من قال هذا نحن ندرب الضباط المصريين ، والدفاع الجوى المصرى شاهد على هذا .

قال حافظ بدوى .. على أى حال ياسيادة الرئيس جئنا الى هناك لكى

قال بودجورنى : دعنا من الجليد والصخر ماذا تطلبون ؟

قال حافظ بدوى : تعود العلاقات لمجاريها (وهنا تلعثم المترجم فقال له السفير تعود لما كانت عليه)

فقال بودجورنى : لا اعتقد أن العلاقات ستعود لما كانت عليه لأسباب كثيرة ، منها أنه أصبحت توجد أزمة ثقة بيننا و بين حكم الرئيس السادات ، وان هذا الجليد لايذيبه الا الزمن ..

ثم استطرد رئيس مجلس الشعب قائلا : ولنا طلب أن تستمر العلاقات وخصوصا العسكرية كما كانت عليه ..

قال بودجورنى : كما قلت لا اعتقد وهذه مسألة وقت ، اما استمرار الأسلحة فهذه تحكمها عقود ، ونحن سنلتزم بالإتفاقيات القديمة بيننا و بينكم ولكن طلبات جديدة .. لا ... ونحن لسنا على استعداد لارسال رجالنا ليطردوا مرة أخرى ..

فقال حافظ بدوى .. نحن نضمن ..

ولم يتركه بودجورنى يكمل الكلمة فقال : تضمن ماذا ... هل انت أو أنتم أصحاب القرار، صاحب القرار هو الرئيس السادات ، ولابد أن تكون المباحثات فى هذه الحالة مع الرئيس السادات نفسه ..

قال حافظ بدوى : وقطع الغيار المطلوبة ..

قال بودجورنى : هذه كما قلت تنظمها الإتفاقيات ونحن لا يرضينا أن تتحول طائراتكم الى خردة ، ولقد وصلت لنا تصريحات أخيرة لرئيسكم أنور السادات يقول أنه يطالب بتنويع السلاح و يريد كسر السلاح بمن يقصد هذا .. يقصدنا نحن .

قال حافظ بدوى : أن الرئيس السادات يضع سياسة جديدة وخصوصا بعد تخليكم عنه ..

وهنا ثار بودجورني مرة أخرى وقال نحن لم نتخل عن اصدقائنا ياسيدى رئيس مجلس الشعب ، انتم الذين تركتم اصدقاءكم وحلفاءكم .. أنت الآن تقتربون تماما من أمريكا .. ونحن نعلم هذا منذ أن تولى الرئيس السادات مقاليد الحكم وهذا كان واضحا بعد ما اسميتموه ثورة ١٥ مايو. وخطوة الرئيس السادات بالقطيعة التدريجية مع السوفييت كانت واضحة لأنه معجب بالامريكان و يريد الاقتراب منهم فليقترب مايشاء ولكن ليس على حسابنا .. اننا نعرف نوايا السادات جيدا ولقد قبض على اصدقائنا والذين يحبوننا من رجال السياسة المصرية وحاكمهم .. !!

* * * *

وهنا تدخل السفير يحيى عبد القادر ــ رحمه الله ــ وقال ياسيدى نحن هنا ممثلون لمصر وللرئيس السادات ونطلب مطالب محددة هذا حسب التكليف أما مافعله الرئيس السادات فهو رئيس مصر ودائما هو يرى الأصوب .. ونحن على حسب مافهمت من السيد رئيس مجلس الشعب مكلفون كوفد بأمر واضح :

ــ ماذا عن استمرار قطع الغيار ؟

ــ ماذا عن أسلحة جديدة مطلوبة ؟

ــ ماذا أيضا عن حجم التعاون العسكري والاقتصادى والتجارى بين البلدين ؟

وهنا تدخل حافظ بدوى وقال : نريد أن نحسن العلاقة بين البلدين وكما أن لنا علاقات مع روسيا سيكون لنا علاقات مع امريكا ... وكانت سياسة المرحوم الرئيس عبدالناصر هي سياسة عدم انحياز..

وهنا قال بودجورنى : لنبدأ الاجابة من الآخر.. تحسين العلاقة ليس بالكلام ولكن بالعمل فانتم تريدون تحسين العلاقة والرئيس السادات لايريد هذا .. ان اجهزة الأمن فى مصر تضايق المواطنين السوفييت وتراقبهم ، أما ان عبدالناصر كان يسير على سياسة عدم انحياز كان هذا صحيحا انما كان فى الوقت نفسه صديقا حميما للاتحاد السوفيتى وكان التعاون بيننا يسير على قدم وساق ، فتحسين

العلاقة سيأتى مع الوقت و يكون بمبادرة من الطرفين ، ولا داعى للاستفزاز ، واذا خلصت النوايا .. تقدمت الأمور وتحسنت العلاقات أما عن استمرار قطع الغيار فنحن مرتبطون باتفاقيات وعقود ونحن لا نسحب كلامنا ، فقطع الغيار ستصل اليكم حسب الجدول الزمنى المتعاقد والمتعارف عليه .. وحسب خطة الاتحاد السوفيتى التى تتعامل بها مع الدول فى السلاح أما عن أسلحة جديدة مطلوبة فاعتقد أن هذا ليس وقته ولابد أن يبحث هذا الرؤساء ثم بعد ذلك العسكريون ولايمكن أن نتكلم فيه الآن ..

اما عن حجم التعاون العسكرى والاقتصادى والتجارى بين البلدين ... فنحن من جانبنا لم نتخذ أى خطوة بل الخطوات اتخذتموها انتم ولا تنسوا انكم مثلما تحافظون على كرامتكم فالاتحاد السوفيتى كدولة عظمى يحافظ على كرامته ، فاذا اردتم التعاون فالباب مفتوح ولكن كما قلت لكل شىء شروط ..

* * * *

وفى النهاية وافق الطرفان على أن يأتى وفد عسكرى سرى الى موسكو ليحدد طلباته من قطع الغيار وأن يسبق هذا كشف بالطلبات المطلوبة الجديدة ..

وكانت حرارة المناقشات عنيفة بين الطرفين ، وبعد انتهاء المقابلة قال بودجورنى : انه يقضى الصيف دائما فى سيمفروبيل فهى مصيف ممتاز وسأل السفير هل سيذهب الوفد الى مصر مباشرة أم ستعود مرة أخرى الى موسكو.. قال السفير سنعود مرة أخرى الى موسكو ومنها الى القاهرة باذن الله ..

وفى الفندق كان المرحوم حلمى الغندور يعلق على كلام بودجورنى ، وكان الوفد يعلق ، وبدأوا يتساءلون كيف سنغير النقود من دولارات الى روبل .. فالدولار فى السوق العادية بروبل أما فى السوق السوداء ــ وقتها كانــ باربع أوخمس روبلات ، وقال أحد أعضاء الوفد أنه يعرف شخصا

فى الفندق يغير له النقود .. وبدأنا نحمله النقود التى نريد تغييرها من هذا الشخص .. ونزل أحد اعضاء الوفد وقال سألت على الراجل ولم أجده فقلت لماذا ؟

قال : قبضوا عليه

وحكى المرحوم حلمى الغندور قصة الراجل المسكين لأحد المصريين العاملين فى موسكو فقال : يظهر انتم « هبل » كل الكلام اللى انتم بتكلموه مسجل وانتم متراقبين كويس ، وفعلا كان المرافقون يقولون لنا أشياء كنا نتكلم عنها فى اليوم السابق .. فمثلا كنا نقول أن الخدمة سيئة فى الفندق ونتحدث عن بعض الأشياء الناقصة ودون أن نشكو يأتى المرافق و يقول لقد كانت شكواكم بالأمس كذا وكذا ونرجو أن تكون الشكوى قد زالت ، وتغلبنا على النقود بأن قام أحد الأصدقاء بتغييرها واشترينا كل مايلزمنا .. فالأدوات الكهربائية فى موسكو رخيصة ومتينة وذهبنا الى المطار وكما صورونا عند وصولنا الى موسكو بالراديوهات صورونا أيضا بالماكينات وغيرها ، وكانت الطائرة تحمل كثيرا من الأمتعة .. وعندما وصلت القاهرة عدت الى الجريدة وقابلت الأستاذ احسان عبدالقدوس فقال لى اكتب كل ماعندك واعمل موضوع كويس على شكل رسالة ، وكتبت الموضوع ... وعملت له عناوين على شكل رسالة ، « ماذا حدث فى موسكو بين الوفد البرلمانى المصرى و بودجورنى » .. « الرئيس السوفيتى يشترط أن تعود العلاقات لكى تعود المساعدات » .. وعناوين أخرى مثيرة ، وعرضت الصفحة على الرقيب و بعد عرضها على الجهات المسئولة لم يوافق على النشر ، بل على العكس طلب ألا يثار هذا الموضوع فى وقتها نظرا لما قيل فى الجلسة وحساسية الموقف ، واننا لا نريد أن ننشغل فى معركة كلامية مع السوفييت ونريد أن يكون الموقف كما هو أو الحال يبقى كما هو عليه كما تقول النيابة فى أى قضية سكن .. وكتبت أكثر من تحقيق عن الحياة الاجتماعية فى موسكو ..

* * * *

واستمرت العلاقة بين حافظ بدوى و بينى ، وكان يضرب لى تليفونا عندما

يقرأ أى تحقيق و يقول لى رأيه ، وكانت هذه هى الرحلة الوحيدة التى ذهبت معه فيها الى الخارج مع أن رحلات مجلس الشعب كانت كثيرة ، وحدث بعد نجاح رحلة موسكو اعلاميا ، ان طلب رئيس مجلس الشعب أن أذهب الى الهند معه ، وأعطيت الدعوة الى الاستاذ سعيد سنبل مدير التحرير فى ذلك الوقت ، ونزل من الدور العاشر الى الدور التاسع وحاول ان يقنع الاستاذ احسان عبدالقدوس بالموافقة على السفر فلم يستطع حتى اننى طلبت أجازة وقررت السفر على حسابى فرفض الاستاذ احسان ، وكان أولاد الحلال دائما يحاولون الايقاع بينى و بينى الاستاذ احسان وكان ردى عليهم هو العمل لا سواه .

ومرت الأيام وتغيرت الأحوال .. وحدث تغيير فى المواقع وأصبح حافظ بدوى عضوا ثم رئيسا للجنة التشريعية فى مجلس الشعب ..

وكان يقرأ كثيرا و يبحث كثيرا و يدقق كثيرا ، فقد حدث أن سألته عن قانون من قوانين المجلس فقال لى أن هذا القانون صدر يوم كذا وحدث فيه أكثر من تعديل بتواريخ كذا وكذا وسيحدث التعديل الأخير يوم كذا ..

وكان حافظ بدوى مهتما بصحته و يرعى أولاده واستطاع أن يختار لبناته رجالا محترمين فكل بنت تزوجت من انسان ممتاز وكان يقول لى أن البنت تأتى برجل وابن ممتاز الى البيت انما الولد لزوجته ، ولكن كان حبه لابنه علاء يفوق الوصف وكان يتمنى أن يخلفه فى كل شيء لذلك كانت سعادته كبيرة عندما دخل علاء حافظ بدوى كلية الحقوق وعندما تخرج فيها ووضع لافتة كبيرة «علاء حافظ بدوى المحامى» ..

وكان يكتب الشعر وكثيرا ما كان يطلبنى ليقرأ لى الشعر و يرسله لى فى اليوم التالى لكى أنشره فى أخبار اليوم ..

* * * *

وصدمت عندما مات حافظ بدوى فقد كان قبلها بيوم يتكلم معى واتفقت على أن اجرى معه حديثا عن القوانين الجديدة المعروضة على

المجلس ، وبعد الاتفاق قال لى أقول لك ممكن تأجل الحديث للأسبوع القادم .

قلت : لماذا ؟

قال : أنا أصلى لم أحصل على أجازة الى الآن .. ونفسى آخذ اجازة استريح سوية واذهب الى البلد وارى احبابى واصدقائى ..

وفى صباح اليوم التالى فوجئت بأن حافظ بدوى توفى فحزنت حزنا عميقا وقلت فى نفسى لقد أخذ اجازة من الدنيا جميعها ... لقد كان حافظ بدوى قصة كفاح كبيرة وصل فيها مدرس الالزامى الى كرسى رئيس مجلس الشعب ثانى انسان فى الترتيب بعد رئيس الجمهورية .. لقد تعب حافظ بدوى كثيرا وعمل كثيرا ، وقابل تطورات واعاصير كثيرة واستطاع أن يتغلب عليها بقوته وعناده ، ولقد وقفت الظروف بجانبه كثيرا ففى أحداث ١٥ مايو ذهب اليه بعض القيادات السياسية فى ذلك الوقت مثل سامى شرف وغيره الى كفرالشيخ لكى يوقع على طلب من اللجنة المركزية والقيادة السياسية برفض أسلوب السادات فى الحكم ، ولكن لسوء حظهم وحسن حظ حافظ بدوى أنهم لم يجدوه ، ولو كانوا وجدوه لتغير الأمر... فقد كان الحظ دائما مع حافظ بدوى وكان هو يقول دائما أنه محظوظ وقد استغل هذا الحظ فى العمل ليحقق مايريد .. واعتقد أنه حقق ماأراد .. رحمه الله ..

سمعت صراخا وأصواتا تقول : ياّرب .. منكم لله يا ظلمة يا كفره .. وواحد آخر يصرخ و يبكى و يقول « استويت » .. « فى عرض ربنا » .. كلام وصراخ يشيب له الوجدان وتقشعر له الأبدان

وقلت للصول سعيد ــ أو ملاك التعذيب كما يطلقون عليه ــ لماذا هذا التعذيب ، ولماذا هذا الضرب المبرح .. ؟!

قال : انها تعليمات المعلم الكبير .. !!

وزير التعذيب



كنت اسمع عن شمس بدران وقوته والحكايات عنه كانت كثيرة وكانت تفوق الاساطير.. فشمس بدران لايضحك ولايبتسم وكان عنيفا جدا ، وقد حدث انني طلبت الى التجنيد فى الستينات وجندت فى سلاح المدرعات ، وكنت نحيفاً ونظرى ضعيفاً فعينى بها قصر نظر، وكان الاستاذ انيس منصور يضحك ويقول انهم جندوا عبد العاطى فى سلاح الرؤية بالعين المجردة ، يتعامل مع الطائرات بالقلب يقول ـ يقصدنى ـ ان له قلبا حساسا يحس ان الطائرة قادمة .. وتعبت اثناء تجنيدى ، ولجأت لاحد اقربائى لاننى اعرف انه يعرف شمس بدران جيدا ، وكان شمس بدران يعمل مديرا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر، وعرضت عليه مشكلتى وهى أن القومسيون الطبى كشف على وأجمعت هيئة القومسيون اننى غير صالح للتجنيد ورغم ذلك فان إجراءات الرفت لم تكتمل مع انه مضى اكثر من ستة شهور على التجنيد .. أى نصف المدة .. وقال لى قريبى : على فكرة انا كلمت شمس بك وده راجل منوفى جدع ، ويمكن بكرة أو بعده تخرج من الجيش ، وفعلا ثالث يوم واثناء الطابور فوجئت بالباشجاويش ينادى عبد العاطى حامد .

قلت : افندم

قال : انت اجازة لمدة خمسة واربعين يوما الى ان تتم اجراءات رفتك ولكن المطلوب ان تذهب الى مكتب القائد الآن ..

وذهبت الى مكتب القائد فقال : لماذا لم تقل لنا أن القومسيون قرر فصلك وفين اوراقك ، واتهمني القائد بالاهمال ..

المهم وصل ورق القومسيون .. وفصلت من الجيش وشكرت قريبي وطلبت منه ان يشكر العميد شمس بدران الذى قال لي قريبي أنه شهم واصيل ويحب الحق .. ولكنه عنيف جدا وعنيد جدا وهادىء جداً وعصبي جداً .. اى يجمع بين عدة متناقضات ، وكنت ارى العميد شمس من بعيد لبعيد كما يقولون ولايعرفني وليس لي به اى اتصال الى أن حدث ان ابلغني احد اقاربي تليفونيا بان قريبا وصديقا عزيزا على اسمه فتحى مصطفى قبضت عليه المباحث الجنائية العسكرية أو الشرطة العسكرية ..

قلت : لماذا ؟

قالوا : لانعرف

وبعد المكالمة كلمتني زوجته وهي تبكى وتطلب مني أن أتدخل واتصلت بالشرطة العسكرية (البوليس الحربى) وسألت عن أسم فتحى مصطفى فقالوا : فى السجن الحربى .. !!

* * * *

وبحثت عن فتحى فى كل مكان الى ان قالت لي زوجته انه موجود فى المباحث الجنائية العسكرية فى عابدين ، وذهبت اليه وقابلت الصول سعيد وكان اشهر شخص فى المباحث الجنائية العسكرية وشاهدت فتحى مصطفى وهو مضروب ، وكان عصبيا جدا وقص على حكايته وهي أن له ولاسرته وقفا فى عابدين وانه هو والأسرة رفعوا قضية مؤيدة بالمستندات لاسترداد وقف عابدين ، وقال لي فتحى : انه فوجىء فى الساعة الرابعة صباحا بفرقة من الشرطة والمباحث الجنائية العسكرية يفتشون منزله و يقبضون عليه و يأخذونه بالبيجاما و يرمونه فى سجن المباحث الجنائية العسكرية .. وقال لي : لقد ضربوني ضربا مبرحا .

وبعد ان قابلت فتحى مصطفى ذهبت الى الصول سعيد ملك التعذيب

والتحقيق ــ الذي حكم عليه بعد ذلك بالسجن ــ قلت له : ماذا حدث ؟

قال لي : معرفتك ايه بفتحي ؟

قلت : قريبي

قال : ده زعيم عصابة

قلت : ده فنان وموسيقار وموظف كبير (مدير عام)

قال : لا .. انه زعيم عصابة كبيرة لتزوير الاوراق والمستندات والاستيلاء على املاك الدولة والاوقاف .. وارجو ان تقنعه بان يعترف بدلا من ان نعذبه وعلشان خاطرك لن نضربه الا بعد ان نيأس منه اذا اصر على الانكار ..

وشككت الصول سعيد وقلت لربما فتحي ضحك عليه بعض الاشخاص ، فقد كان فتحي رجلا طيبا شهما وكان يصدق كل مايقال له . وفعلا أبلغني ان اسرته لها املاك ويريد رفع قضية لاستردادها ..

قلت لفتحي : ماذا حدث .. وماهي حكاية التزوير والعصابة ؟

اقسم فتحي انه لاتوجد عصابة ولاخلافه ، وان كل ما فى الامر ان لهم وقفا وان بعض الذين لهم مصلحة فى هذا الوقف أرادوا أن يثنوهم عن القضية لان المحكمة كانت فى سبيلها الى الحكم لهم بالارض ، وحاولوا التفاهم معهم على أن يتركوا الارض فلم يرضوا ، وفوجئوا بالشرطة العسكرية تقبض عليهم عند الفجر .. وفى الفترة التى مكثت فيها فى المباحث الجنائية العسكرية سمعت فيها صراخاً وعويلا وصياحا ..

قلت : ماهذا

قالوا : التعذيب كل يوم .. ضرب واهانة .. والكلاب السعرانة تنهش اجسادنا ، وبيعذبوا الاخوان المسلمين ..

سمعت صراخا واصواتا تقول : يارب .. منكم لله ياظلمة ياكفرة .. وواحد آخر يقول « استويت » « فى عرض ربنا » .. كلام وصراخ يشيب له الوجدان وتقشعر له الابدان وقلت للصول سعيد أوملك التعذيب .. لماذا هذا التعذيب ، وهذا الضرب المبرح ؟

قال : دول ناس من الاخوان كانوا عاوزين يعملوا انقلاب فاحنا بنقلبها عليهم وحنخلي سنتهم سودة وعيشتهم طين ، واثناء كلامي معه دخل شخص اسمر طويل وعريض اسمه «سامبو» وفي يده كرباج طويل وقال له الصول سعيد : سويتهم وللا لسة ؟ انا عاوز جسمهم يشيط ، نفسي اشم ريحة الكباب الآدمي ..

وادركت فظاعة الامر واختليت بفتحي وقلت له : طمني .. هل وجدوا معك مستندات مزورة أو خلافه ، كنت اقول له هذا وانا اخشى ان يحدث له ماحدث للاخوان ، من تعذيب ، خصوصا ان فتحي كان طويلا عريضا ..

وعندما وجدت ان الصول سعيد هو المتحكم ومازال مصرا على ان فتحي زعيم عصابة .. فقابلت اللواء حسن خليل مدير المباحث الجنائية العسكرية في ذلك الوقت .. ووعد اللواء خليل ببحث الموضوع وانتظرت يوما واثنين ، الى أن ارسلت للمشير عبدالحكيم عامر برقية من زوجة فتحي مصطفى تستعرض فيها ماحدث ، وتستحلفه بالله ان يقف بجانب زوجها ، ووصلت البرقية من مكتب المشير الى المباحث الجنائية العسكرية وفوجئت بالصول سعيد يقول لي : انتم رايحين تشتكونا للمعلم قلت : ومين المعلم . قال : هو فيه معلم غيره .. المشير طبعا .. على كل البيه ارسل لنا البرقية ..

قلت : ومين البيه ؟ المشير برضه ؟؟

قال : ابدا البيه ده يبقى العميد شمس

* * * *

وبحثت عن قريبي الذي توسط لي في التجنيد لكي يكلم العميد شمس ، فقال لي انه لايكلمه ويوجد سوء تفاهم بينهما وان شمس كبر عليه بعد ان اصبح كل شيء في وزارة الحربية ..

وقلت لفتحي امرك لله .. نشوف محامي لكي يبحث لك عن مخرج ، ووكلنا المحامي ولم يستطع ان يناقش المباحث الجنائية العسكرية وكنت دائم التردد على المباحث الجنائية وكنت اسمع العجب العجاب عن التعذيب والتفنن فيه

وسمعت شيخا عجوزا يصرخ و يقول : يارب هل يرضيك ان تدوس الاحذية عبادك المخلصين . يارب انتقم من الظلمة . إوكسهم .. انكسهم .. وكانت دعوات المظلومين وصراخهم وانينهم يثيرني الى درجة انني كرهت هذا المكان والى الان عندما امشي من امام هذا المقر وأتذكر بشاعة ما حدث ترتعد فرائصي خوفا ورعبا ..

المهم اخذت اكلم طوب الارض كما يقولون .. حتى خرج فتحى مصطفى وفى ذهنه صورة مؤلمة وقال لى فتحي : لا يمكن ان تستمر الاوضاع فى هذه البلد بهذا الشكل .. لوسألتني الان ما امنيتك .. سوف أقول لك نفسي اذهب اسرائيل فاليهود ارحم من العذاب الذى رأيناه ، ورغم ان الكلام كان عن اسرائيل خيانة الا ان فتحي من شدة العذاب واهواله وما رآه داخل سجن المباحث الجنائية العسكرية تربت لديه عقدة من الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية ومن النظام كله ..

****

ومر موضوع فتحي مصطفى واخذت إجازة اسبوعا وعندما عدت .. وحضرت الاجتماع الاسبوعى للجريدة ووجدتهم يقولون لى .. مطلوب ان تذهب الى كمشيش ، وكنت قد سمعت عن موضوع قتل صلاح حسين ، وكنت اعرف شاهندة زوجته جيدا ، وقد حضرت الى مكتبى هي وزوجها قبل ان يقتل وجلسا وشربا الشاى معى فى « أخبار اليوم » .. وكان معنا المرحوم الاستاذ رشاد الشبرابخومي فقد كان بالنسبة لي والدا وصديقا وزميلا ، واخذت شاهنده تشرح الضغوط التى تتعرض لها هى وصلاح حسين من عائلة الفقى ، وطلبت منى ان اكتب تحقيقا عن الإقطاع وأعماله فطلبت منها المستندات الدالة على كلامها لانني لايمكن ان اكتب شيئا بدون المستندات ، وذهبت شاهندة ولم تعد مرة اخرى الا بعد أن سمعت بوفاة زوجها ، واحتلت الشرطة العسكرية القرية ، اخذت مصورا وذهبت الى شبين الكوم محافظتي وقابلت ابراهيم بغدادى محافظها فى ذلك الوقت فاعطاني صورة لما حدث وقال انها جريمة قتل وللان لا نعرف من

المسئول ــ ووجدت مكتب المحافظ يغص بالعديد من الضباط وجنود الشرطة العسكرية وتحولت المحافظة الى قاعدة عسكرية مسلحة وخرجت من مكتب المحافظ وقابلت الاستاذ كمال الشاذلي وكان امين الاتحاد الاشتراكي في المتوفية في ذلك الوقت ، وعرفت ماحدث وكيف صوروا للجميع ان الاقطاع وقوى الاميريالية وراء هذا الحادث وذهبت الى كمشيش وفي ذهني صورة بشعة للاقطاع ، واذا بي افاجأ بصورة لم اتوقعها في حياتي ، صلاح الفقى وقد ارتدى زى امرأة ، وبعض الفلاحين ومعهم جنود الشرطة العسكرية والمباحث يهتفون « المرة اهه .. المرة اهه » وسمعت ورأيت العجب العجاب ان رجال المباحث الجنائية العسكرية والشرطة تبرزوا في فم المرحوم صلاح الفقى وانهم عذبوا اهل الفقى واقتحموا بيوتهم واستولوا على متاعهم وسرقوا مجوهرات زوجاتهم ، وتزعم هذه العملية الضابط رياض ــ وقد حوكم بعد ذلك في ايام الرئيس السادات وحكمت عليه المحكمة بالسجن ٢٥ عاما وقد جن وفقد عقله من بشاعة عمله ــ لقد رايت صورة بشعة في كمشيش ، صورة التعذيب واهدار الآدمية والضرب والتعذيب ودهن اجساد أولاد الفقى بالبراز وربطهم بالحبال لكى تراهم القرية وهم عرايا كما ولدتهم امهاتهم وجسمهم مغطى كله بالبراز .. شيء بشع وخطير جدا .. والاخطر منه ان يتم تعذيب انصار عائلة الفقى وبدت المسألة كأنها تصفية حسابات ، اى واحد ممكن ان يتهم الاخر بأنه اقطاعى لكى تصفيه الحكومة وتضعه تحت الحراسة فبعد كمشيش كونت لاول مرة لجان تصفية الاقطاع ، وعندما رايت هذه الصورة الكئيبة عدت الى القاهرة ، وقلت لرئيس التحرير لن اكتب الموضوع أو أى شيء عن كمشيش ..

قال : لماذا ؟

قلت : ان مارأيته يفوق الوصف ، التعذيب والاهانة واهدار الكرامة ..

* * * *

وحكيت لرئيس التحرير مارأيته في كمشيش وماسمعته في مكتب المقدم عبد العال شطا رئيس المباحث الجنائية ، واعطاني المقدم عبد العال

وهو صديق عزيز صور التعذيب وصورا للتمثيل واهدار ادمية عائلة الفقى واتباعهم ، ووصل الامر للاعتداء الجنسى علنا فى الشارع على بعض الفلاحين والعمال وقال لي عبد العال شطا بالحرف الواحد : ان مايحدث مهزلة ، ولقد اعد تقريرا رفعه للواء احمد فهمي مدير البحث الجنائي بالمنوفية ثم إلى وزارة الداخلية قال فيه بالحرف الواحد : ان ما يحدث فى كمشيش حاليا مهزلة بمعنى الكلمة فلقد اقتحمت الشرطة والمباحث العسكرية القرية باكملها وذهبوا الى منزل عائلة الفقى وضربوا الرجال امام النساء وامروا الرجال بأن يرتدوا ملابس النساء وان يحلوا رقابهم بالحلي والحلقان فى آذانهم ، ووضعوا الاحمر والابيض على وجوههم وساقوهم كالاغنام فى حبال وبعض انصار شاهندة مقلد يهللون و يصيحوم : «العجل أهو.. الست أهو.. الـ .. أهو» ، و بخلاف التعذيب والضرب وصل الأمر الى النفخ بان يضعوا المنفاخ من خلف الرجل و ينفخونه الى ان يصل الى حد الانفجار والرجل يعوى و يصرخ كالكلب ، ودهنوا اجسام الرجال بالوساخة والبراز والزفت ، بل وصل الامر ان طلبوا من بعض الفلاحين والعمال اتباع صلاح الفقى أن يتحولوا الى حمير يركبهم جنود الشرطة العسكرية ، واستطرد تقرير المقدم عبد العال شطا ، أن الشرطة فى المنوفية لاتجد بشاعة توصف اكثر من البشاعة والمجزرة التى حدثت فى كمشيش ولقد كان الضابط رياض يضع حذاءه فى فم آل الفقى وكان يضع الماء الوسخ فى نعال الفلاحين من انصار شاهندة لكى يشربها اهل الفقى و يأمرونهم ان يناموا على ظهورهم وعلى بطونهم على قطع الزجاج والشوك حتى تسيل دماؤهم وان تعذيب ابو جهل والكفار للمؤمنين فى صدر الاسلام لا يمثل شيئا بالنسبة لتعذيب الضابط رياض متخصص التعذيب وزبانيته .

* * * *

عدت الى القاهرة ، ورفضت ان اكتب شيئا ، بينما ذهب البعض وكتبوا ملاحم ومقالات عن تحطيم الاقطاع فى كمشيش ، وكيف أن شاهندة مقلد بطلة وطنية وصلاح الفقى اقطاعى حرامى .. ومرت ايام ، وانقلب الوضع فى عهد

السادات ، قبض على شاهندة مقلد ، ورفع اهل الفقى قضية على المباحث الجنائية العسكرية وقبض على الضابط رياض والصول سعيد وجميع الزبانية ، وحوكموا ، ورد الاعتبار لصلاح الفقى وحكمت له المحكمة بغرامة على الحكومة وكتب رئيس المحكمة حيثيات الحكم كلها تنديدا بسياسة القهر والعدوان والظلم وانتهاك ادمية الانسان ..

ثالث واقعة هي القبض على الاخوان واحتلال قرية كرداسة وتعليق اهالى القرية كالذبائح وضربهم بالسياط وتعذيبهم اشد العذاب وتقليع اظافرهم ووضعهم فى ماء مغلى ثم ماء فى درجة الثلج ، وتعذيبهم بالكهرباء ، وانتهاك اعراض نسائهم واغتصاب السيدات والبنات امام أزواجهن الى آخر عمليات التعذيب البشعة التي تخصص فيها زبانية التعذيب فى دورات تدريبية فى « المخابرات السوفيتية » .

ثلاث وقائع كان المشرف عليها والمنفذ لها العميد شمس بدران .. فقد كان يتبعه السجن الحربى والشرطة العسكرية والمباحث الجنائية العسكرية ، وقد كان شمس بدران يحمل قلبا من صخر لا يلين ، واشتهر شمس بدران بالتعذيب وبالمهام الصعبة ، وترك له المشير كل شيء ووصل الامر الى انه يامر المشير و يرتب له تحركاته ومقابلاته ، وكان هو المتحكم فيه ، وفى اوراقه ومواعيده وكان اسم المشير بين مجموعته « المعلم » ، وشمس بدران « المعلم الدينامو » .

* * * *

وعندما ذهب شمس بدران الى موسكو ضمن وفد عسكرى ، شعرت القيادة السوفيتية ان شمس بدران هو الرجل رقم (١) فى القوات المسلحة واختصته بالمناقشات العسكرية واعطته الاهمية المطلقة وراهنت على انه سيكون وزير الحربية القادم ، وبعد ذلك بالفعل اصبح شمس بدران هو وزير الحربية ، وكان شمس بدران لا يحلم بهذا اليوم .. ولذلك فإن سبب وصول شمس بدران الى كرسى الوزارة كان ايهام السلطات المسئولة بانه

حامى حمى سلطات الدولة من المؤامرات ومن جماعة الاخوان المسلمين والشيوعيين ، وكانت الدولة اذا تصالحت مع الشيوعيين تضرب فى الاخوان المسلمين والعكس صحيح ، وكان يوجد تعاون تام بين مخابرات صلاح نصر، ومخابرات سامى شرف ، واجهزة شمس بدران ، فى التعذيب والتلفيق ، وكان الجميع يوهم رئيس الجمهورية بانه توجد مؤامرات تخريبية لقتله والفتك به ولولا هذه الاجهزة لمات جمال عبد الناصر فى ظرف يومين او ثلاثة على الاكثر . .

ولقد حكى لى صديقى الحاج محمد سالم وكان معتقلا ضمن جماعة الاخوان المسلمين .. أن شمس بدران كان يقف بنفسه و يشرف على التعذيب ، و يطلب من المعتقلين ان يعترفوا بانهم كانوا يرتبون ويجهزون لمؤامرة إغتيال جمال عبد الناصر وقلب نظام الحكم ، وكان اذا اعترف شخص كذبا من قسوة الضرب يميل شمس بدران فرحا و يطلب الرئاسة و يقول توجد معلومات كثيرة يا افندم ، العملية كانت كبيرة وفيها جهات اجنبية وان السعودية متحالفة مع الاخوان المسلمين لضرب الثورة وقائدها ، ومرة اخرى يقول المخابرات الامريكية ، ومرة ثالثة يقول المخابرات الالمانية ، فقد كان بقاء شمس بدران مرهونا بالمؤامرات المزعومة التى يكتشفها كل يوم .. ولو احصينا عدد المؤامرات التى اكتشفها أو اعلن عن اكتشافها شمس بدران لوجدناها تفوق الخمسين مؤامرة .. !!

و بعد ان تولى شمس بدران وزارة الحربية بدأ يتخلص من دفعته بعد أن كانت الدفعة المميزة فى كل الجيش ، و بدأ يتخلص من اصدقائه خشية ان يكشفوه أو يقوموا عليه كما كان يقول ، و بدأت الاجهزة الاخرى التى كانت تلعب معه وتنسق معه اكتشاف المؤامرات ، بدأت تعيد حسابها حتى تثبت هى الاخرى انها جديرة وان صاحبها أو رئيسها هو الاخر يمكن الاعتماد عليه . .

* * * *

و بعد النكسة أو « الوكسة » كما يقولون ، حوكم شمس بدران ، وكان من اهم القضايا التى حوكم عليها هى التعذيب ، وكان يقول دائما أن اوامر التعذيب

كانت من فوق . يقصد جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر . وكان يقول ان « فوق » هذا كان على علم بكل شيء ، وحكمت المحكمة على شمس بدران بالسجن وبالتعويض .. ورغم ذلك هرب شمس بدران الى لندن واشترى قصرا هناك .. ولكن من اين اتى بكل هذه الاموال .. ؟

من عمولات السلاح ، ومن ادارات الجيش المختلفة ، فلوزير الحربية ان يرفض أويقبل اى عطاء دون ابداء الاسباب وكان لايستطيع احد ان يناقش شمس بدران مهما كان هذا الشخص سواء فى العمل السياسى أو الحكومى ، لقد ضحك الزمن لشمس بدران فى يوم ما .. وكان يتطلع الى أن يكون رئيسا للجمهورية وقد طرح اسمه بالفعل لكى يكون رئيسا للجمهورية خلفا للرئيس جمال عبد الناصر بدلا من زكريا محيى الدين وذلك وقت أن أعلن الرئيس جمال التنحي يوم ٨ يونيو، وفى آخر لحظة عدل عن هذا .. ولو كان الرئيس أعلن انه تنحى لشمس بدران لاختلف الامر تماما وصار شمس بدران رئيسا للجمهورية وحكمها بالحديد والنار.. وكانت مصر سوف لاتعرف ابدا الاحزاب ولاصحف المعارضة ولاالديمقراطية .. فشمس بدران كان دائما يؤمن بالديكتاتورية .. هذا بالرغم من انه اختار انجلترا بلد الديمقراطية فى العالم ليعيش فيها .. ولذلك يبدو أنه أفاق بعد أن ضاعت السلطة من يده ، فداخل السلطة شيء وخارج السلطة شيء آخر .. !! وبصراحة كانت هذه الفترة من أسوا ماعاشته مصر.. انها فترة الاعتقالات .. والتعذيب فترة امتهان حرية وكرامة الانسان فترة ندعوالله العلى القدير الا تعود أبدا !!

بعد نشر حديثى مع الدكتورة حكمت ابوزيد ..
فوجئت بتليفون من أحد المسئولين الكبار يقول : كيف تنشر هذا الكلام .. وهذه الآراء للوزيرة .. الوزيرة شيوعية وآراؤها شيوعية ..

قلت كيف هذا والوزيرة عينها واختارها الرئيس عبد الناصر وطبعا سبق التعيين تحريات وما أكثر أجهزة التحريات عندنا ..

قال : وماله حاجة من الاثنين : اما عبد الناصر يعلم أن الوزيرة شيوعية ، أو ضحكوا عليه علشان الوزارة يكون معظمها شيوعيين .

قلت : الا ترى معى تصنيف الناس الى شيوعى ويمينى شىء بايخ .

وغضب المسئول وقال يبدو أن الكلام لا ينفع فى التليفون .. أنا فى انتظارك .. !!

الدكتورة حكمت .. أول وزيرة !



فى اجتماع أسرة تحرير الجيل اقترحت على الاستاذ أنيس منصور موضوعا عن سن المراهقة عند الفتيات ، ورأى اساتذة علم النفس والاجتماع ، وبحثت عن تليفونات وعناوين وأسماء أستاذة علم النفس والاجتماع . واتصلت بالدكتور حسن الساعاتى ، والدكتورة زكى نجيب محمود ، والدكتورة منيرة حلمى والدكتورة حكمت أبوزيد التى كانت تعمل استاذة فى كلية البنات ، وأخذت منها رأيها فى الموضوع بالتليفون ، وذهبت الى الاستاذ حسن أجك سكرتير تحرير الجيل فى ذلك الوقت وبحثنا عن صورة فى الأرشيف للدكتورة حكمت أبوزيد فلم نجد فطلب منى الأستاذ حسن أن اطلب من الدكتورة أن تحضر الى مجلة الجيل لكى يتم تصويرها عدة صور حتى تكون الصورة جاهزة فى الأرشيف عند النشر .

وحضرت الدكتورة حكمت أبوزيد الى مجلة الجيل فى الدور الثانى بمبنى المؤسسة حوالى الساعة السابعة مساء ، وأثناء وجودها فى مجلة الجيل دخل الأستاذ أنيس منصور رئيس تحرير المجلة فى ذلك الوقت الى الصالة ورأى الدكتورة حكمت وقال : من هذه السيدة ياصديقى ؟

قلت له : الدكتورة حكمت أبوزيد .

قال : ياصديقى نريد وجوها جميلة . المجلة تحب الوجوه الجميلة .

قلت : ان رأيها سينشر فى موضوع عن المراهقة .

قال : يافلاح .. المراهقة تحب الصور الجميلة .

وضحكنا وجلست الدكتورة حكمت أبوزيد تتكلم عن سن المراهقة

وصورناها صورا عديدة واتفقت معى أن تحضر فى اليوم التالى لتشاهد الصور.. وحضرت فى اليوم التالى ، واعترضت على الصور وصورناها مرة أخرى ، ونشرت مجلة الجيل الموضوع ، ونال اعجاب الدكتورة حكمت و بدأت تتردد على مجلة الجيل كثيرا وقال أحد الزملاء .. انت معجب بالست دى قوى .. اوعى تكون ناوى تتجوزها .. وضحكنا .. وكانت آراء الدكتورة حكمت ممتازة وصائبة وجريئة ، وفى احدى الليالى واثناء نومى سمعت طرقا شديدا على الباب .. صحى له معظم سكان منازل الشارع الذى كنت اسكن فيه . فقد كنت اسكن فى أرض أغا خان على النيل فى شقة كبيرة أستأجرتها أنا وقريب لى بعشرة جنيهات فى الشهر .. صحوت على صوت السائق عم محمد وهو يقول لى : الاستاذ أنيس عايزك ضرورى ..

قلت : خيراً...

قال : خيراً إن شاء الله ... يظهر فيه واحد وزير اتعين جديد والمفروض انك من الصباح الباكر حتعمل معاه موضوع لأنه طلب أن نذهب ايضا الى منزل المصور.

وذهبت الى الأستاذ أنيس فلم أجده و وجدت أحد الزملاء وقد كان سهران الى وقت متأخر فى المكتب وقال لى : الاستاذ أنيس يبلغك أن تتصل بالدكتورة حكمت أبوزيد وتأخذ منها موعدا لتجرى معها حديثا كبيرا على ست صفحات وغلاف لمجلة الجيل لأنها عينت وزيرة .. !!

قلت : ياسبحان الله وزيرة مرة واحدة .. !!

* * * *

وأخذت أحدث نفسى من أين أحصل على رقم الدكتورة وأنا أعلم أنه ليس لها تليفون فى المنزل ويجوز لها تليفون ولم أحصل على رقم المنزل لأنى كنت أكلمها فى الكلية ..

ــ الكلية آه . اتصل بالكلية واحصل على رقم المنزل .

واتصلت بالكلية وسمعت صوت التليفون ولا من مجيب ، ماذا افعل وذهبت الى الكلية واخذت اصفق الى أن حضر الى الحارس وقال لى : لا يوجد أحد هنا والصباح رباح .

— نعم الصباح رباح .. وأنصرفت من أمام باب الكلية فى الثانية صباحا وحضرت الى الباب فى السابعة والنصف صباحا .. ودخلت الى عامل التليفون لأسأله ، وجدت الخبر شائعا فى البلد . و بسرعة أخذت العنوان وذهبت الى الدكتورة ... وأمام منزلها وجدت العديد من النساء من الأهل والجيران .. نسيت أن أقول أن الدكتورة حكمت كانت ز بونة دائمة فى ندوة المرحوم حسين القبانى الذى كان صديقا عز يزا فقد عين رئيسا للتحقيقات الصحفية والأدبية فى مجلة الجيل وكان يشرف على مباشرة ، وأشهد أنه وقف معى مواقف فيها شهامة ورجولة .. عندما حاول أحد الأخوة الصحفيين النيل منى وهو المرحوم نسيم عمار وتقدم فعلا بطلب الى المرحوم كمال الدين رفعت بنقلى من مجلة الجيل الى ادارة أخرى ، ولكن المرحوم حسين القبانى وقف وقفة شجاعة ضد المرحوم نسيم عمارة وقال للمرحوم كمال رفعت أن المسألة كلها ثقل دم وأن الطرف الآخر يقصدنى — عيبه أنه فلاح ولا يجيد « الحليطه والنفاق » ولا الكلام الحلو الناعم — وصرف كمال رفعت النظر عن النقل وكنت أنا من المعجبين بالمرحوم حسين القبانى وكنت أحضر ندواته الدائمة .. وتزوج أحد الأخوة الدائمين حضور ندوة الأستاذ حسين القبانى الدكتورة حكمت أبوز يد وكان الواسطة فى الزواج المرحوم حسين القبانى وتم هذا قبيل تعيينها وز يرة بفترة قليلة جدا .. المهم قابلت الوز يرة لمدة ثوان قالت : أنها طلبت الى رئاسة الجمهور ية لحلف اليمين ، ووجدت هناك العديد من الصحفيين ورجال الاذاعة والتليفز يون ووكالا الأنباء .. الكل ير يد حديثا من الدكتورة الوز يرة .. ياسبحان الله .. يعز من يشاء و يذل من يشاء ..

* * * *

حلفت الدكتورة حكمت اليمين واتجهت مباشرة الى مبنى وزارة الشئون

الاجتماعية . وكنت فى انتظارها هناك ومعى المصور الأستاذ كمال راشد (مصور حاكم قطر الآن) واجريت معها حديثا كبيرا نشر فى ست صفحات وغلاف على مجلة الجيل . وقالت الوزيرة يومها : ان تعيينها تكريم للمرأة وأن رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر (وهو صعيدى) يؤمن بدور المرأة فى المجتمع ، وأن تعيينها كان مفاجأة تامة لها ، وانها ستعمل لتكون مثلا يحتذى به ، وان تجربة تعيين المرأة وزيرة ستكون مفيدة وناجحة باذن الله .. وانتقدت بعض السيدات اللائى لايعملن ، وقالت أن العمل حق وواجب ، وقالت أنه سيذكر من أعمال الثورة أنها عينت المرأة الوزيرة . وتكلمت عن الزواج ، وأن المرأة تكون فى خدمة الرجل كما أن الرجل يكون فى خدمة المرأة ، وقالت أن وزارة الشئون ستحارب بعض الأشياء التى تسىء الى المجتمع كالتسول والأحداث فى الشوارع .. وستقف بجانب العجزة والمعوقين وتضمن لهم العيش الكريم .. !!

والحقيقة كان حديث الوزيرة كما يقولون جامعاً شاملاً ، معبراً عن فكر الوزيرة .

وبعد نشر الحديث فوجئت بتليفون من أحد المسئولين الكبار ويقول : كيف تنشر هذا الكلام ، وهذه الآراء للوزيرة .. الوزيرة شيوعية وآراؤها شيوعية .. !!

قلت ولكن الوزيرة عينها جمال عبد الناصر ، وطبعا سبقت التعيين تحريات وما أكثر أجهزة التحريات عندنا ــ المخابرات ــ مباحث أمن الدولة ــ الرقابة الأدارية .. الخ .

قال : وماله .. حاجة من الاثنين اما عبد الناصر يعلم أن الوزيرة شيوعية ، أوضحكوا عليه علشان الوزارة يكون معظمها شيوعيين ..

قلت : الا ترى معى أن تصنيف الناس الى شيوعى ويمينى حاجة بايخة .. نحن كلنا مصريون ..

قال : مصريون نعم ، ولكن البعض له ولاء لموسكو فقط أو لأمريكا فقط .

قلت : على كل الا ترى معى أن الحديث مع أول وزيرة فى مصر مهم .

قال : بالطبع ولكن لى اعتراض على الآراء التى نشرت

قلت : هذا من حقها ، وهذه أراؤها

قال : يظهر أنك تميل الى الشيوعية فموضوعاتك التى تنكرت فيها خادما وخلافه توحى بأنك شيوعى .

قلت وفى منتهى الهدوء : بالعكس أنا مصرى ولا أفضل أن أكون شيوعيا أو أمريكيا ، يجب أن يكون الولاء لمصر فقط ولا سوى مصر ..

قال المسئول : يظهر مافيش فايدة ــ قالها وهو غاضب ــ ..

وبعد نشر الحديث اتصلت بى الدكتورة الوزيرة وقالت : الحديث هايل ناس كتير كلمتنى عنه ، ونرجو أن نتعاون سويا فى مجال الاعلام ، وانشغلت الوزيرة وتهافت عليها الجميع وبدأ ينشر لها مقالات وتفرد لها صفحات فى الصحف ، ومع ذلك وللحقيقة وللأمانة كانت السيدة فى منتهى التواضع والاخلاص ..

* * * *

الى أن طلبتها فى يوم ورد على سكرتيها الأستاذ كمال حسنى فى ذلك الوقت لكى يحدد لى موعدا فقالت له : يحضر فورا وبلا موعد وسألتها : لماذا اخترتى سكرتيرا (رجلا) ولم تختارى سيدة (سكرتيرة) .

قالت لى : أن الرجل تفهمه السكرتيرة فهى أقرب الى الأم والأخت ، والسيدة دائما تحاول أن تلبى طلبات الرجل وتنظف له مكتبه وترتب له أوراقه .. أما السكرتير فهو يعمل الف حساب للسيدة المديرة ، ولا أقول الوزيرة ، لأن السيدات الموظفات الناجحات يكن قياديات أكثر من الرجل .. صحيح ينتابهن الخوف أحيانا ولكن تستدهن الوظيفة ومن هنا تأتى الشجاعة ، ويوجد نوع آخر من السيدات (كعادته) يحب أن يسمع القيل والقال «ودنى» ومهما كانت الوظيفة وقوتها فهو ضعيف الشخصية ، وللحقيقة كانت الدكتورة حكمت من

النوع الاول الجرىء المعتز بشخصيته .

* * * *

وفى موعدنا جلسنا .. قلت لها اننى أريد أن أقوم بمغامرة صحفية مثيرة ؟

قالت : وأى نوع من المغامرة هذه هل نويت أن تقتل أو تطلع القمر ؟ أم ماذا ؟؟

قلت : ياساتر يادكتورة القتل فى الحضيض الأوهد اما الطلوع الى القمر ففى أعلى الاعالى .. ؟ !

ضحكت وقالت : اننى أعرف مغامراتك الصحفية فهى جريئة وعجيبة .

قلت : اننى أريد أن أدخل اصلاحية الأحداث ..

قالت : وماذا تريد أن تعمل فى اصلاحية الاحداث .. تحقيق صحفى .. ؟

قلت : ولكن على طريقتى ..

قالت : لم افهم مقصدك ؟

قلت : ادخل الاصلاحية كنزيل فيها .. أخوض التجربة كما ينبغى ان تكون ..

قالت : صحيح جسمك نحيف يبدو عليك أن سنك صغير .. والله ممكن ... بس التجربة خطيرة جدا وقاسية جدا ..

قلت : خطيرة وقاسية كيف ؟

قالت وهى تضحك : العيال أشقياء وممكن يضربوك ويحدثوا فيك عاهة وبعدين نجيب زيك منين ؟

قلت : لا تخافى فأنا قبل ذلك .. قمت بتجارب أخطر منها ..

وطلبت الدكتورة من المرحوم جمال غزى مدير العلاقات العامة فى وزارة

الشئون فى هذا الوقت ــ الحضور الى مكتبها .. وفى ثوان حضر المرحوم جمال وهنا قالت له الوزيرة : عاوزين ندخل الأستاذ عبد العاطى اصلاحية الأحداث كنزيل ، وتعجب مدير العلاقات العامة من القرار وقال : اعتقد أن هذا صعب وربما يعرفه الأولاد .. !!

قلت للمرحوم جمال : ولا يهمك أنا كفيل بأن أندمج معهم كواحد منهم .. ووافقنى الأخ جمال على مضض ..

وذهبنا الى اصلاحية الأحداث فى الجيزة ودخلت الاصلاحية ومكثت فيها أكثر من شهر أعايش الأحداث .. والمشرفين وشاهدت السلبيات والايجابيات وكتبت عنها ... ونشرت التحقيق فى الأخبار وفى مجلة الجيل ..

و بعد النشر استدعتنى الوزيرة وقالت : فيه جهات مسئولة فى الدولة مبسوطة من المغامرة وهناك بعض وزراء غاضبون .

قلت : زى ...

قالت : زى الداخلية غاضبة .. لأنك قلت أن الأحداث يعاملون معاملة قاسية فى الأقسام .

قلت : بالعكس لقد أشدت بالشرطة وقلت أنها تجمع الأحداث ولاتجد مكانا أو مأوى لهم .. أي النقد كان للشئون الاجتماعية وليس للداخلية ..

قالت : على أى حال اننى أقوم بعمل تنظيم جديد للأحداث ورصدنا الامكانيات لتغيير وتطوير اصلاحية الأحداث وسنسميها ... دور الرعاية الحديثة أو الرعاية اللاحقة .

قلت : يادكتورة ليس المهم الاسم .. المهم الفعل .

ـ قالت : على كل لقد سلطت الاضواء على الأحداث ، انما اريد أن اسألك بصراحة هل ما وجدته فى اصلاحيات الأحداث بهذه الفظاعة والبشاعة أم أن المسألة فيها تحابيش صحافة وشوية فلفل على كمون زى مابيقولوا ؟!

قلت لها : ياسيادة الوزيرة : ان مارأيته من مهازل ومآسي فى اصلاحيات الأحداث يفوق التصور والخيال ، فلا اكل ولا نظافة ولا عناية ولا شيء على الاطلاق ..

فقالت الوزيرة : لقد عملت لك مفاجأة .. لقد استدعيت المسئول الأول عن اصلاحيات الأحداث لنتناقش سويا ...

وفرحت لوجود الرجل فقد كان منای أن أراه ، لأنه كان يقول شيئا و يفعل شيئا آخر مخالفا تماما ، واخذنا نتناقش وفوجيء المدير العام بأننى أظهرت له صورا لم ترها الوزيرة وكان مفاجأة كبيرة له ، واتخذت الوزيرة قرارات فورية بنقل مديرى اصلاحيات الأحداث وتطعيمها بموظفين جدد ، واعتمدت ميزانية أضافية للعناية بدور الأحداث وطالبت بتعديل القانون ، وعدل فعلا .

* * * *

وانشغلت فى مجلة الجيل فترة ثم سافرت الى سيناء وغزة مع هيئة الفتوة لأقوم بعمل تحقيقات صحفيه عن الفتوة فى غزة ، وكانت تربطنى باللواء جمال نظيم ــ منشيء الفتوة ــ صداقة كبيرة ، وكنت أسافر فى كل رحلاتهم وقد كانت رحلة غزة من أمتع الرحلات فى حياتى ، فقد كنا أسرة كبيرة ، كان اللواء جمال نظيم يعيش معنا هو والضباط وأسرة الصحافة والاعلام وكان يشركنا فى كل شيء ، لدرجة أنه كان مطلوبا فى بعض الأبواب الثابتة فى مجلة الجيل أن ارسلها من غزة الى القاهرة ، كان يرسل بها سيارة مع مندوب الى مجلة الجيل ، والأبواب التى كنت أكتبها هى البخت .

* * * *

كنت أكتب البخت بعنوان « بختك من السماء » لمجلة الجيل وكان القراء يشكرون فيه فقد كانت ــ بالمصادفة ــ تتحقق بعض النبوآت وكانت تصلنى خطابات شكر على باب البخت وكانت بعض الرحلات والزيارات للمجلة تضم الطلبة الجامعيين وفى مرة سألونى كيف تكتب البخت فقلت لهم أننى أطلع مع ساحر هندى والبس

الطرطور فوق رأسي وهو يتطلع الى السماء وأنا اكتب البخت وصدقوني بينما كنت امزح ومن يومها وأنا لا أقرأ باب البخت فى أية صحيفة لأنه بالطبع كلام فارغ وهذا ما سأذكره بالتفصيل عن البخت وخلافه فى كتاب « ذكريات صحفية » وكتاب « اقلام النفاق اقلام لكل العصور » .

أما الباب الثانى فكان باب « مستعجل بعلم الوصول » وهو رسائل القراء والرد عليها .. وظللت أكتب هذين البابين فترة طويلة تزيد على خمس سنوات ..

المهم عدت الى القاهرة واذا بعامل التليفون يقول لى : الدكتورة حكمت أبوزيد وزيرة الشئون سألت عليك أكثر من مرة ..

واتصلت بها فورا فقالت : كنت أريد أن أقول لك إننى قضيت على المنحرفين فى الأحداث ، وأنت ستكون معنا فى اللجان المشرفة على اعادة تنظيم واصلاح دور الاصلاح ..

* * * *

وشكرت الوزيرة ... وبدأت أعد العدة لعمل مغامرة صحفية جديدة .. وهى عن خطف الأولاد الصغار ، وتنكرت فى زى عضو فى عصابة لخطف الأولاد .. واشتركت فى خطف الأولاد الصغار ، وكشفت العصابة وكيف أنهم يخطفون الأولاد ويعذبونهم ويعلمونهم مهنا شاذة كالتسول والخطف والسرقة ، وكشفت « البئر » التى تخفى فيها العصابة جثث الأولاد الذين يخطفونهم ويشعرون بخطورة منهم ، وكشفت اعضاء العصابة ونشرت الموضوع فى جريدة الأخبار على حلقتين متتاليتين وأثار هذا الموضوع ضجة كبرى ..

وفوجئت بالدكتورة حكمت أبوزيد تطلبنى وقالت : ايه اللى عملته ده... الموضوع بتاعك أثار الذعر.. والناس خايفة على أولادها .. ورئيس الوزراء زعلان جدا ، ووزارة الداخلية تكذب الموضوع .. باختصار « القيامة قايمة » وأنا خايفة عليك جدا .. فموضوعك فى الأخبار كان حديث مجلس الوزراء .. لازم تتصرف وتشوف حاجة والا الموضوع سيكون فى منتهى الخطورة عليك ، وعلى كل اللى ربنا قدرنى عليه قلته ، ولكن لابد

أن تبحث عن أى شخص يكون قريبا من رئيس الوزراء ..

قلت : وهل أجد أقرب منك

قالت : هل معك أوراق ومستندات لما كتبت عنه

قلت : نعم اننى قبل أن أكتب حرفا أجهز معى كل مستند وصورة دالة عليه ، وأنا لم أكتب من فراغ ولكن كل شيء بالصور ومكان العصابة أنا أرشدت عليه ..

قالت الوزيرة : على كل سأحاول أن أتدخل لتهدئة الأمور، أنا غير متفائلة مما سيحدث .. !!

قلت لها : ان الله معى دائما ، وهذه ليست المرة الأولى والأخيرة التى يحدث لى فيها مطبات ولقد اسلمت امرى الى الله ..

* * * *

وفعلا كما توقعت الدكتورة حكمت ، ارادت وزارة الداخلية أن تنشر تكذيبا ولكن طلبت أن يؤجل التكذيب حتى أعطى المسئولين المستندات الخاصة بالموضوع معى ، وثار رئيس الوزراء وقال أن هذا ليس هو مجتمع الكفاية والعدل ، وتم ايقافى عن العمل لحين انتهاء التحقيق وبدأت لجنة من أحد عشر شخصا ــ منهم أشخاص رئاسة الوزراء والاعلام ورئاسة الجمهورية والمستشار القانونى فى أخبار اليوم ــ التحقيق معى .. وكما قلت لأن الله كان معى فقد حدثت المعجزة .. هى أن الشرطة ضبطت العصابة بالمصادفة وكشفوا عن البئر ، واعترفت العصابة بما فعلته واعترفوا أيضا بأنى معهم ، ولقد نشرت تفاصيل هذه المغامرة فى كتاب ــ مغامرات صحفى ــ المهم بعد أن عدت الى الكتابة فى الأخبار اتصلت بى الدكتورة حكمت وقالت : مبروك أنا عملت اللى يقدرنى عليه ربنا ، قلت يا دكتورة لقد حققت معى لجنة كبيرة والحمد لله كل ما قلته كان صادقا ... وشكرت الوزيرة على مجاملتها الرقيقة ، ولم اتصل بها من يومها .. ولكن كنت أتابعها عن بعد الى أن فوجئت بزميل يقول : أنا طالب منك خدمة .

قلت : ماذا ؟

قال : تذهب معى الى الدكتورة حكمت أبوزيد ، لى خدمة عندها .

قلت : ماهى نوع الخدمة

قال : نقل زوجتى

واخذت اتعلل للزميل الى أن حاصرنى .. وطلبت موعدا من الوزيرة التى وافقت وقالت : احنا متخاصمين واللا ايه ؟ !

قلت : لا

قالت : فينك من زمان ؟

قلت : شوية مشاغل

قالت : اوعى تكون زعلان .. ربنا يعلم أنا عملت ايه .

قلت : لقد نسيت هذا الموضوع تماما .. وكلمتها فى خدمة الزميل ونقل زوجته فأشرت على الورق بالنقل فوراً ..

وكان مدير العلاقات العامة يتصل بى من وقت لآخر ليعطينى أخبار الوزارة .

الى أن نشرت الأهرام فى أحد الأيام بأنه يحتمل اجراء تعديل وزارى وبدأت تتكلم عن تجربة الوزيرة ، ولمحت الى احتمال التغيير، وفعلا ظهر التشكيل الجديد وخرجت الدكتورة حكمت من الوزارة ، وبدأت الاشاعات تنتشر عن خروجها من الوزارة ، البعض يقول أنها فى الفترة الأخيرة كانت متفرغة لمنزلها وليست للوزارة ، والبعض يقول بصراحة لم تعط الوزارة النشاط الكافى ..

ولكن كل هذا الكلام .. كلام فارغ .. وهذه هى عادتنا دائما اذا وقعت «الجاموسة كما يقولون كثرت سكاكينها» .. فقد كان عبد الناصر — رحمه الله — يحب التغيير ويعلم أن الشعب يحب التغيير ولا يترك مسئولا فى موقعه فترة طويلة

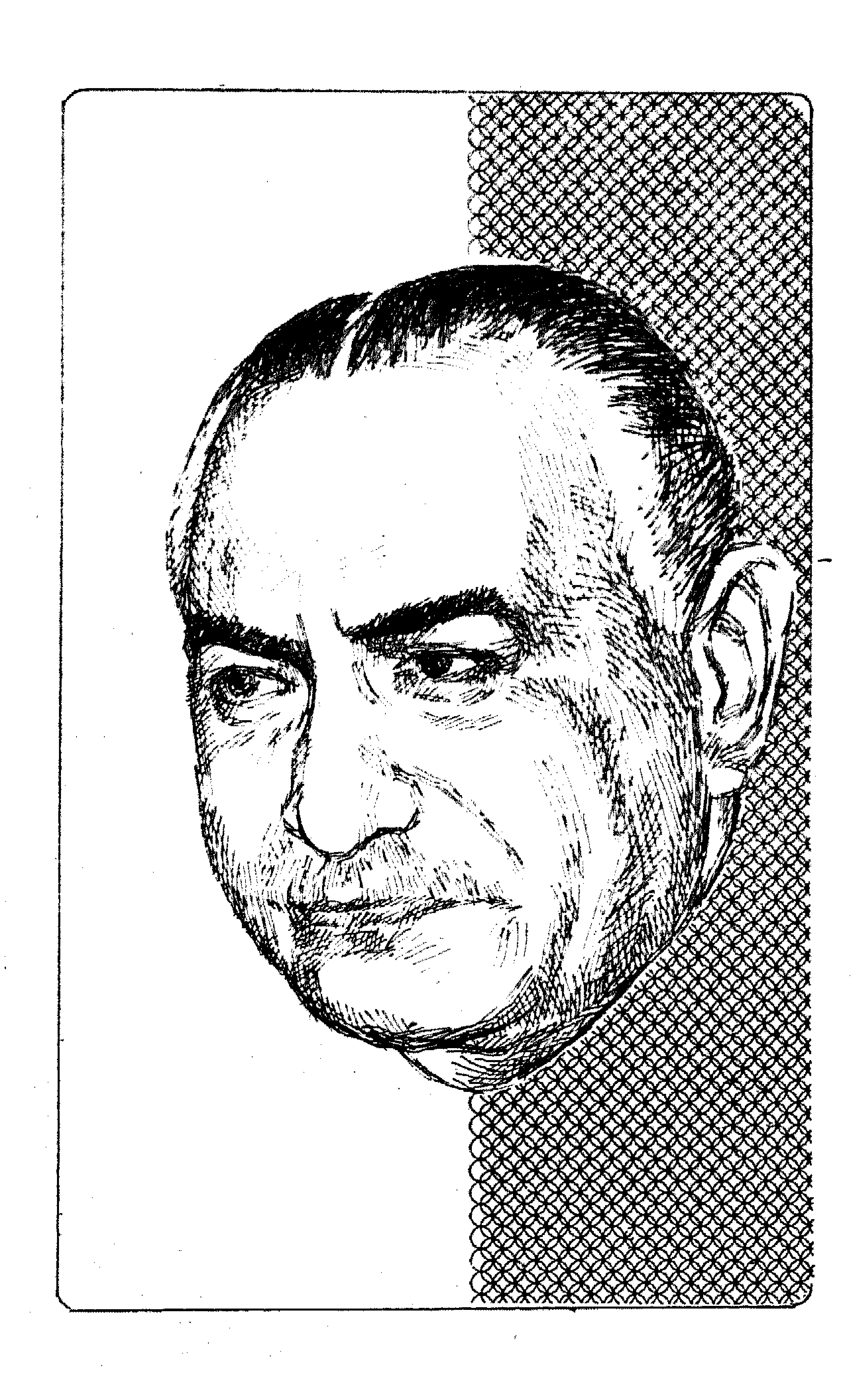
حتى لا يربى اقطاعيات و يستغل نفوذه . وخرجت الدكتورة حكمت من الوزارة وبعد فترة ذهبت الى ليبيا للعمل كأستاذة هناك فى وقت كانت العلاقات ممتازة بين مصر وليبيا ، ثم حدثت الوقيعة بين مصر وليبيا . وثورة مايو. وبدأت ليبيا تأخذ موقفا من مصر خصوصا بعد كامب ديفيد ، وبدأت الدكتورة حكمت أبوزيد تعطى أحاديث تهاجم فيها سياسة مصر وللأسف قالوا أنها كانت تهاجم مصر هى والممثل عبدالغنى قمر الذى توفاه الله فى العراق ولكنها أعلنت أكثر من مرة أنها تهاجم سياسة الرئيس السادات .

* * * *

ولقد كانت أول وزيرة كما حكم عليها التاريخ تجربة هامة ولكن كان المطلوب من الدكتورة حكمت أن تعطى الوزيرة حكمت أكثر من هذا ، كما كان المطلوب منها أن تحرر الوزارة من الروتين والبيروقراطية ، لقد عملت حكمت أبوزيد وزيرة للشئون وكان المطلوب منها الكثير، ولعلها كانت قاعدة أن كل وزيرة بعد ذلك تكون وزيرة للشئون الاجتماعية فبعدها جاءت الدكتورة عائشة راتب والدكتورة آمال عثمان ..

تركت الجريدة . ذهبت الى مكان مهجور فى عزبة النخل . وصلت الى المكان المختبىء فيه شكرى مصطفى زعيم جماعة التكفير والهجرة التى قتلت الشيخ الذهبى وزير الأوقاف والذى أجريت معه حديثا عن خطر هذه الجماعة .. وجدت هناك فى عزبة النخل اللواء حسن ابوباشا الذى اصبح فيما بعد وزيرا للداخلية ووزير الحكم المحلى الان ، ووصل اللواء نبوى اسماعيل وبدأ انتشار الحملة ووجهت الميكروفونات الى مقر شكرى : سلم نفسك ياشكرى .. المنزل كله محاصر.. وشعرت كاننى اشاهد فيلما أمريكيا من اخراج هيتشكوك ..

الوزير نبوى



فى يوم من أيام سنة ١٩٦٤ أبلغنى المقدم جمال خليفة مأمور قسم التليفونات ـ لواء الان بالمعاش ـ وهو صديق عزيز، بأن العقيد محمد النبوى اسماعيل مدير البحث الجنائى بشرطة النقل والمواصلات فى ذلك الوقت ـ يطلب مقابلتى واستعلمت عن سبب المقابلة فقال لى انه يريد أن يعرف كيف دخلت متنكرا الى مصلحة البريد، وكنت قد دخلت هيئة البريد متنكرا فى زى موظف بريد لاكشف الاهمال الذى كانت تعانى منه الهيئة فى ذلك الوقت، فتقدمت الى وظيفة موظف فى هيئة البريد عن طريق إعلان للهيئة ونجحت وقدمت مسوغات التعيين وعينت بالطريقة السليمة وحاولت كثيرا ان يكون تعيينى فى الديوان الرئيسى لهيئة البريد بالعتبة، وهناك شاهدت العجب العجاب، آلاف الرسائل تلقى على الأرض، مرتبات الموظفين تتأخر، الخطابات ليس لها صاحب، بعد الغذاء يأخذ العمال كوما من الخطابات لكى يمسحوا فيها ايديهم بل وصل الامر الى أن بعض الخطابات تدخل التواليت لاستعمالها لعدم وجود مياه فى دورات المياه.. !!

* * * *

المهم ظللت اتنقل فى اقسام الهيئة المختلفة واعرف أوجه القصور فيها، الى ان حصلت على معلومات كثيرة وخطيرة عن طريقة العمل الارتجالية فى البريد والغموض الموجودة فيه، ولكى ادلل على هذا أخذت معى مجموعة كبيرة من الخطابات، منها خطابات بها شيكات صرف رواتب الموظفين، وخرجت من البريد وكتبت سلسلة مقالات فى أخبار اليوم بعنوان «مجهول يدخل هيئة البريد ويحصل على الخطابات» وتحديت رئيس هيئة البريد أن يكذب الواقعة، وتتابعت الحملة الصحفية الى أن كلمنى العقيد جمال خليفة مأمور قسم التليفونات.: ونظرا لصداقتى به وكنت اعرفه عن طريق الاستاذ حلمى الشنوانى قريبى وكيل النيابة فى ذلك الوقت ـ المستشار الان ـ وقلت له سأذهب معك الى النبوى بك كما كانوا يطلقون عليه، وفى مبنى ادارة السكة

الحديد دخلت عليه في مكتبه ففوجئت به يرحب بي كأنه يعرفني منذ سنوات . وبينما كنت متحفزا للاسئلة فوجئت به يبدى أعجابه بالحملة الصحفية ـــ وهذه فطنة رجال المباحث ـــ وقال لي : هل تريد ان تشرب فنجانا مع مصطفى بك علواني ـــ وكان اللواء مصطفى علواني هو مدير ادارة مباحث السكة الحديد والمواصلات . ودخلنا الى مكتب المدير وجلسنا نتحدث عن البريد . الى أن فوجئت بسؤال من المدير يقول لي : اريدك أن تحكى لي كيف دخلت هيئة البريد والطريقة التي دخلت بها ، وسكت ولم انطلق الا بعد مدة وقلت له : انت تعلم ياسيادة المدير أن الصحفي لا يقول على مصدره ولا يفشي سرّ مَنْ ساعده وتدخل العقيد النبوى بلباقة وذكاء وقال : أنا مع الأستاذ عبد العاطي ، ودق جرس التليفون في مكتب المدير فانتهزها العقيد النبوى فرصة واخذني الى مكتبه وجلسنا نتكلم عن اشياءٍ كثيرة الى أن فوجئت به يقول لي : لقد فهمت من الحملة التي تكتبها في اخبار اليوم أنك تريد الاصلاح فما المانع ان تواجهه .

قلت : اواجه مَنْ .. ؟

قال : اللواء عبد العزيز شاكر رئيس هيئة البريد

قلت : ولماذا اواجهه ؟

قال : لتقول له على عيوبه ـــ اقصد عيوب مصلحته وسكت ـــ لحظة وفكرت في التحقيق الصحفي وتخيلت العنوان الرئيسي في التحقيق الصحفي يكون : اخبار اليوم تواجه رئيس هيئة البريد ـــ و وافقت على المقابلة بعد ان استأذنت الاستاذ سعيد سنبل مدير تحرير اخبار اليوم في ذلك الوقت وعرضت عليه الموضوع تليفونيا فوافق على المقابلة ..

* * * *

وعبد العزيز شاكر ـــ رحمه الله ـــ كان شديدا جدا في المعاملة .. رجل عسكري من رجال الثورة ، وكان البعض لا يحبه في المصلحة ويحاول ايجاد ثغرات له في العمل وكان لا يخفض راسه ابدا وكانوا يشنعون عليه باسم « ابو الهول » ..

وفى الموعد المحدد ذهبت الى العقيد النبوى وصحبنى الى رئيس هيئة البريد الذى حاول فى بادىء الامر ان يتكلم بعظ بثقة غير لائقة ولكنه وجدنى وقد جمعت اوراقى وهممت بالانصراف ومرة اخرى بلباقة وذكاء العقيد النبوى استطاع أن يسيطر على الموقف واعتذر لى رئيس هيئة البريد وقال اعذرنى ان الحملة التى كتبتها فى « اخبار اليوم » شديدة شوية وكانت موجهة .

وتكهرب الجو من جديد وقلت موجهة الى مَنْ ؟ لا يوجد شخص يوجهنا ، وقال العقيد النبوى : لقد سألت عن الاخ عبد العاطى فهو صديق لشخص اعرفه فشكر فيه ، كما أن لى بعض اصدقاء اخرين شكروا فيه ايضا ، وبخلاف كل هذا فاننى اعرفه منذ ايام وكأنى اعرفه منذ سنوات ، وجلست أواجه رئيس هيئة البريد ولم يتدخل العقيد نبوى لا فى الاسئلة ولا فى الاجابة ، وذهبت الى « اخبار اليوم » وكتبت التحقيق وعندما قرأه العقيد نبوى اتصل بى بالتليفون وقال : على فكرة الموضوع كويس جدا .. انت اخذت حقك والناس عرفت أن كل الذى كتبته « اخبار اليوم » صحيح ١٠٠٪ فقد اعترف رئيس الهيئة بالتقصير .. صحيح انه طالب بالامكانيات ولكنه اعترف ايضا بالثغرات ووافقك عليها جميعا ..

* * * *

واستمرت العلاقة بينى و بين العقيد نبوى ، اتصل به واحصل منه على الحوادث واكتبها فى الجريدة وفى اخر الايام كلفتنى الجريدة بالسفر الى قطاع غزة مع هيئة الفتوة التى كان يرأسها فى ذلك الوقت اللواء جمال نظيم — نائب رئيس هيئة الشباب فيما بعد — والحقيقة لقد استطاع اللواء جمال نظيم أن يجعل من الفتوة جهازا ممتازا اقبل عليه كل الشباب ورحبت به المدارس ، وكان جمال نظيم لا يعترف بالعقبات وكانت ينتقى رجاله فكانوا جميعا أسرة متماسكة لا يدخل أحد بينهم وكانت كل صغيرة وكبيرة سرهم فالسر الذى تجده عند العسكرى تجده عند اللواء ، ولا يستطيع أحد أن يدخل بينهم ، وكان اللواء نظيم يؤمن بالصحافة و يوفر لها الامكانيات اللازمة ، وعلمت أن هيئة الفتوة اعدت سيارات للذهاب

الى غزة ولكن فى هذه المرة — فقد ذهبت معهم مرات عديدة — قد كنت مريضا ونصحني الطبيب أن أستقل القطار الى غزة ، وطلبت العقيد النبوى لكى آخذ رأيه فى الذهاب الى غزة بالقطار ، فقال لى السيارة لها ميزة والقطار له ميزة ، فاذا لم تكن مريضا فاذهب بالسيارة واذا كنت مريضا فالقطار أحسن ، وذهبت الى غزة بالقطار بناء على نصيحة صديق عزيز وهو الأستاذ الدكتور أسامة عبد العزيز — وكان وقتها فى نهائى كلية الطب — وكنت أؤمن به منذ صغره ..

* * * *

وفى محطة مصر وجدت العقيد نبوى بنفسه يودعنى وفى القطار وجدت شرطيا يلبى لى رغباتى ، وقد كان القطار مزدحما وبه عدد كبير من الباعة الجائلين وتجار الشنطة فقد كانت غزة هي المنفذ الوحيد لمصر لشراء كل الحاجيات . وكان تجار غزة ينتظرون القطارات والسيارات القادمة من مصر مثلما يحدث فى بورسعيد الآن لكى يبيعوا للتجار وللزوار الغالى والنفيس ، ومكثت فى غزة حوالى أسبوعا ثم عدت لأشكر العقيد نبوى فوجدته يطلبنى فى المنزل ويقول لى : حمداً لله على السلامة .. أنت تعبان لسه .

قلت : يعنى .. من السفر .
قال : كنت عاوزك ..
قلت : « خيراً الله أم اجعله خيراً »
قال : ابدا قضية ممتازة فى السكة الحديد ، وكنت حاجزها لما ترجع ..
قلت : فوراً سأحضر لك .

وتركت كل ما فى يدى وذهبت الى العقيد النبوى فوجدت القضية والمتهمين ونشرتها فى أخبار اليوم .. ولفتت الأنظار .

وكنت أحصل على القضايا من العقيد النبوى لأنشرها ، وكان العقيد عبد العال شطا رئيس مباحث المنوفية ، وهو صديق عزيز يرسل لى الحوادث مع عسكرى المراسلة لكى أنشرها فى « أخبار اليوم » وكان يحزن عندما لا يجد حادثة منشورة من المنوفية فى أخبار اليوم لدرجة أن بعض زملائه وزملائى قالوا لنا : ان

عبد العال شطا أصبح بابا ثابتا فى اخبار اليوم ، ولكن والحق يقال ، كان عبد العال شطا حريصا على القضايا التى تلفت النظر ، فقد كان مهتما بالصحافة وكان يقول : احنا قضايانا ليست مثل الكلب الذى عض الرجل ، فهذا شيء عادى ولكن قضايانا مثل الرجل الذى عض الكلب .. فهذا شيء غريب والقراء يحبون الشيء الغريب ..

فقد كانت معظم القضايا على شاكلة الرجل الذى عض الكلب .. !!

المهم لقد تضايق عبد العال من معرفتى بنبوى بك وقال لى : خللى بالك من بتوع مصر ، ده أنا خدمت فى الغردقة مع النبوى وأنا أعرف أنه مش سهل ، وعرفت بعد ذلك بأن ماقاله عبد العال نوع من التمسك ليس إلا ..

* * * *

واستمرت علاقة الصداقة بينى وبينه وزادت العلاقة عندما علمت بأنه زوج الفنانة فايدة كامل وهى سيدة أقدرها وأحترمها ، فهى فنانة مثقفة متعلمة محترمة وفيها شهامة الرجال ومقابلتها مثل للكرم ، وقد كنت ومازلت اعتبرها بمثابة شقيقتى ، فمثلا قد اتصل بالعقيد نبوى فى أى وقت فى الليل أو فى النهار فإذا لم أجده اترك لها رقمى وأجده يطلبنى من أى مكان ، وكما كنت كل أسبوع حريصا على أخبار وحوادث السكة الحديد كان لاينافسنى فيها الا الاستاذ محمد زعزع ، فقد كان مندوب الأخبار فى السكة الحديد ويحاول أن يسبقنى فى الحصول على الحوادث ، وعندما وجدت نفسى سأخسر الصديق محمد زعزع ، تركته هو يحصل على الحوادث للأخبار وأنا أحصل على حوادث أخبار اليوم وأستمر الوضع على هذا وكنت أقابل العقيد النبوى فى قطار الرياسة ، فقد كان هو المسئول عن تأمين قطار الرئيس جمال عبد الناصر عندما يذهب الى الاسكندرية ، وقبل السفر تعتقل الدولة جميع المشبوهين أو السياسيين الذين تخشى منهم خطرا وتحبسهم وتطلق سراحهم بعد الرحلة ، وفى احدى المرات قابلت نبوى فى قطار الرئيس ، فقد كنت مندوب الصحيفة فى رئاسة الجمهورية وذهبت الى القطار لأكتب تحقيقا صحفيا تحت عنوان « الشعب وقطار الرئيس » ووجدت نبوى فى القطار منتبها وخصوصا عندما يهدىء من سرعته أو يقف فى المحطات وباعصاب هادئة

دائما يسيطر على الموقف ويحاول أن يحول بين الرئيس والجماهير حتى لا يحدث أى خطر بالنسبة للرئيس أو القطار، وكنت أحسد النبوى على أعصابه، فقد كان يرتب كل شيء و يقف فى وسط الجماهير دون أن ينزعج و يرتب كل شيء بهدوء وكان فى كل مرة يتلقى الثناء والشكر شفويا أو تحريريا من رؤسائه ..

واستمرت العلاقة بينه وبينى أكثر من أشقاء، الى أن توفى الرئيس جمال عبدالناصر وتولى السادات الحكم، وفى يوم ٥ مايو اتصل بى العميد النبوى ــ فقد رقى الى رتبة عميد ــ وقال لى: يوجد موضوع ممتاز عن لصوص القطارات وذهبت اليه على الفور فوجدت عددا كبيرا من اللصوص يعترفون أمام وكيل النيابة بأنهم يسرقون القطارات، وأنهم يتمنون سرقة أى قطار وأنهم علموا بأنه ستحدث اضطرابات فى وقت قريب، وأثناء التحقيق ظهر أنه يوجد لصوص آخرون للأتوبيسات وأن هؤلاء اللصوص جهزوا لعمل فوضى، ولم يصدق أى واحد منهم .. المهم ذهبت الى الجريدة وكتبت الموضوع فوافق رئيس تحرير أخبار اليوم ــ وكان وقتها الأستاذ احسان عبدالقدوس رئيسا للتحرير ــ واعددت الموضوع للنشر فى الأسبوع التالى ..

وفى يوم الجمعة بعد الصلاة اتصل بى العميد نبوى وقال لى: عملت ايه فى الموضوع ؟

ــ قلت له: نازل بكرة على صفحة كاملة.

ــ قال: معلهش أنا حاطلب منك طلب بايخ شوية ..

ــ قلت: لا أبدا

ــ قال: أجل الموضوع .. اعمل المستحيل علشان تؤجله، علشان خاطرى أنا حاقولك بصراحة: الرئيس أنور السادات استدعى اللواء ممدوح سالم محافظ الاسكندرية واعتقد أنه حيكون وزير الداخلية وحيحلف اليمين بكرة وأنا فوجئت بأنى سأكون معه ماسك مكتبه، ونشر الموضوع بهذه الطريقة يمكن يغير الكثير..

على النموه احنا متعودين على الصراحة مع بعض . وأنا قلت لك وأنت اتصرف وأنا عارف إنك حتتصرف ..

* * * *

قفل العميد نبوى السماعة وكأنه يضربنى بها على رأسي .. ماذا أفعل الآن ؟ هل أقول الموضوع بصراحة ؟ ولو صعدت من صالة التحرير لأقول للاستاذ احسان على تأجيل الموضوع ، أكيد سيثور فى وجهى خصوصا أن أولاد الحلال كانوا لا يريدون أن أكون معه على علاقة حسنة . فبالرغم من أننى أعمل الا أنهم دائما يحاولون الاساءة لى عند رئيس التحرير .. وأخذت أفكر كثيرا وخصوصاً أن الصفحة على وشك أن تدخل المكبس ، واذا دخلت المكبس انتهى الأمر ، وأقول انتهى الأمر نظرا لما فكرت فيه وسأفعله ..

* * * *

دخلت على عم حسن النحاس رئيس قسم التوضيب «باخبار اليوم» وأخذت التحدث معه فترة طويلة . ففهم خطأ أننى أريد وضع بياض تحت اسمى حتى يظهر و يلمع كما يقول عم حسن . **وأثناء انشغال عم حسن مع أحد عمال التوضيب ــ ودون أن يدرى أحد ــ أوقعت الصفحة على الأرض .. يعنى هذا أن الحروف والجمع كله أصبح غير منظم أو «اتلخبط» كما يقولون ، وفهم عم حسن اللعبة وقلت له بصراحة أنا مش عاوز الموضوع ده يطلع بأى طريقة ،** وهنا جرى الاستاذ سامى محمود سكرتير تحرير أخبار اليوم فى ذلك الوقت ليقضى على هذه الكارثة ، فقد كانت كارثة بكل المقاييس ، ففى الوقت الحرج فى طبع الجريدة حوالى الساعة الخامسة مساء . والصفحة تقع ، والجمع «يتفرق» كما يقولون ، وموعد الطبع الساعة السادسة أو السابعة مساء على الأكثر ، لأن «أخبار اليوم» تطبع مليون نسخة ، و بسرعة اخبروا الاستاذ احسان عبدالقدوس بما حدث ، فثار ثورة عارمة وصمم على أن أحال للتحقيق . وان ما حدث عبث ، ولكن بعض أصدقائى تكلموا معه وقالوا له أن الذى حدث

قضاء وقدر، وأن الاستاذ احسان يمكن ان يضع موضوعا آخر مكانه ..

وفي الصباح اتصل بى العميد نبوى اسماعيل وقال : « ابوعبده » ـــ هكذا كان ينادينى ـــ السيد ممدوح سالم حلف اليمين وعين وزيرا للداخلية وأنا سأكون معه ولا أعرف ماهو موقعى ، أنما يسعدنى أن اعمل مع هذا الرجل فى أى مكان أو أى موقع ، وبعد فترة اتصلت به وقلت له ما الموقف فقال ربنا يسهل ..

والحقيقة رغم ما كان يربطنى بالعميد النبوى الا أننى لم أحصل منه على الأخبار الا « بالتيلة » كما يقولون ، فقد كان قليل الكلام .. وعرفت من وزارة الداخلية أن ممدوح سالم وزير الداخلية فى ذلك الوقت عين نائبين الأول .. نبوى اسماعيل لشئون الأمن ، واللواء كمال خيرالله مدير أمن القاهرة نائبا له للشئون المالية وشئون التدريب ، وعندما يكون هناك نائبان يدخل بعض الذين لا هم لهم الا أن يوقعوا بين الطرفين ، وفعلا لم يستمر هذا النزاع طويلا .. ونقل اللواء كمال خيرالله وأصبح العميد نبوى هو المدير المسئول عن مكتب ممدوح سالم وزير الداخلية ، ويمتاز النبوى بأنه قادر على العمل ٢٤ ساعة ، ذهنه وبديهته صافيان ، يعمل حتى الرابعة صباحا ويذهب الى منزله والتليفون بجانبه ، ولا أذكر أنه رفع فيشة التليفون فى أى وقت من الأوقات ولذلك يكسب النبوى كثيرا فهو يعمل وعمله يتكلم ويستطيع من يعمل معه أن يلقى حمله عليه .. والذى يعمل يحسد على عمله ، فلذلك كان للنبوى من يحسدونه على طاقته التى ليس لها مثيل ..

واستمرت علاقتى وصداقتى بالعميد نبوى الى الآن .. وحدثت أشياء كثيرة وحاول البعض الايقاع بيننا ولكن كان هذا بمثابة سحابة صيف ، وقد حدثت أكثر من واقعة تستحق التسجيل أولها أننى علمت بأنه توجد جماعة اسمها التكفير والهجرة ، وهذه الجماعة تعيش فى الصعيد ويقوم فكرها على أساس تكفير المجتمع الحالى والحاكم ايضا لأن المجتمع لا يسير على تعاليم الدين وأنتشر فيه الفسق والفجور، وأن أحسن شيء هو الابتعاد عن الوظيفة الميرى لأن مرتبات الحكومة من البنوك ، والبنوك تتاجر فى الربا والحرام، أى أن مرتب الموظف من حرام ، وذهبت الى المنيا والصعيد وقابلت زعيمهم

شكرى مصطفى ، وأجريت معه حوارا فانهال بالسباب على المجتمع والحاكم وعلى الصحافة أيضا لأنها أداة قذرة من أدوات الحاكم وقال أنه وهو مهندس زراعى ترك الوظيفة واشتغل بائع خضار كذلك كل أعضاء الجماعة تركوا العمل واشتغلوا بالتجارة فتسع أعشار الرزق فى التجارة كما يقول الحديث الشريف ..

و يومها كتبت تحقيقا كبيرا على الصفحة الثالثة ومانشيت فى الصفحة الأولى عن جماعة التكفير والهجرة وسألت فى هذا التحقيق الشيخ الذهبى وزير الأوقاف فى ذلك الوقت فقال أن هذه الجماعة ضالة ومضللة .. يجب أن تقف عند حدها ، وقال أيضا أنه آن الآوان لكى تقف الدولة بما لديها من قوة ، وصدرت أخبار اليوم و يومها تلقيت تهديدا بالقتل تليفونيا ، ولم اعبأ بهذا التهديد وفكرت أنه مجرد مزاح ثقيل من أحد الاصدقاء و وصلنى أكثر من خطاب فحفظته لوقت اللزوم كما يقولون الى أن حدث أن طلبنى المرحوم سامى جوهر رئيس قسم الحوادث وقال لى : هل تعرف رقم تليفون الشيخ الذهبى ؟ فقلت له لماذا ؟ قال : لأن أعضاء جماعة التكفير والهجرة خطفوه .. !!

وفكرت لحظة وقلت فى نفسى ، اذن المسألة جد ، وخشيت على نفسى واندمجت فى الاتصال بالشرطة للبحث عن الشيخ الذهبي الى أن وجدته الشرطة فى شقة بالجيزة مقتولا ومشوها ، وهنا قامت القيامة كما يقولون ، وزارة الداخلية بأكملها حولت المنطقة الى غرفة عمليات ، الصحف المحلية والعالمية تطالب أجهزة وزارة الداخلية بالبحث عن العصابة التى قتلت الوزير..

وكنت أذهب الى مكتب نائب الوزير فأجده سهران فى المكتب الى الساعة الرابعة صباحا يتابع المعلومات التى تصل تباعا اليه ، وفى أحد الأيام وكان يوم جمعة طلبنى الاستاذ سعيد سنبل مدير تحرير أخبار اليوم فى ذلك الوقت وقال لى : أنت فين يا أستاذ ؟ هل كلمت النبوى أمس ؟

قلت : لا

قال : سامى جوهر تكلم وقال أن بعض الضباط من المباحث الجنائية والمباحث العامة قبضوا على شكرى مصطفى فى مخبئه فى عزبة النخل ،

وضبطنا سيارة سريعة من الخراج ومصورا من التصوير ونزل الأستاذ سعيد سنبل بنفسه مع أن يوم الجمعة هو يوم حساس في العمل ولابد أن يمكث مدير التحرير لكي يتابع الأخبار الخارجية واخبار الصفحة الأولى والمانشيت .. وتركت الجميع وذهبنا الى عزبة النخل في مكان مهجور ووصلنا الى المكان المختبىء فيه شكرى مصطفى .. ووجدت هناك اللواء حسن أبوباشا الذى أصبح فيما بعد وزيرا للداخليةـــ ووصل اللواء نبوى اسماعيل وبدأ انتشار الحملة ووجهت الميكروفات : سلم نفسك ياشكرى .. المنزل كله محاصر .. وشعرت كأننى أشاهد فيلما أمريكيا من أخراج هيتشكوك .. جريمة وناس وشرطة .. وعندما لم يمتثل شكرى . اقتحمت الشرطة المنزل وقبضوا عليه وكان يرتدى جلبابا اسمر وعيناه نفاذة غريبة ويومها قال للواء نبوى : والله لربنا ينتقم منكم ومن رئيسكم وأخذ يتمتم بأشياء غريبة . وركبت في السيارة مع اللواء نبوى الى سجن القلعة ، ودخلت السجن وحاولنا الحديث مع شكرى لأنه كان يعرفنى فقد أجريت له حديثا صحفيا من قبل .. فنظر الى نظرات غريبة ، وقال : لا أتكلم مع صحافة الحاكم الكافر . انكم صحافة مأجورة عميلة للحاكم ، صحافة كفرة ، وانت بالذات كافر . ولقد أهدرنا دمك .. فأنت سبب مصيبة الذهبى . ولولا نشرك هذا الموضوع لما قتلنا الشيخ الذهبى ..

* * * *

ورجعنا الى الجريدة ونشرت «أخبار اليوم» فى اليوم التالى موضوعا كبيرا جدا وانفردت به صورا وأخبارا لأن الجميع كان يعمل كفريق متكامل وكان هذا نجاحا كبيراً للواء النبوى .. وأخذت قضية التكفير والهجرة شوطا كبيرا فى الصحافة المحلية والعالمية ، واستمر النبوى نائبا للوزير الى أن عين ممدوح سالم رئيسا للوزراء وعين سيد فهمى مدير مباحث أمن الدولة وزيرا للداخلية وأصبح اللواء النبوى اسماعيل مديرا لمكتب رئيس الوزراء .. ومن الوقائع الهامة التى أذكرها يومى ١٨ ، ١٩ يناير ، فقد أعلن وزير المالية فى ذلك الوقت زيادة الأسعار بطريقة فجائية ، فهاجت

الجماهير وقامت بمظاهرات كبيرة . وعندما ذهبت الى مكتب اللواء نبوى لأعرف الحقيقة فوجئت به هادئا وكأن هذه المظاهرات لم تحدث و يتابع تحركات الشرطة فى اتجاهاتها ، و بعض الضباط المسئولين عن الأمن مذعورون وهو ثابت الأعصاب ، الى أن أنتهت هذه الأزمة وحدث تعديل وزارى وأصبح النبوى اسماعيل وزيرا للداخلية فى وزارة ممدوح سالم ، ولكن أولاد الحلال ، وما أكثرهم ، نجحوا فى الايقاع بين الصديقين نبوى وسالم وأصبح كل منهما فى طريق ، واستطاع اللواء نبوى أن يكون قريبا من الرئيس السادات وكان معظم خطب اللواء نبوى ان لم تكن كلها تدور حول فكر القائد والزعيم . .

و يعاب على النبوى اسماعيل أن حبه واخلاصه للرئيس السادات كان أكثر من اللازم فقد كان كل كلام الرئيس أوامر، وقد طلب وزير الداخلية من الرئيس الا يذهب الى المنصورة خشية من تصرف الجماعات الدينية ، فقد ضبطت مباحث أمن الدولة بعض الأشخاص الذين اعترفوا بوجود مخطط لاغتيال رئيس الجمهورية ، ولكن السادات كان بطبعه عنيدا وقال : أن العمر واحد والرب واحد ، وذهب الى المنصورة وكان الاحتفال كبيرا واندفاع الجماهير أشد ، ونجحت الزيارة نجاحا منقطع النظير، وأراد بهذا أن يثبت أن حب الشعب له أقوى من المؤامرات وأقوى من كل شيء ، وكان لابد بعد ذلك أن توضع الصورة كاملة وتكبر الصورة للرئيس لخطورة الموقف وخطورة الجماعات الاسلامية . .

وقد نبه السادات الى هذه الجماعات فى خطبة القاها فى المنصورة وقال أن بعض الأفراد حاول أن يعمل عملا كبيرا وأنه جار القبض عليه واذلاله ، و بدأ الاستعداد لحملة اعتقالات سبتمبر المشهورة وامتازبها عن غيرها من حملات الاعتقالات التى كان يجريها صلاح نصر بأن الأولى كان لا يعرف للمعتقلين طريق فيها علاوة على التعذيب الذى تخصص فيه هو وشمس بدران وحمزة البسيونى ، أما فى اعتقالات السادات فقد نشرت الأسماء فى الصحف ودافعت عنها بعض الأقلام وطالبت بمزيد من الاعتقالات حفاظا على وحدة الوطن . .

واستمرت الأيام والجو كله متوتر الى أن جاءت احتفالات أكتوبر

وحدث اغتيال السادات وتولى حسن مبارك الرئاسة وعهد الى فؤاد محيى الدين بتشكيل الوزارة وعين اللواء نبوى اسماعيل نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للحكم المحلى وتولى اللواء حسن أبوباشا وزارة الداخلية ثم بعد ذلك وفى أول تشكيل ترك اللواء نبوى اسماعيل الوزارة واحيل الى المعاش .. وبدأت صحف المعارضة والذين يكرهونه حملة تصفية حساباتهم مع اللواء نبوى انتقاما منه بعد أن ترك منصبه كوزير للداخلية ..

* * * *

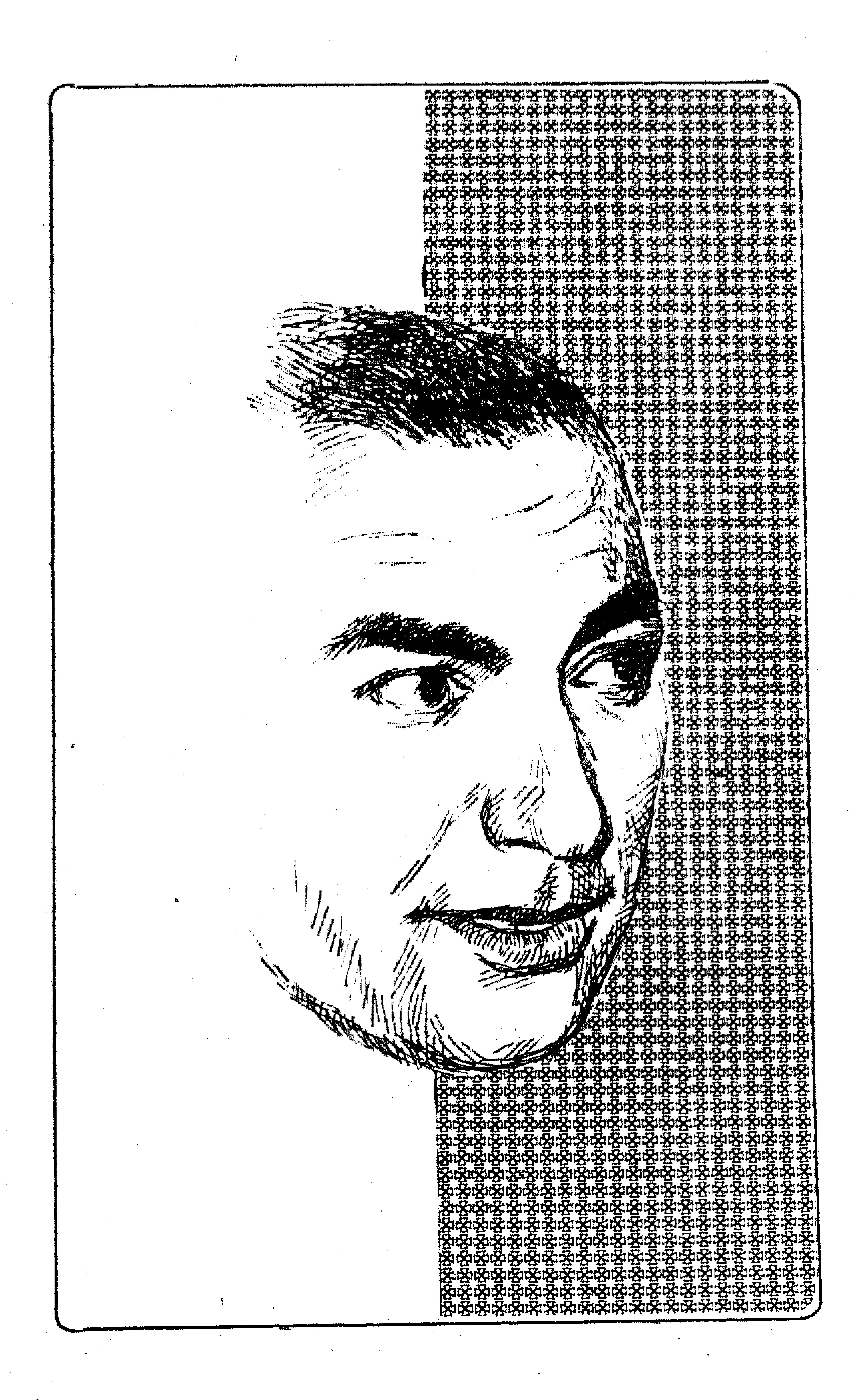
وفى النهاية شهادة أقولها للتاريخ :

أن اللواء نبوى وكنت ومازلت أعرفه عن قرب ، انسان وطنى ذكى لماح لايعرف الهزيمة يحارب محاربة قوية ، لا يهزم ابدا ، ولكن تحمسه للأشخاص أحيانا يكون أكثر من اللازم ، وكان السادات لايحب أن يناقش اذا اقتنع بشىء ما .. ولوسمع السادات لكلام وتقارير النبوى وشرائط الفيديو التى عرضها عليه للأشخاص الذين كانوا يعدون العدة لقتله لما ذهب الى احتفالات أكتوبر أو اتخذت الحماية الكافية له ، فلأول مرة يحدث فى التاريخ الا يقف عسكرى واحد أمام المنصة ليحرس رئيس الجمهورية ، كذلك لم يكن رجال الأمن الخاص بحرس الرئيس على مستوى عال ، والظروف كلها تضافرت ، فالطائرات ظهرت والرئيس ينظر الى أعلى ، ودخول سيارة خالد الاسلامبولى ورفاقه ورمى قنابل الدخان وتقدم خالد الاسلامبولى ورفاقه وظلوا يضربون الرئيس ضربات قاتلة وموجعة .. وقد كان بجانب الرئيس نائبه وبعض الوزراء وكبار رجال الدولة وكان تركيز القتلة على السادات فقط ، ومات السادات وماتت معه مرحلة من مراحل مصر الهامة وهى مرحلة نصر أكتوبر والسلام والانفتاح ، صحيح كانت لها عيوب ــ فنحن بشر ولسنا ملائكة ــ ولكن بعض الذين كانوا حوله من الأقرباء والأصدقاء كانوا أدنى من مستوى المسئولية .. فقد كان السادات مثل الحلوى التى يعف عليها الذباب وعندما مات السادات هتف الذين كانوا حوله بطريقة مات الملك عاش الملك ... ولم يكن الاخلاص فى

طبيعتهم بل كان الكرسي أمامهم وهاديهم .. فقد كان الرجل رحمه الله يريد أن تكون مصر شيئا عظيما .. وكان يريد أن يكون هو أيضا علامة فى التاريخ .. وفعلا أصبح السادات علما من أعلام التاريخ سواء اتفق معى الذين يكرهونه أو لم يتفقوا وكان أولاد الحلال يوقعون بينه وبين بعض المسئولين فى الدولة لكى يخلوا لهم وجه الرئيس ويستأثروا به وبصداقته .. ويكفى أن الرئيس السادات كان صاحب أكبر نصر على اسرائيل ولكنه كأى بشر له أخطاؤه وقد دفع هو وحده ثمن هذه الأخطاء

وكانت هذه الندوة هى الندوة المشهورة كما اطلقوا عليها .. فبعد أن انتهت بدقائق حضر الى أخبار اليوم رجال المخابرات ورجال أمن الرئاسة وتحفظوا على الشرائط المسجلة وتفريغها .. وكان للندوة ثواب وعقاب .. فصل الأستاذ احسان عبدالقدوس من أخبار اليوم بل ارادت المخابرات العامة ان تقتله فى حادث سيارة وذهب احمد سعيد وراء الشمس ، وعلوى حافظ شرد وفصل من مجلس الشعب ، اما ضياء داود فانفتحت له طاقة القدر وعين وزيرا للشئون الاجتماعية ثم عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى .. !!

ضياء ..
وزير الندوة



فى يوم ٤ يونيو كنا فى اجتماع أسرة تحرير أخبار اليوم .. وقد كانت الاذاعة والصحافة فى حالة تأهيل تام ، فالأناشيد الوطنية تسمعها فى الاذاعة وفى الشوارع ، والميكروفونات « حنحارب يا إسرائيل » ، التصريحات المتعاقبة والمتتالية من كبار قواد القوات المسلحة فى ذلك الوقت بأننا سنلقن اسرائيل درسا لن تنساه الى درجة أن كل مصرى فى هذا الوقت كان يعيش الحرب بل أننى سمعت من بعض التجار أنهم يريدون أن يحجزوا أماكن ودكاكين لتجارتهم فى تل ابيب ، بل وصل ببعض سيارات النقل والاتوبيسات الأمر أن بدأوا يجهزون أتوبيس القاهرة/ تل ابيب ، وبدا تجار الجوهرات والصياغ التفاهم والارتباط مع تجار المجوهرات فى تل ابيب وذلك بعد النصر باذن الله ..

المسألة جد ، هذه المرة ، ومصر تريد أن تاخذ ثأرها ، وان شاء الله سنلحق بهم — أى اليهود — الهزيمة ، هكذا قال لى أحد كبار الضباط وذلك اثناء ذهابى لأخذ تصريح من القوات المسلحة بالذهاب الى بعض المناطق العسكرية فى سيناء .. وبعد أن اخذت التصريح واثناء توديعه لى قال : على فكرة خذ معاك مصور لأنك ستكون أول من يصور صور النصر باذن الله .

قلت : اذن المسألة جد .. مش هزار

قال : هو هزار من طرفهم وجد من طرفنا وان شاء الله سنلقنهم درسا كبيرا ، درسا لا ينسى ، وسنعطيهم علقة تاريخية وسنرد كرامة مصر وسنحقق النصر لمصر وللعرب ..

قلت : يارب

وعدت الى الجريدة فسألنى زملائى ورئيس التحرير كيف الحال ؟ قلت تمام التمام .. على حد قولهم ــ جهزوا لعدد ممتاز عن دخول الجيش المصرى الى تل أبيب .. !!

* * * *

واخذت التصريح ، وصرفت بدل السفر ، وذهبت الى مكتب اتوبيس القاهرة ــ غزة ، وقطعت تذكرة وعلى ما اذكر كان ثمنها جنيهين ونصفا من القاهرة الى غزة ، وكنت فى اليوم الخامس الساعة السادسة والنصف على مقعدى فى الأتوبيس وتحرك الأتوبيس فى حوالى الساعة السابعة والربع ونحن نتكلم عن المعركة المنتظرة لدرجة أن بعض ركاب الأتوبيس من غزة اخذوا يدعون بأن تقوم الحرب لكى تنتهى اسرائيل ، وبدأ بعض الأشخاص ومعه ابنتاه يغنون ياأهلا بالمعارك يابخت مين يشارك ، والجميع يصفقون ويغنون ويهتفون ، الى أن وصلنا إلى مشارف الاسماعيلية على الطريق الزراعى ، وسمعنا أصوات طائرات وطلقات رصاص متتابعة ووقف الأوتوبيس على حافة الترعة وبجوار الاشجار وقال السائق : ياجماعة الظاهر الحرب قامت .. وهتف الجميع : الله اكبر.. الله اكبر.. الى تل أبيب ياناصر.. اضرب ... اضرب ياناصر..

وفتح أحد الركاب الراديو على صوت العرب ، فاذا بنا نسمع صوت أحمد سعيد وهو يقول : لقد بدأت اسرائيل المعركة وعليها أن تتحمل التبعة ، وأخذ أحمد سعيد يذيع البيانات العسكرية التى ترفع من الروح المعنوية ، وقال اننا اسقطنا ٨٥ طائرة والكل يهلل ويهتف : الله أكبر الله اكبر، كل هذا ونحن نرى الطائرات فوقنا تضرب وكنا نعتقد أنها طائرات مصرية فى بادىء الأمر ولكن وجدنا صاروخا نزل فوق سيارة نقل كبيرة فشطرها نصفين ، وجرى بعض الركاب وخصوصا كبار السن ، واختفوا بين الأشجار على حافة الترعة وقلت اذا كنا منتصرين فلماذا الضرب .. فقال لى زميلى المرحوم الاستاذ بخيت أبو السعود

المحرر بالمساء : يا أستاذ انت مش عارف ان فيه هنا مطارات قريبة ، دى اسرائيل بتنتحر، ده أنا سألت المشير فى تصريح خاص عن الحرب قال اذا حاولت اسرائيل سندمرها .. واخذ الاستاذ بخيت أبو السعود يستمع له وهو يشرح معداتنا ومعدات اسرائيل وكيف أن حجم قواتنا المسلحة قدر حجم قوات اسرائيل خمس مرات وأن الرئيس عبدالناصر قال نحن سنواجه اسرائيل والذين وراء اسرائيل ، وقال مرة أنه مش خرع زى ايدن وأنه سيضع أنف جونسون فى التراب ..

* * * *

وأخذ الزميل بخيت أبو السعود يتكلم وأنا لا أسمع كلامه لأنى كنت مشغولا بطلقات الرصاص ، وعلى بعد منا وجدت الزميل عبدالرحمن شبيطه وقد كان هو الآخر المحرر العسكرى لاخبار اليوم قد بطح على الأرض ، وأخذ شبيطة والاستاذ بخيت أبوالسعود يشرحان ويحللان ، وطبعا أنصب شرحها وتحليلها على أننا آخر الليل سنكون فى تل ابيب ، ووقف الأستاذ بخيت أبو السعود وقال : نعمل اتفاقا . انت « اخبار اليوم واخبار واخر ساعة » مش كده .. قلنا نعم .. قال وأنا « المساء والجمهورية » عاوزين نعمل شغل كويس ومافيناش من خيانة ..

فقلت : ياعم بخيت ، بلاش مقاطعة ، احنا مع بعضنا والا تفاق ماشى والشغل حينكتب على ايدك ، وانتظرنا أن يتحرك الأتوبيس ، وطال الانتظار، الى أن وصلنا الى الساعة الواحدة ظهرا .. وقال عبدالرحمن شبيطة : يظهر الحكاية مش تمام ، البيانات دى تخوف ، ايه وقعنا ١٠٠ طائرة ، وقعنا ١٨٥ طائرة وهى اسرائيل فيها كام طائرة علشان نوقعها .. ياعم سلام عليكو. وتركنا شبيطة أنا وبخيت أبو السعود ، ووجدنا سيارة عسكرية فى طريقها الى العريش فركبنا فيها وعندما وصلنا الى القنطرة غرب وقبل أن نعدى الى البر الثانى ، وجدت شخصا يشير الى باصبعه ، فاقتربت منه فاذا هو النقيب أحمد عبدالفتاح — وقد كان زميلا لى فى مدرسة المساعى المشكورة الثانوية بشبين الكوم — فقال لى :

انت رايح فين ؟

قلت له : سيناء

قال : ارجع .. ارجع .. الحالة صعبة واحنا باين علينا انهزمنا أو حننهزم هزيمة منكرة .. ارجع لانى لن أتركك تعبر ..

وهنا ثار الزميل بخيت أبوالسعود وقال : ايه الكلام الفاضى اللى انت بتقوله ده ، الكلام ده انهزامى .. جيشنا سيدخل تل أبيب بعد ساعات .. جيشنا احسن جيش ..

وقال الضابط : جيشنا فعلا احسن جيش ، ولكن هناك اخطاء حدثت احنا مش مسئولين عنها نحن لانعرف الصح من الخطأ ..

قال بخيت أبو السعود : أنا داخل سيناء حتكون معايا وللا لأ ؟؟

قال له الضابط : .. لأ .. عبدالعاطى قريبى ولايمكن أتركه .. اركب معايا السيارة .. المسألة مش جدعنة على الفاضى .. !!

* * * *

وفعلا ركبت السيارة العسكرية ورجعت مع الضابط مصر .. وكنت فى الجريدة الساعة الخامسة ظهرا وقالوا لى ايه الحال ؟

قلت : الموقف زفت والظاهر انهزمنا ..

وفوجئت بأكثر من شخص يقول لى : ايه الكلام اللى أنت بتقوله ده ، ازاى ؟ ووجدت أحد الزملاء من المسئولين فى جريدة الأخبار يقول لى : ايه الكلام الى أنت بتقوله ده .. ده كلام خطير جدا ولو بلغته لأى مسئول سيسجنك ..

وفعلا فى حوالى الساعة السابعة والنصف مساء وصل عقيد من الشرطة العسكرية يسأل عنى ، وقال لى اتفضل معايا الى القيادة فى مدينة نصر انت مقبوض عليك ..

وذهبت الى القيادة فى مدينة نصر، فوجدت هناك العديد من الضباط شكلهم مرهق وفى حالة صعبة جدا ..

وقال لى أحدهم : ايه الكلام الفارغ اللى أنت بتقوله فى الأخبار.. هزيمة ايه يابنى ، انت الظاهر بتتعامل مع الاعداء ومروج اشاعات لاضعاف الروح المعنوية ودى جريمة تتعاقب عليها بالاعدام فى وقت الحرب ..

وفى ثوان وجدت نفسى أمام جريمة اعاقب عليها بالاعدام ولا اعرف من هو الزميل الذى ابلغ هذا الكلام للقوات المسلحة .. وسكتت لحظة وقلت : اريد أن اعرف اسم الزميل الذى ابلغكم بهذا الكلام وماهو الكلام الذى قاله بالضبط وأنا مستعد للمواجهة ، فأنا صحفى وجاء زميل صحفى ليسألنى على الوضع فقلت له أن الضرب شغال على طول الطريق وبعض الضباط بيقولوا يظهر أن حصل فيه خيانة ، وكل الكلام اللى قلته واحد على مليون من الذى تعلنه وكالات الأنباء ..

ودخل الى حجرة التحقيق احد رجال الشئون المعنوية والاعلام بالقوات المسلحة وكنت اعرفه جيدا وكان صديقا عزيزا ، وعرفت أنهم استدعوه .. واخذ يتفاهم معهم وفوجئت به يقول : انت عارف بيتكم كويس .. قلت له : نعم

قال : اذهب الى بيتكم ولاتخرج منه الليلة دى ولا غدا ..

وكانت المعركة يوم السبت وأنا أجازتى الأحد وفعلا لم أخرج من منزلى الا يوم الثلاثاء ومكثت فى الجريدة الى أن قالوا أن الرئيس جمال عبد الناصر سيلقى بيانا هاما فى الراديو.. وكان بيان التنحى وتحمله المسئولية عن الهزيمة ..

* * * *

وخرجت الجماهير يومها يومى ٩ ، ١٠ يونيو، وذهبت الى مجلس الشعب لمتابعة التنحى وطفت بالقاهرة ودخلت الى مجلس الشعب فوجدت أنور

السادات رئيس المجلس فى ذلك الوقت ــ مجتمعا مع اعضاء اللجنة العامة والجماهير تهتف فى الخارج ، وكان يوم التنحى يوما أسود فى تاريخ مصر، فقد كانت الجماهير تبكى منفعلة والشوارع ظلاما فى ظلام وقررت اللجنة العامة ورئيس المجلس ان تذهب الى عبدالناصر لتقول له : ابق فى مكانك يا ريس .. وعاد عبدالناصر بناء على رغبة الجماهير، والبعض قال فيما بعد أنها تمثيلية وسيناريو معد، والبعض الآخر قال إنه شعور تلقائى من الجماهير، والبعض الثالث قال ياليتهم تركوا زكريا محيى الدين يتولى القيادت لأن عبدالناصر اذا كان يعلم بكل هذا « الانحلال» الموجود فى البلد فهذه مصيبة واذا كان لا يعلم فالمصيبة أعظم ، وان عبدالناصر سبب خراب هذا البلد لأنه كان يتكلم كثيرا ولا يفعل ما يقول ..

المهم . كانت القاهرة فى هذه الأيام ظلاما فى ظلام والاتوبيسات مهشمة والناس لا تعلم ماذا مصيرها وأين المفر كما يقولون ، واسرائيل تستعرض عضلاتها فوق القاهرة، المهم عاد عبدالناصر وعادت المظاهرات التى تهتف بحياته ، وبعودته استقرت الأمور نوعا وخرجت شعارات جديدة ، لا صوت يعلو فوق صوت المعركة ، وما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ، وان كنا قد خسرنا الجولة الأولى فلابد أن تخسر اسرائيل الجولة الثانية ، و بالطول بالعرض حنجيب اسرائيل الأرض ..

و بعد أيام قليلة بينما كنت فى مكتبى فوجئت بأحد الاصدقاء قال لى :

ــ انت فين . فيه خبر هام علشانك ..

قلت : خيرا

قال : المشير قتل ، أو انتحر معرفش .. المهم تناول السم ومات ..

قلت له : معقول الكلام ده ؟!

قال : على العموم تعال الهرم فورا لأن الشرطة العسكرية محاصرة الفيلا والدنيا مقلوبة ...

ولم انتظر لأضع السماعة بل تركتها وجريت الى الهرم... وفعلا وجدت الخبر صحيحا ولكن لم اجد أى صحفى لأنه كان يوم الجمعة وكان حوالى الساعة الخامسة بعد الظهر.. وجريت على الاستاذ كمال عبدالرءوف نائب رئيس التحرير المسئول فى ذلك الوقت، وقلت له المشير تناول السم وانتحر وكتبت الخبر له بالتفصيل، وجرى كمال عبدالرءوف على الاستاذ احسان عبدالقدوس رئيس التحرير فى ذلك الوقت وطلبنى رئيس التحرير وقال لى: انت متأكد من الخبر

قلت: نعم

قال: دى مافيهاش هزار، دى فيها رفت

قلت: أنا مستعد للرفت اذا كان الخبر كاذبا

* * * *

وكان الأستاذ محمد حسنين هيكل يومها هو المشرف على مؤسستى الأهرام وأخبار اليوم.. وعرض الخبر على الرقابة على الصحف فحذف الخبر رقيب اخبار اليوم، ولكننا عرفنا بوسيلة ما ان الخبر منشور فى أهرام اليوم التالى.. فأصر الاستاذ احسان عبدالقدوس على نشر الخبر كمانشيت فى أخبار اليوم، وصدرت «أخبار اليوم» وفيها المانشيت، وصدرت الأهرام أيضا بنفس الخبر، وعلمت بعد ذلك أنه جرى تحقيق عن نشر الخبر فى أخبار اليوم، وكانت الاستاذ هيكل يرجو أن تنشره الأهرام فقط، لأن هذا خبر سيادى.. وانتهى التحقيق على لا شىء لأن الأستاذ احسان عبدالقدوس تحمل مسئولية النشر كاملة، **وهذه ميزة احسان عبدالقدوس... كان رجلا يدافع عن محرره وكان حقانيا فى النشر وكان يهمه مصلحة الجريدة، وكنت أعتقد أنه يكرهنى من كثرة كلام بعض الزملاء الذين كانوا ينقلون له صورة مخالفة لحقيقتى، الا أنه كان يحترم عملى فهو الوحيد الذى وضع صورتى فى برواز كبير على صفحات أخبار اليوم عندما قمت بعمل طبيب مزيف بالقصر العينى..**

المهم مرت الأيام وانتهى التحقيق وعلمت أن أخى وصديقى الاستاذ محمد بخيت أبو السعود توفى فى نفس يوم ٥ يونيو وأنه لم يسمع النصيحة.. على كل

هذه اعمار، وعمره انتهى الى هذا الحد ..

وفى اجتماع اسرة تحرير اخبار اليوم عرض أن تقوم « اخبار اليوم » بعمل ندوات ، واقترح الزميل عبدالفتاح الذيب أن يقوم باعداد ندوة بعنوان : لماذا الهزيمة ، أو كيف حدثت الهزيمة ، ووافق عليها الاستاذ احسان . ونظمت الندوة لكى تكون فى نادى المؤسسة بالدور الرابع ، ودعى الى الندوة أحمد سعيد مدير صوت العرب وعلوى حافظ عضو مجلس الشعب ، وضياء الدين داود عضو الاتحاد الاشتراكى ومن أخبار اليوم الاستاذ احسان عبدالقدوس رئيس التحرير وعبدالفتاح الذيب منظم الندوة وأنا كعضو ندوة وذلك لتوجيه الأسئلة الى الضيوف .. وما ان بدأت الندوة حتى هاجم علوى حافظ السلبية الموجودة فى الرئاسة وهاجم الحكم وقال أنه توجد خيانة فى الجيش وتكلم عن الانسحاب ومرارة الانسحاب ، وقال أن جرائم كثيرة ارتكبت فى حق الجيش المصرى وانه يطالب بالتحقيق الفورى وتشكيل لجنة تقصى حقائق من الشعب ، وتكون لجنة محايدة ، وقال علوى حافظ أن المخابرات المصرية كان مستغرقة فى تعذيب ابناء الشعب ، وكانت لا تعرف شيئا عن العدو ، وان الدولة كانت غير جادة فى المعركة ، والمسألة كانت من وجهة نظرنا مظاهرة وهزار اخذها العدو جدا وحارب وانهزمنا ، وانفعل يومها علوى حافظ وقال فى مسألة التنحى : دى الناس تتحدث على أنها لعبة مكشوفة وطالب بسرعة المحاكمة للمهملين للقادة وللرؤساء والوزراء الذين ضحكوا على الشعب ، أى باختصار. اراد أن يقلب عاليها واطيها كما يقولون ، وانفعل أحمد سعيد مدير صوت العرب هو ايضا وقال : لقد ضحك علينا وانا كنت اذيع بيانات كاذبة وكنت اتكلم واقول النصر يا عرب بينما هى كانت الهزيمة المرة ، وان البيانات كانت تضلل الشعب .. وقال أن هذا تعمد من القيادة للهزيمة ، وقال أن التاريخ لن يترك الذين تسببوا فى الهزيمة وأن الذى حدث ــ كما قال علوى حافظ ــ هو الهزيمة المرة وليس النكسة .. وقال أحمد سعيد أنه يريد أن يحارب صاحب البيانات الكاذبة وصاحب فكرة أن امريكا وراء المعركة ، وقال أحمد سعيد أن ما حدث هو كارثة لمصر بكل المقاييس وخيانة وأن البعض حاول أن يغطى فشله

بانسحاب الجيش وانفعل أحمد سعيد وطالب بمحاكمة أكبر رأس تسببت فى هزيمة يونيو القاسية ..

* * * *

وانبرى ضياء داود للدفاع وقال : اننا هزمنا فى معركة ولكننا لم نلق السلاح بعدو اننا لابد أن نصمد وأن القائد والزعيم يستطيع أن يحقق النصر، وان عبدالناصر قادر على هذا ، وان مصر العظيمة غنية برجالها وأنه لابد من الصمود والتصدى لكى نستطيع ردع العدو لتحقيق النصر.. الى آخر هذا الكلام الحماسى .. وفى النهاية قال انه يثق فى قدرة جمال عبدالناصر ورجاله لتحقيق الهدف فى حرب أخرى تضع النقاط فوق الحروف وتعطى فيها مصر اسرائيل درسا لن تنساه ..

وما كادت الندوة تنتهى وتطبع على ورق حتى فوجئت بالاستاذ ميخائيل خليل رئيس قسم الاستماع فى اخبار اليوم فى ذلك الوقت وقد حضر لتسجيل الندوة وقام بتسجيلها ، فوجئت به يقول ماذا حدث .. الدنيا مقلوبة فى قسم الاستماع ناس من المخابرات وناس من أمن الرئاسة كلهم حضروا الى قسم الاستماع لكى يتحفظوا على الاشرطة وعلى تفريغ هذه الأشرطة ، وكانت هذه الندوة هى الندوة المشهورة كما أطلقوا عليها ... فقد كان لها نتائج ثواب وعقاب كما يقولون ، ففصل احسان عبدالقدوس من « اخبار اليوم » بل ارادت المخابرات العامة أن تقتله فاوعزت الى سيارة مجهولة صدمته وهو يسير أمام منزله وسمعنا بالخبر وذهبنا الى المستشفى فوجدنا احسان عبدالقدوس يئام فى مستشفى العجوزة ويصرخ من شدة الالم وتركت هذ الحادثة اثرا فى رجل الاستاذ احسان عبدالقدوس الى الآن ، أما أحمد سعيد فقد ذهب وراء الشمس كما يقولون وترك العمل الاذاعى بالمرة وذلك بعد التحقيق معه وارهابه والتهديد بالتنكيل به هو واسرته وفصل أحمد سعيد الذى كان مشهورا فى مصر بأنه صاحب صوت العرب المشهور ورقى محمد عروق الى مدير ورئيس صوت العرب .. أما علوى حافظ فشرد وفصل من مجلس الشعب ولم يدخل العمل السياسى الا بعد وفاة عبدالناصر

واستلام السادات مقاليد الحكم .

أما ضياء داود ، فانفتحت له طاقة القدر وعين وزيرا للشئون الاجتماعية فى أول تشكيل وزارى ثم أصبح بعد ذلك عضو اللجنة التنفيذية العليا ، واستمر ضياء الدين داود عضوا لهذه اللجنة حتى ١٤ مايو أو ما يسمى بثورة مايو وقبض عليه وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن .. وهكذا وصل ضياء الدين الى كرسى الوزارة بل الى كرسى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، وكان هو المدنى الوحيد مع الاستاذ محمد حسنين هيكل فى اللجنة التنفيذية العليا ، ولعب دورا رئيسيا فيها ، وقد كان من حزب على صبرى كما يقولون ضد حزب السادات ، وعندما احتكم السادات فى أحد المرات للجنة المركزية حتى توافق اللجنة على اتفاقية الاتحاد بين مصر وليبيا وسوريا ، كان ضياء داود مع على صبرى فى رفض هذه الاتفاقية وقد كان هذا الرفض سببا رئيسيا فى حركة مايو..

* * * *

اننى مازلت محتفظا بالندوة المشهورة التى كانت السبب فى ذهاب أشخاص وراء الشمس وكانت سبب السعد بالنسبة للأخرين... وهى فى أكثر من ١٠٠ صفحة فلوسكاب .. وفيها أراء قيمة للاستاذ احسان عبد القدوس وللاستاذين أحمد سعيد وعلوى حافظ ... انها ندوة تاريخية كانت كلمة الحق الوحيدة فى وقت كان لا يستطيع أحد أن يتكلم كلمة حق .. ندوة ادخلت اشخاصا السجن وأدت الى صعود شخص على كرسى الوزارة لا لشىء سوى أنه حيا عبد الناصر ودافع عنه فى الندوة .. اننى سانشر الندوة فى كتاب بعنوان الندوة المشهورة ومعها تعليقات هامة وخطيرة .. وأرجو أن تجدوا فيه الكثير..

وكما قاد الفريق أول احمد اسماعيل وزير الحربية الجيش الى النصر فى معركة اكتوبر.. فان الدكتور حاتم قاد معركة الاعلام الى النصر ايضا ، فقد كانت البيانات العسكرية سليمة .. وكان الدكتور حاتم يتصل بنفسه بالقوات المسلحة ليتأكد من عدم المبالغة ويطلب الواقعية ، بل كان يقلل من حجم الانتصارات حتى لايتكرر ماحدث فى مأساة سنة ١٩٦٧ ، وكان الدكتور حاتم يختار كل اغنية وكلماتها ، وتعرض عليه هو خريطة برامج الاذاعة والتليفزيون ليتأكد من عدم وجود اشياء خارجة ، وكان يتصل بوكالات الانباء المحلية والاجنبية ويأمر بنشر الصور المناسبة ويشارك فى اعطاء التصاريح للمراسلين الاجانب لينقلوا صورة سليمة عن الجبهة وتحول الصحفيون والمراسلون من تل ابيب الى القاهرة .. فلقد اصبحت القاهرة هى صاحبة النبأ الصحيح .. !!

امسكو الخشب الدكتور حاتم .. و٢٣ سنة ثورة !



منذ أن دخلت الصحافة ، وأنا أسمع عن الدكتور محمد عبدالقادر حاتم ، فعندما التحقت بالصحافة فى أوائل الستينات كان محمد عبدالقادر حاتم رئيسا لمصلحة الاستعلامات ، ولم يحصل على الدكتوراه بعد .. والدكتور حاتم هو المسئول الوحيد الذى استمر يعمل منذ أن قامت ثورة يوليو الى الآن .. ونقول هذا بدون حسد .. ونقول ايضا امسكوا الخشب .. فطبيعة الرجل أنه لايدخل فى صراعات ولاشلل ولا أحزاب ، جاد فى عمله وتخصص فى فرع مطلوب وضرورى فى مرحلة الثورة ، الا وهو الاعلام ..

* * * *

حصل الدكتور حاتم على الماجستير ثم الدكتوراه .. فى فترة وجيزة وذلك لاصراره وعمله المتواصل ، واذا اردنا أن نتكلم عن الدكتور حاتم وكيف وصل الى كرسى الوزارة أو علاقته بكرسى الوزارة .. فمعنى هذا أننا سنتكلم عن ذكريات ٣٣ سنة ثورة ولا تكفى صفحات هذا الكتاب للاستطراد عن اعمال الدكتور حاتم .. والدكتور حاتم هو الشخص الوحيد والوجه الوحيد المقبول والمحبوب لكل الفئات فى مصر فبصماته واضحة فى كل اتجاه ، فقد انشأ الدكتور حاتم التليفزيون وانشأ وكالة أنباء الشرق الأوسط ، ودعم مصلحة الاستعلامات وجعل من وزارة الاعلام وزارة ذات ثقل معين ، كذلك فهو صديق جميع الصحفيين حتى الذين انتقدوه فى يوم ما .. فقلبه لا يعرف العداوة والحقد والكراهية وشعاره أن يحول أعداءه الى أصدقاء وذلك اذا كان له اعداء ، فالرجل له بعض الذين يخالفونه فى الرأى فقط ..

وبصراحة حينما عرفت الدكتور حاتم عرفته معرفة سطحية ، وقابلته أكثر من مقابلة وجدته انسانا طيبا مجاملا ، صاحب مواقف ، لسانه لايعرف العيب ، ولقد سمعت من زملائى الصحفيين عن الدكتور حاتم اشياء ومواقف كثيرة ، فعندما أممت «دار أخبار اليوم» وزحف عليها المغول والتتار ، وقف الدكتور حاتم أكثر من وقفة لحماية هذا الصرح الكبير ، كذلك وقف مع صاحبها الاستاذين مصطفى وعلى أمين .. والدكتور حاتم يتمتع بذكاء حاد كما قلت .. ولدى أكثر من واقعة فبينما كنا فى حرب سنة ١٩٦٧ الاعلام معبأ قبل الحرب باسبوع ، الأغانى والاناشيد الوطنية ، المارشات العسكرية ، وكنا نعتقد أن القيامة ستقوم فى أى لحظة ، كما أن المقابلات والتصريحات كلها تؤكد الهزيمة المطلقة والعلقة الساخنة اذا قامت اسرائيل بالحرب ، وان نهايتها ستكون على يد مصر لأنها ضعيفة وجيشها ضعيف ، الى آخر ماقيل قبل الحرب ، وقامت اسرائيل بالحرب وكانت مفاجأة أن هزمت اسرائيل مصر ، وكان الهزيمة قاسية ومريرة ، أما فى حرب ٧٣ فأتذكر أننى كنت فى مكتب الأستاذ عبدالرحيم سرور رئيس التليفزيون ، وكان فى المكتب ايضا بعض الأخوة الفنانين وطلب الأستاذ عبدالرحيم سرور أن أشرب فنجان قهوة ، وأثناء جلوسى ضرب جرس التليفون فى مكتب سرور وقال عن اذنكم الدكتور حاتم يريدنى ، وتكلم الاستاذ سرور ، واتذكر نص المكالمة جيدا ، « ايوه يافندم ، حاضر ، البرامج مافيش فيها حاجة ، القرآن وأقوال الصحف بس .. مافيش أفلام ولاحاجة » ..

* * * *

وأثارت المكالمة فضول الجالسين ، الدكتور حاتم بيسأل عن البرامج ليه ؟ فقال واحد من الجالسين وهو ينظر لى : البركة فى الصحفيين قلمهم نازل طالع عمال على بطال ، التليفزيون آخر جمال ، مش عارفين يعملوا ايه .. هكذا قال أحد الفنانين واشتبكت معه فى الكلام ، وبعد فترة ليست قليلة ضرب جرس التليفون مرة أخرى وكان المتكلم هذه المرة الدكتور حاتم ايضا ، قال للاستاذ عبدالرحيم سرور « فيه بيان جانى وسيذاع » وطلب الدكتور حاتم من الاستاذ عبدالرحيم سرور أن يصعد له فى مكتبه ، ولم نعرف ما هو البيان ؟

وأثناء انصراف الأستاذ سرور قال وهو يتمتم : الحرب قامت واللا ايه ؟!

وبعد حوالي عشر دقائق دخل حسن نصار مدير مكتب الأستاذ عبد الرحيم سرور وهو يقول : الاستاذ سرور حيغيب فوق . الظاهر الحرب قامت ..

* * * *

«قامت . ياخبر أسود» قالها بعض الفنانين ، البعض قال وربنا يستر . هو احنا قد اسرائيل ، والثاني قال نرجو الا يحدث هذه المرة مثلما حدث في المرة الأخرى .. وكثر المعلقون ، وكل منهم اعتبر نفسه خبيرا بشئون الحرب وأنه المعلق العسكري الأوحد ، وعرفت بعد ذلك من الاستاذ سرور ، أن الدكتور حاتم كان لديه تصور دائم وكامل عن الخط الاعلامي في المعركة ، وكما قاد الفريق أول أحمد اسماعيل الجيش الى النصر ، قاد الدكتور حاتم الاعلام الى النصر ايضا ، فقد كانت البيانات العسكرية سليمة ، بل كان الدكتور حاتم يتصل بنفسه بالقوات المسلحة ليتأكد من عدم المبالغة و يطلب هذا بل كان يقلل من حجم الانتصارات حتى لا تتكرر مأساة سنة ١٩٦٧ بل على العكس كان العدو هو الذي يبالغ في بياناته بأعصابه مهزوزة ، وكان الدكتور حاتم يختار كل اغنية وكلماتها .. وتعرض عليه برامج الاذاعة والتليفزيون .. وكان يتصل بوكالات الانباء المحلية والأجنبية ، وكان يأمر بنشر الصور و يشارك في اعطاء التصاريح للمراسلين الأجانب لينقلوا صورة سليمة عن الجبهة وتحول الصحفيون والمراسلون من تل أبيب الى القاهرة .. لقد أصبحت القاهرة هي صاحبة النبأ الصحيح ..

* * * *

كان هذا في المعركة العسكرية ، وخاض الدكتور حاتم معارك أخرى .. وهي انشاء مسارح التليفزيون ، فلولا الدكتور حاتم لما كان كل هذا العدد الهائل

من الممثلين محمد عوض ، فؤاد المهندس ، عبدالمنعم مدبولى ، أبوبكر عزت وآخرون وآخرون كلهم لعبوا على مسرح التليفزيون ، وكانت مسارح التليفزيون تشترى مكتبة التليفزيون بالمسرحيات التى مازالت تعرض الى اليوم ، كذلك عندما تولى وزارة السياحة انشأ أكثر من ٣٠ فندقا و يومها هبت الأقلام كالمعاول على الدكتور حاتم تنتقده فى بناء كل هذه الفنادق وثبت بعد سنوات أن هذه الفنادق لم تكف الحاجة بل المطلوب منها المزيد ، وأن الدكتور حاتم على حق .

ونستطيع أن نقول أن لمسات واعمال الدكتور حاتم كثيرة وكبيرة ولكن أهمها التليفزيون ، والمسرح ، وانتشار الثقافة وبناء الفنادق السياحية ، وأول من أعطى اسم وزارة السياحة ، هذا خلاف انتشار المسارح الثقافية والثقافة الجماهيرية .

ولم التق مع الدكتور حاتم على المستوى الشخصي الا عندما كنت فى زيارة للندن وكان وقتها الاستاذ صلاح فهمي قنصلنا فى لندن وكان صديقا للطرفين ، وفى يوم دعانا على الغداء مع بعض الاصدقاء وكان الدكتور حاتم موجودا ..

جلست أتكلم معه ، وعرفت منه أنه لا يؤمن بالشللية وفى عز مراكز القوى كان يعمل و يدع عمله يتكلم ولا يتكلم الا اذا طلب منه رأيه و يكون الرأى مختصرا ولا يسب فى أحد ولا يحاول أن يكون له إعداء ، وأن احسن صديق للانسان هو عمله ، و يومها قال ان عمله بالاعلام اعطاه الفرصة لكي يعمل ، وأن نظرته لكرسي الوزارة « أن الكرسي زائل ، وأن الباقى هو الناس والعمل الطيب ، وطبيعي جدا أن يعود الناس مع الاضواء ويختفوا اذا خفتت ، لذلك فأنا كما قلت صديقى هو عملى » ..

المرة الأخرى التى التقيت بها بالدكتور حاتم ، طلبت منه أن يشرفنى فى منزلى ، حيث كنت أسكن فى آخر مصر الجديدة فى ذلك الوقت وقلت لصديقنا المشترك اعتقد أن الدكتور حاتم لايمكن أن يحضر وذلك لبعد المسافة ، وأن منزلى فى آخر مصر الجديدة ومدينة نصر ، ولكن وجدت الدكتور حاتم أول الحاضرين وعرفت كما سمعت أنه مجامل من الدرجة الاولى لا يفوته واجب ودائما سباق الى الخير.

واذكر عندما عينه الرئيس السادات نائبا أول لرئيس الوزراء فى وقت كان السادات هو رئيس الوزراء ، انقلب الاعلام رأسا على عقب وأصبح الأمل موجودا عند الناس ونوقشت مشاكل الناس ، وتعاقدت مصر على عدد من المشروعات الجديدة التى لم يكتب لها أن ترى النور بعد وذلك لكثرة الحاقدين ... فمثلا مشروع « المونورول » المترو اليابانى السريع ، كان من الممكن أن يفعل شيئا فى وقت كثر فيه الزحام ، وصداقة الدكتور حاتم باليابان كبيرة ، فاليابانيون يخدمون الدكتور حاتم ويحبونه و يثقون فيه ولذلك وقفوا بجانبه عندما كان نائبا أول لرئيس الوزراء ورغم ما هو معروف عن بطء اليابانيين فى الحزم لانهاء المشروعات ، الا أنهم ابدوا استعدادهم للتعاون مع الدكتور حاتم ، وبصراحة كما قلت لم تشهد مصر حقبة من الأمل والعمل مثل الفترة التى كان مسئولا عنها الدكتور حاتم ..

والدكتور حاتم تربطه صداقات كثيرة ببعض الأخوة العرب وخصوصا فى عمان ، وأستطيع أن أؤكد أن صداقة الدكتور حاتم مع بعض كبار رجال الدولة فى عمان ربطتهم بمصر واستطاع الدكتور حاتم أن يفعل الكثير من أجل أن تستمر العلاقات الممتازة بين البلدين .

والدكتور حاتم يشرف على المجالس القومية المتخصصة ، وفى رأيى اذا ارادت مصر الاصلاح والتقدم فيجب أن تعتمد على دراسات المجالس القومية المتخصصة ففيها خلاصة العقل والفكر المصرى وخلاصة التكنولوجيا ، وما من وزير يخرج من الوزارة أو يعمل فيها الا و ينضم الى المجالس القومية المتخصصة ، كبار العلماء والمهندسين والفنيين فى جميع المجالات فى النقل والمواصلات ، التليفزيون والاذاعات ، البحث العلمى ، التعليم والثقافة ، الانتاج بكل أنواعه ، وابحاث المجالس القومية المتخصصة تصلح فى مناح كثيرة ويجب الا تهمل هذه الابحاث ، فاذا اردنا زراعة ممتازة فالمجالس القومية فيها الكثير ، واذا اردنا صناعة متقدمة وغير مستهلكة فالمجالس القومية فيها ايضا الكثير .. ان دراسات المجالس القومية المتخصصة كثيرة .. ولو ارادت الدولة أن تتقدم فلديها الابحاث والدراسات التى

جاءت عن مناقشات ودراسات مستفيضة ..

* * * *

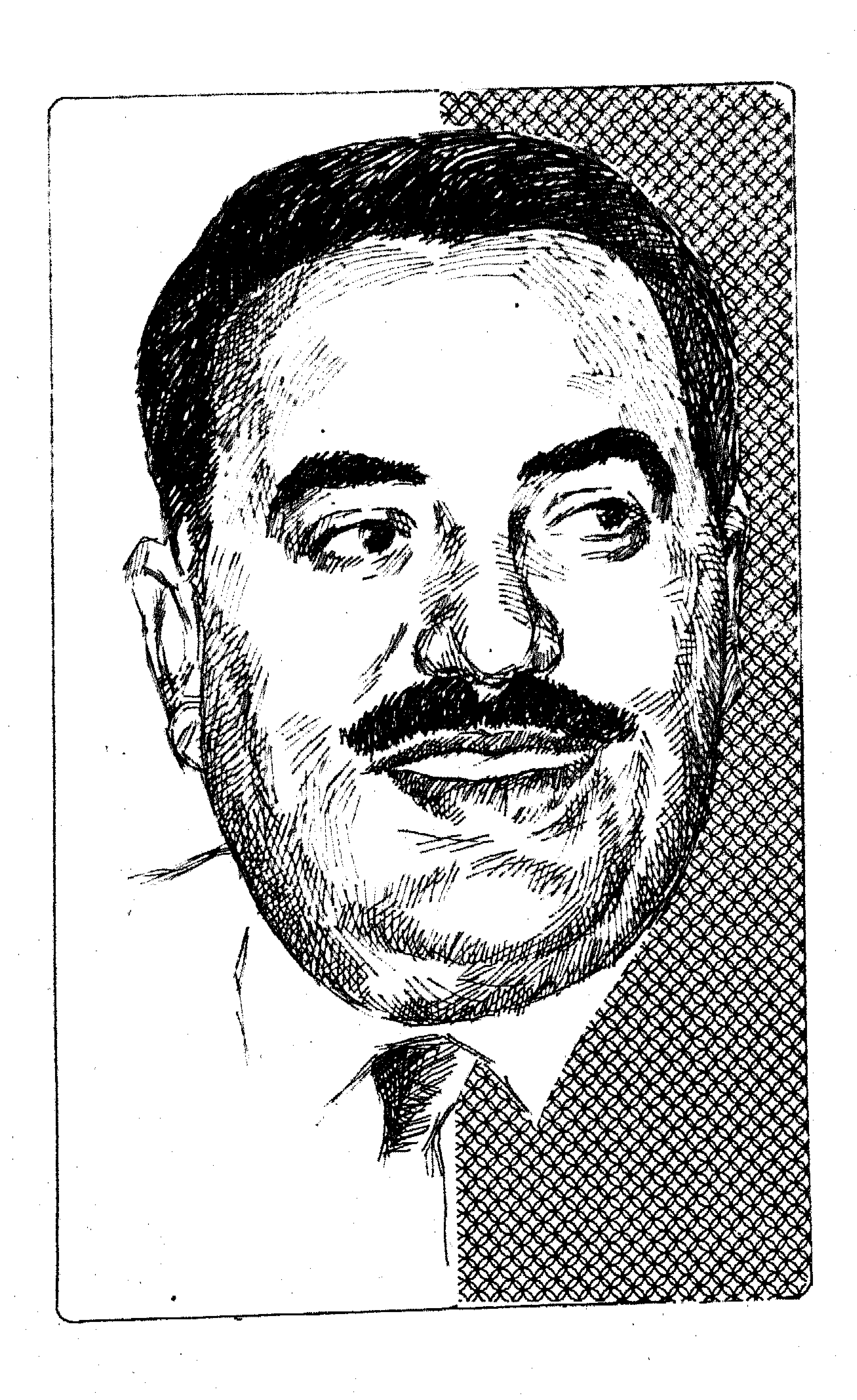
وإذا كان من بصمات الدكتور حاتم فى مصر التليفز يون ومسارح التليفز يون والفنادق والسياحة ، فأكبر بصمة وأكبر عمل افاد و يفيد مصر هو المجالس القومية المتخصصة وهى فى رأيى نموذج للعمل الجاد والخلاق والمبتكر وذلك من أجل مصر وحدها ..

انه فى تاريخ الثورة بعد عبدالناصر والسادات لا يوجد شخص له بصمات واضحة ومستديمة سوى الدكتور عبد القادر حاتم ، فهو شخص وطنى عمل لمصر الكثير واستطاع أن يحقق لمصر الكثير ، وفى لبلده ولاصدقائه .. صديق مخلص .. انسان طيب .. مجامل اعطى ومازال يعطى الكثير .. قواه الله .

قلت لعبد المحسن ابو النور أمين اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي بصفته ايضا عضوا بارزا في لجنة تصفية الاقطاع : لماذا تضعون كل هؤلاء الناس تحت الحراسة ؟

قال عبد المحسن ابو النور : النية كانت تتجه اولا لفرض الحراسة على اسماء بقرارات ، ولكن فضلنا أن نجتمع في لجنة وتعرض عليها الاسماء بعد ان تعرض تقارير جهات الأمن المختلفة ثم نناقش ونستبعد الاشخاص الذين ليس فيهم خطورة ونضع الخطرين تحت الحراسة .. فالمسألة تأخذ مناقشة وليست عشوائية .. !!

أبو النور .. ومديرية التحرير



فى أحد تشكيلات الوزارات فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر، لمع اسم عبد المحسن أبوالنور كوزير للزراعة واستصلاح الأراضى، وتولى عبد المحسن أبوالنور الوزارة واصدر قرارات ثورية واهتم باستصلاح الأراضى وبالزراعة وبدأ العاملون فى الوزارة يشعرون انهم فى عصر ذهبى لوزير قوى، وبعد فترة من تولى عبد المحسن أبو النور الوزارة، كنت أستعد لعمل مغامرة صحفية مع عمال التراحيل وذهبت أنا والزميل حسن سعد الى مديرية التحرير لأعمل كعامل تراحيل عن طريق أحد مقاولى الأنفار، ولجأنا الى أحد مقاولى الأنفار فى الغربية وقرر اعطائى خمسة قروش فى اليوم لكى يجربنى فى الغربية أولا — وأجر العامل الزراعى الآن فى اليوم لا يقل عن خمسة جنيهات — وعملت فى الغربية أكثر من اسبوعين ولما اطمأن الى المقاول قال لى ستذهب لتعمل بمديرية التحرير، وفى مديرية التحرير عملت كعامل تراحيل وعشت معيشتهم وأكلت من أكلهم ورأيت الاستغلال الكبير الذى يتعرضون له فأموالهم تذهب فى بطون المقاولين، كذلك التزوير الكبير و— الهبش — الذى تتعرض له الدولة أيضا من جراء عمال التراحيل، فهم يستولون على أجور العمال ويزورون فى الكشوف ويضيفون أسماء جديدة فكانوا يكتبون الف اسم مثلا بينما الذى يعمل فعلا ثلاثمائة والمفروض أن الثلاثمائة يعملون عمل الألف.

المهم كتبت عن فضيحة عمال التراحيل ونشرت فى الأخبار وآخر ساعة . وأتذكر أن الاستاذ صلاح حافظ رئيس تحرير آخر ساعة فى ذلك الوقت اهتم بالموضوع اهتماما بالغا ونشره على أكثر من ست صفحات وغلاف ، كذلك نشرته الأخبار فى صفحة كاملة .

* * * *

وفوجئت بامام عامل التليفون فى أخبار اليوم يطلبنى عند أقاربى ويقول : السيد عبدالمحسن أبوالنور نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة والرى واستصلاح الأراضى يريدك ..

ودهشت أن امام قال اسم الوزير ومناصبه كاملة ، فقال لقد كتبت هذا على ورقة من السكرتير مباشرة واعطانى امام الارقام .. واتصلت على الفور بمكتب النائب فقال لى السكرتير أن سيادة النائب بريد أن تتصل به ولكنه للاسف نزل الى المنزل وسيعود بعد الظهر .

قلت : أتصل به بعد ساعة ؟

قال : أفضل أن تتصل به فى الصباح لأن لديه مواعيد فى المساء خارج الوزارة ..

قلت : اذن ابلغه بأننى اتصلت بسيادته .

قال : لابد ان تتصل بنا فى الصباح لأن سيادة النائب يريدك فى أمر هام .. ولم أنم ليلتها ماذا يريد النائب ، وأنا أعرف عنه أنه شديد وقاس وقد سمعت بما فعله عندما كان محافظا لبنى سويف مع الزميل مفيد فوزى ، فقد أوقف مفيدا عن العمل ، بعد أن هاجمه مفيد ، أكيد سيكون له تصرف شديد خصوصا أن قطاع التراحيل ومديرية التحرير يتبعانه هو، ودارت فى رأسى هواجس وأخذت ارتب فى أفكارى ماذا يمكن أن يحدث والحلول البديلة .. من سيقوم بالانفاق على والدتى لو فصلت ، وقد سبق أن فصلت أكثر من مرة بعد نشرى لموضوعات «حراقة» كما يقولون المهم لم أنم ليلتها . وفى الصباح الباكر اتصلت بمكتب

النائب في الدقي فقال لي السكرتير : اطلبه بعد نصف ساعة في مكتبه كان هذا الساعة التاسعة صباحا . وفي التاسعة والنصف اتصلت فقال لي : حالا سيادة النائب معاك . وسمعت صوت عبد المحسن أبوالنور في التليفون وهو يقول : أهلا . أنا عاوزك تيجي فورا . . وضربت اخماسا في اسداسا كما يقولون . وفي دقائق كنت في مكتب النائب وقال لي سكرتيره : معه مقابلة بسيطة و بعدين تدخل فورا ، واستغرقت المقابلة البسيطة أكثر من ثلاثة أرباع الساعة ، ثم دخلت على النائب فوجدت وجهه يضحك مبتسما وعرفت أن المسألة كلها خير . .

* * * *

قال : لقد قرأت موضوعاتك ومغامراتك ، لذلك لقد اصدرت قرارا بتعيينك مفتش تحقيقات في الوزارة .

قلت : انما أنا صحفي

قال : بالاضافة الى أنك صحفي

قلت : وهل سأحضر للوزارة وأوقع في الدفاتر الى آخر ذلك .

وضحك النائب وقال : لقد اعجبتني — كما قلت — مغامراتك والتحقيقات . . فقلت أعينك مفتش تحقيقات وتطلع على رأس لجنة تبحث لنا عن الأخطاء في مديرية التحرير وتدخل المخازن وعندك الصلاحية الكاملة في البحث والتحرى ومعاك لجان قانونية وادارية ومالية وانت رئيس كل هؤلاء ولك الحق في الاطلاع على الدفاتر والمستندات الكاملة والكشوف ولقد انبت الاستاذ محمود حنفي وكيل الوزارة ومعه بعض الموظفين ليكونوا معك وتطلب منهم ماتشاء . . ومن الآن تعمل الترتيبات وتبدأ المهمة غدا . .

وضغط النائب على الجرس وطلب من السكرتير أن يجمع اللجنة فورا في دقائق كانت اللجنة كلها في مكتب الوزير عبد المحسن أبوالنور ، وقال لهم بالحرف الواحد : « أنا جمعتكم هنا حتى لا تحدث اخطاء أو تجاوزات ، لابد أن تتعاونوا مع الاستاذ عبد العاطي ، أنا عينته رئيس لجنة جرد ومفتش تحقيقات ، ومش عايز

أى حركات من حركات الموظفين . تنزلوا مديرية التحرير ، الإستاذ عبد العاطى مش صحفى ، الاستاذ عبد العاطى من ديوان عام الوزارة ومشرف عام » .

والتفت الى عبد المحسن أبوالنور وقال : اى مشاكل ، أى حركات من حركات الموظفين كلمنى — وقال : وعلى ايه تكلمنى اخصم لهم ايام واعطهم جزاءات وعندك أبو حنفى — يقصد الاستاذ محمود حنفى وكيل الوزارة — شاطر فى الجزاءات ، احسن واحد يحب الجزاءات مسميها ضريبة للدولة من المهمل .. !!

* * * *

وذهبت الى مديرية التحرير فى ساعة متأخرة من الليل وارسلنا فى احضار مدير المخازن ومدير القطاع ، ومكثنا خمسة أيام نبحث فى المستندات والمخازن ودفاتر الانفار المسماه «بشواليش الانفار» .. واكتشفنا «بلاوى» كما يقولون ، سيارات بآلاف الجنيهات مسروقة جرارات مشبوتة فى المخازن وهى تعمل فى حقول كبار الفلاحين ، قطع غيار مختفية ، مقبرة كبيرة للأتوبيسات والجرارات حتى الموتسيكلات ، سرقات كثيرة وكبيرة ، وعدنا بالحصيلة الى عبد المحسن أبوالنور نائب رئيس الوزراء ، وقال لى اكتب انت التقرير كما تراه واللجنة ستقول رأيها و بعد أن قرأنا التقرير كتب عبد المحسن أبوالنور أقوى تأشيرة عرفتها المديرية : « توزع المديرية على المصالح المختلفة . فمصلحة الرى فى المديرية تتبع وزارة الرى . ومصلحة الكهرباء تتبع وزارة الكهرباء . والمصانع تتبع وزارة الصناعة . والأفدنة الزراعية تتبع وزارة الزراعة .. والأراضى المستصلحة تتبع وزارة الاستصلاح والدواجن والابقار تتبع تنمية الثروة الحيوانية . وقسمت مديرية التحرير الى شركات وقطاعات ، القطاع الشمالى والقطاع الجنوبى .. باختصار أحدث عبد المحسن أبوالنور ثورة جريئة ، فبعد أن كانت المديرية وحدة واحدة يختلط فيها الحابل بالنابل كما يقولون ، **أصبحت كل وزارة مشرفة على مصلحة ، وارسلت من القاهرة المدير الذى سيدير العمل فيها ، وأصبحت مديرية التحرير قطاعات صغيرة ، وعين مدير للشركات والقطاعات ..**

وبعد هذا قابلته مرة أخرى قلت لعبد المحسن أبوالنور: هذه قرارات جريئة، قال الوزير: لقد سمعتك تقول فى الجلسة أن الشيء الميئوس منه يفضل بتره، فالبتر يؤلم ولكنه صحي فى نفس الوقت. وأضفت له أنى لكلام نائب رئيس الوزراء ــ كلامك صحيح فالانسان يضطر لقطع رجله أو يده أو خلع عينيه المريضة لكى تصبح الاخرى سليمة.

قال الوزير: ولهذا أنا أخذت هذه القرارات ولا تتصور مدى الرجاءات والشفاعات وكمية التلغرافات التى وصلتنى عن تعارض هذه القرارات مع مصالح البعض، انما أنا أعرف أنهم من ذوى المصلحة، الذين يريدون أن تكون مديرية التحرير عزبة هم يستفيدون منها «ويغرفون» خيرها لكى يصبوا فى أفواههم وبطونهم.

قلت: سيقولون مديرية التحرير بناها مجدى حسنين وصفاها عبدالمحسن أبوالنور.

قال: أنا لم أصف شيئا ولا أريد أن أصفى شيئا بل أنى اصحح وضعا ولا أريد أن أظلم أحدا ولا يرضى أحد أننى فى سبيل المحافظة على شعار أن أهدر مال الشعب، فلكى أكون مستريح الضمير لابد أن أحافظ على مال الشعب، فالمسألة ليست بناء أو هدم، فلان أو علان، ان المسألة مصلحة مصر أولا وأخيرا فنحن لم نلغ مديرية التحرير بل دعمناها فبعد أن كانت هيئة واحدة اصبحت عدة وزارات واعطيناها الامكانيات لتنطلق وأرجو أن تنطلق.

* * * *

وبعد قرارات عبدالمحسن أبوالنور ذهبت مرة أخرى الى مديرية التحرير لأستطلع ماحدث لها، فوجدت اختلافا فى الآراء، مواطنون اعجبتهم القرارات وآخرون لم تعجبهم .. الزراعيون مثلا اعجبتهم قرارات النائب ودافعوا عنها، أما الفنيون فلم يوافقوا على ذلك لأن القاهرة ستعود من جديد تشرف عليهم وسيأتى مفتشون من القاهرة ويفاجئونهم من جديد، وبعد أن كان المدير ثابتا وراسخا أصبح عرضة للنقل هو وأسرته، والعيشة فى مديرية التحرير آخر عز كما

يقولون .. كل شيء موجود ورخيص بل توجد أشياء بالمجان تقريبا كالخضراوات والفاكهة وغيرها . فاذا انتقل الى القاهرة كل شيء بالفلوس كما يقولون ..

ومن يوم ما أصدر عبد المحسن أبوالنور قرارات مديرية التحرير وهي مازالت سارية الى اليوم ..

وكان عبدالمحسن أبوالنور يعتمد فى قطاع الزراعة بالدرجة الأولى على مستشاره عادل عز ، وكان عادل عز كتلة من النشاط المتحرك ، ورغم ترك عبدالمحسن أبوالنور وزارة الزراعة الا أن كل الوزراء الذين عينوا بعد ذلك استعانوا ومازالوا يستعينون بعادل عز بما فيهم الدكتور يوسف والى وزير الزراعة الحالى ، وقد كان عادل عز شعلة من الاخلاص والتفانى فى العمل ومازال .

* * * *

واستمرت علاقتى بعبدالمحسن أبوالنور حتى عين أمينا للجنة المركزية وكنت اتصل به لأحصل منه على الأخبار ، ولم يحدث فى مرة من المرات أن تأخر عنى أو أظهر انشغاله وضجرة من مكالماتى بل كان يتكلم بلغة ريفية عفوية ، ولا غريب عن عبدالمحسن أبوالنور فقد عرفت أنه فلاح من المنوفية ، وفى يوم من الأيام سألته بصفته عضوا بارزا فى لجنة تصفية الاقطاع . قلت لماذا تضعون كل هؤلاء الناس تحت الحراسة ، اليس هذا نوعا من الارهاب ، أو الارهاب بعينه .. قال عبدالمحسن أبوالنور: النية كانت تتجه أولا الى فرض الحراسة على أسماء بقرارات ، ولكن فضلنا أن نجتمع فى لجنة ونستعرض الأسماء وتقارير الأمن ونناقش كل اسم على حدة وعلى هذه اللجنة الوقاية ، فقد كنا نتوقع مرضا لأى **شخص فكانت اللجنة تأخذ احتياطات الوقاية له وعلى كل لا اعتقد أن هذا الأمر سيستمر طويلا .**

وبعد ذلك تطورت الأحداث ورأيت عبدالمحسن أبوالنور مرة أخرى فى منزله مع كريمته الأستاذة الأديبة عائشة أبوالنور ، فقد شاءت الظروف والأقدار أن تعمل معنا محررة فى آخر ساعة .. وذهبت معها لوالدها فى منزله وسلمت عليه ،

وقد كان الرجل عاديا لم يتغير.. ومازال يعيش حياته العادية، يحج و يصلى و يصوم.. وتفرغ للعبادة فى منزله، ووزع كل ماله على أولاده واحتفظ لنفسه بما يستر عيشته فى حياته..

وفى رأيى أن عبدالمحسن أبوالنور من الوزراء الذين تركوا بصمات أثناء توليهم وزارات الزراعة والتعمير واستصلاح الأراضى.. فقد عمل كثيرا ومازالت اعماله باقية حتى اليوم..

كتب جديدة للمؤلف

حكام مصر

بين الحقيقة والأكاذيب

صدر الكثير من الكتب والنشرات عن حكام مصر..
ولكن شهود العيان يكذبون .. وينكرون
ويقولون هذا افتراء .

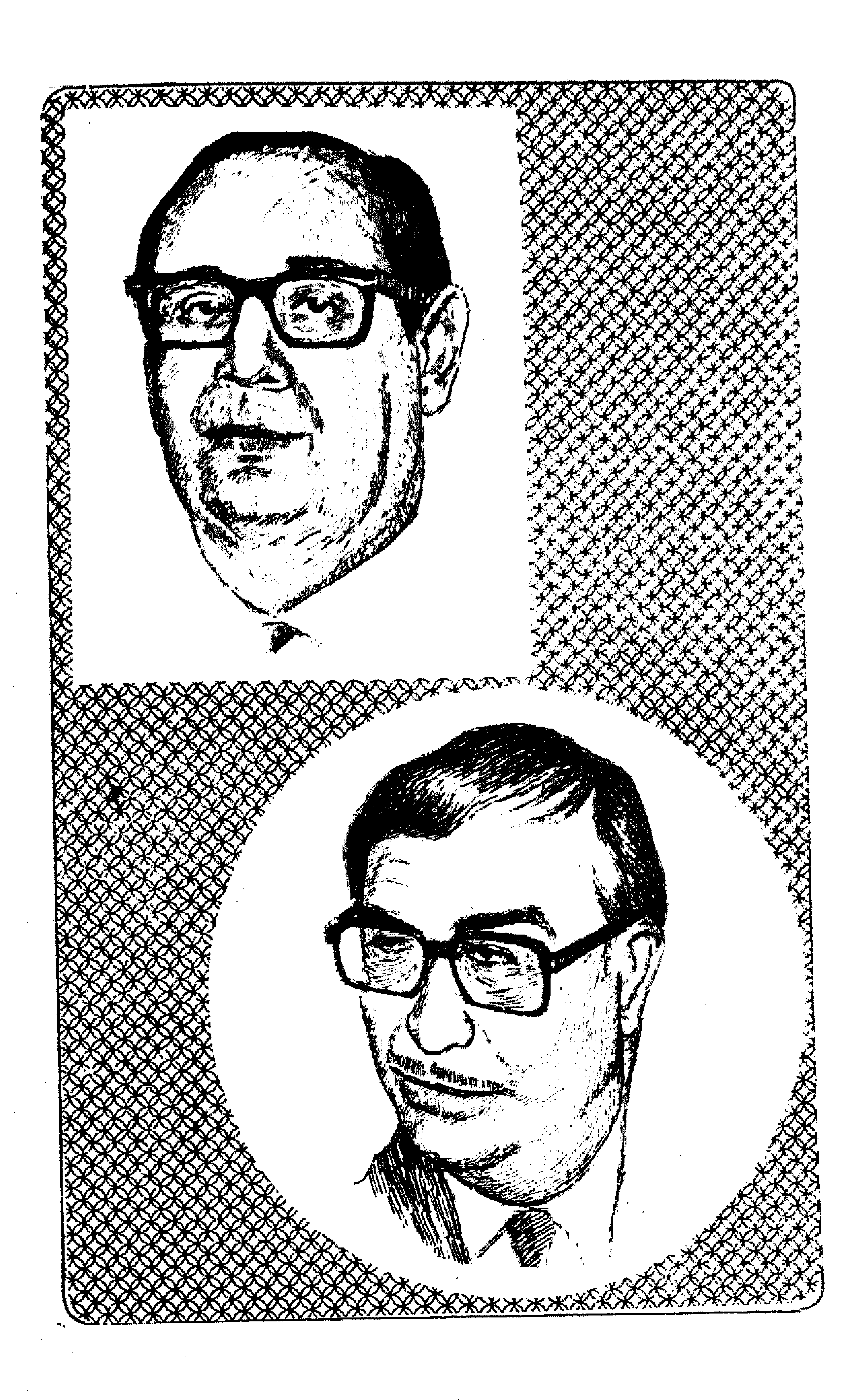
ماذا عن الحقيقة ؟

الكتاب يضع النقط فوق الحروف ويذيع
معلومات جديدة لأول مرة .

كان المهندس ماهر اباظة شجاعا وأصيلا .. فقد شهد شهادة حق .. فى حق المهندس احمد سلطان ، فى وقت كانت كل الامور مهيأة لاغتيال سمعة نائب رئيس الوزراء ، وكان ممكنا أن ينافق المهندس ماهر اباظة أو يسير مع التيار ، ولكن شهامته وأصله أبيا الا أن يقول الحق ..

وعندما تولى المهندس ماهر اباظة وزارة الكهرباء نجح فيها وكان هو الوزير الوحيد الذى استطاع أن يحصل على اكبر كمية من القروض لوزارة الكهرباء لم يحصل عليها أى وزير من قبل .. وقد كانت معجزة بكل المقاييس .. !!

سلطان ..
ملك الكهرباء



العادة دائما بعد تشكيل كل وزارة أن يحدث تعديل وتغيير فى تعيين المحافظين ، واثناء سهرنا فى الجريدة .. فوجئت بأحد الزملاء يقول لى : هل تعرف شخصا أسمه المهندس أحمد سلطان ..

قلت : لا

قال : جناء على وكالة أنباء الشرق الأوسط أنه سيعين محافظا للمنوفية وهو مهندس فى وزارة الكهرباء .

وفكرت أن أجرى عدة تحقيقات صحفية مع المحافظين الجدد لأقدمهم للقارىء ليتعرف عليهم وعلى أفكارهم .

اتصلت بوزارة الكهرباء ، وسألت عن المهندس أحمد سلطان قالوا لى ان منزله فى قلب محطة كهرباء شبرا الخيمة واعطونى رقم تليفونه ، واتصلت به .. انسان هادىء وقور ، قلت له اننى أريد مقابلتك لعمل موضوع لأخبار اليوم فقال الساعة الآن العاشرة والنصف مساء ، واذا اردت أن تحضر فأهلا وسهلا ..

قلت : المهم ظروفك هل تسمح أم لا

قال : ظروفى تسمح فى أى وقت ولكنى أفضل أن يكون الموعد غدا الساعة العاشرة صباحا لأننى سأقوم الآن بزيارة عائلية .

واتفقنا على الموعد ، وذهبت الى منزله فى الصباح ، وجدت نفسى أمام محافظ هادىء وسيم لا يخرج منه الكلام الا بعناية ، وعرفت منه أن أصله من المنوفية ومن قريتى بالذات ثم تركت عائلته وهو معها القرية الى

قريسنا فى المنوفية ثم الى بورسعيد ، وشقيقة المحافظ متزوجة من محام صديق عزيز اسمه الاستاذ مصطفى السلكاوى .

وسكت المحافظ وقال لى : بقى انت من مليج .

قلت : نعم

قال : يعنى احنا ولاد قرية واحدة

قلت : للصدف العجيبة

وعرفت من المحافظ ان اسمه بالكامل أحمد سلطان اسماعيل السلكاوى من المنوفية ، اصله من قريتنا مليج ــ عاش فى بورسعيد ، ودرس فى أكاديمية ناصر للعلوم العسكرية وسمعت من الخارج أنه عضو التنظيم الطليعى رغم أنه مهندس كفء ، الا أن له اهتمامات سياسية ..

وتكلم الرجل عن آماله وطموحه بالنسبة لمحافظة المنوفية ، وأنه يتمنى أن يتعاون ابناء المنوفية مع ابن بلدهم لخلق مجتمع متعاون يربطه الحب وانه اذا كانت الامكانيات ضعيفة فلابد أن نتعاون لحل مشاكلنا بالجهود الذاتية ، وكانت أحلام المحافظ وردية وكان متفائلا جدا ..

قلت : متى تحضر الى المنوفية

قال : ان شاء الله بعد حلف اليمين وسوف ادرس المشاكل والعقبات ، وكيفية الانطلاق الى الامام ، وعدد أحمد سلطان مشاكل المنوفية وهى ازدحام السكان ، وقلة الدخل والموارد ، وقلة الرقعة الزراعية ، وكثرة الأيدى العاملة ، وانتشار الأمراض ، وقلة المياه والكهرباء ، كما أن المنوفية تعانى من المشاكل والبيروقراطية والروتين فى المصالح الحكومية ، كما أن الطرق غير ممهدة و ينقصها الكبارى والتليفونات ، أى أنه يوجد نقص شديد فى الخدمات ..

وقال المحافظ : بصراحة الحمل ثقيل

قلت : قواك الله وموعدنا فى المحافظة بعد استلامك العمل

وبعد أن استلم المحافظ العمل فوجئت بتليفون من مصطفى عياد وهو زميل صحفي خريج كلية الآداب قسم الصحافة وكان يعمل مديرا للعلاقات العامة والاعلام بالمحافظة وعمل معى عندما كنت رئيسا لتحرير أول مجلة إقليمية وهي مجلة المنوفية وكان ذلك فى عام ١٩٦٢ ، قال :

ــ نريدك فورا فى المنوفية

قلت : خيريا مصطفى

قال : السيد المحافظ عاوزك

وحاولت الاعتذار وفوجئت بالسيد المحافظ يقول لي : أنا عاوزك لأنى سأقوم بجولة تفتيشية فى محافظة المنوفية على الطبيعة وأنا لا أقبل الاعتذار.

وفعلا سافرت الى شبين الكوم واستقللت مع المحافظ سيارته وتجولنا فى المحافظة أهل المنوفية يمتازون بالعلم وحب العمل والطموح وبدأ المحافظ يخطط لعمل المشروعات بالجهود الذاتية وذلك لقلة الاعتمادات ..

وتوطدت العلاقة بين المحافظ وبينى وأصبحت أذهب أسبوعيا الى المنوفية وفكرت أن أقوم بمغامرة صحفية فى المنوفية ، بعد مالاحظ المحافظ أثناء جولاته التخلف فى بعض القرى لأنهم يعتقدون فى المشعوذين والدجالين ، واقترحت على المحافظ أن أقوم بمغامرة صحفية تنكرية فى قرى المنوفية ، اتنكر فيها فى زى شيخ واقنعت الأهالى لدرجة أنهم قرروا أن يبنوا لى مقاما يتبركون فيه بى ، وبعد ذلك أكشف عن شخصيتى ووعدنى المحافظ أن يساعدنى بكل مايستطيع خصوصا بعد ما أعجبته الفكرة ..

* * * *

واتصلت بالعقيد عبدالعال شطا رئيس المباحث الجنائية بالمنوفية وقلت له ماحدث بينى وبين المحافظ واتصلت المحافظة ومدير الأمن بوزير الداخلية شعراوى جمعة الذى وافق على الفكرة ، وتنكرت فى زى شيخ عطعوط وبدأت جولاتى فى قرية أم صالح بالمنوفية ومكثت فيها بعض الشيء وكان يرافقنى

و يساعدنى النقيب فاروق مكى الذى أصبح الآن مديرا للبحث الجنائى بمصلحة أمن الموانىء ــ تنكر فاروق مكى فى زى شيخ وكان يساعدنى وتنكر أيضا حسن سعد فى زى شيخ وكان يرافقنا أيضا الأستاذ توفيق مدير فريق التمثيل فى قصر الثقافة والذى كان مخصصا للمكياج حتى اذا وقعت الدقن أو وقع الشنب يقوم هو بالـلازم وانتقلنا من أم صالح مركز بركة السبع الى ديبركى مركز منوف أى قرية فى الشرق وقرية فى الغرب ، وكان أهل ديبركى الطيبون على مستوى كبير من الاستقبال والحفاوة للشيخ عطعوط .. ووصل الأمر بهم الى بناء ضريح للشيخ عطعوط وكنت أسير فى القرية وسط مجموعة هائلة من البشر بالكلوبات أمامى وخلفى و يسير بجانبى الشيخ مصطفى (فاروق مكى) والشيخ حسن والشيخ توفيق ، ومكثت فى ديبركى أكثر من أسبوع فى منزل العمدة المرحوم عبد اللطيف عطا الله ، وكشفت على حالات كثيرة وخرجت من التجربة أن أى شخص ممكن أن يضحك على الناس الطيبين ، و بعد أن انتهت التجربة نشرت الموضوع فى أخبار اليوم ونزلت أنا والمحافظ نمر على هذه القرى وقال المحافظ : لقد وافقت على تجربة الشيخ عطعوط لكى أحذركم يا أهلى و ياعشيرتى أبناء المنوفية من الدجل والشعوذة وأرجو ألا تسمحوا لأى غريب لا تعرفوه أن يدخل القرية و يدعى أنه شيخ لا تصدقوه ، وحذرهم المحافظ من النصابين والدجالين وقطاع الطرق ، وقال أيضا : أنه اراد أن يعطيهم تجربة عملية حية حتى لا يصدقوا ولا ينخدعوا فى الأشخاص وأكيد أنهم لو بحثوا وسألوا لاكتشفوا النصابين ، وصفق أهل القرية للمحافظ ولرجال الأمن والنقيب فاروق مكى (الشيخ مصطفى) واصبح اسم ديبركى بلد الشيخ عطعوط .. نظرا لما أخذ هذا الموضوع من ضجة ..

واستمرت الصلة بيننا تليفونات مستمرة وعلاقات مستمرة ...

وفى أحد الأيام قلت للمهندس أحمد سلطان .. هل ذهبت لأنور السادات .

قال : وماله أنور السادات .

قلت : يظهر أن الرئيس عبد الناصر أعطى له اجازة شوية .. ففى أثناء وجود

عبدالناصر للعلاج فى تسخالطوبو بالاتحاد السوفيتى فقد اعلن عن مشروع روجرز فى أمريكا .. وهنا أعلن السادات الذى كان مفوضا للعمل رئيسا للجمهورية ، أن مصر ترفض مشروع روجرز بينما كانت توجد اتصالات بين أمريكا ومصر بخصوص هذا .. كما كان يوجد اتفاق للتوقيت ، ولم يتصل أنور السادات بعبدالناصر قبل اعطاء هذه التصريحات ، أو بالمعنى الصحيح فوجىء أنور السادات بأسئلة الصحفيين .. فكانت اجابته الفورية التى أغضبت جمال عبدالناصر ، وعندما وصل جمال عبدالناصر الى مطار القاهرة قادما من تسخالطوبو كان الوزراء وكبار القوم فى استقباله .. وكان فى استقباله أيضا النائب أنور السادات .. فقابله عبدالناصر ولم يقل له سوى .. يا أنور أنا شايفك تعبان شوية ... عاوزك تستريح .. وتكون راحتك فى بلدكم ميت أبو الكوم .. وترك أنور السادات القاهرة وذهب مباشرة إلى ميت أبوالكوم .. وانعقد المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ولم يحضره أنور السادات وأثار غياب أنور السادات الجميع .. وانتشرت شائعات كثيرة عنه اطلقتها المخابرات العامة ومخابرات أمن الرئاسة التى كان يشرف عليها سامى شرف .. وقالوا أن أنور السادات استولى على قصر بالهرم وأن صاحب القصر وهو اللواء الموجى قد اشتكى للرئيس عبدالناصر من واقعة الاستيلاء ، وأن اللواء الموجى كان عسكريا مشهورا فقد كان احد قادة المدرعات وكان يعرفه الرئيس عبدالناصر شخصيا ، وقال الموجى لعبدالناصر أن أنور السادات قال له ان لم تسكت سأضعك تحت الحراسة وأعتقلك ... هذه قصة ، والقصة الأخرى أن أنور السادات اشترك مع بعض الأشخاص عن طريق بعض المحامين اعضاء مجلس الشعب .. وكونوا شركة واستولوا على أرض فى الهرم ، وفى طريق اسكندرية الصحراوى .. دون أى مستندات وعندما ارادت الشرطة أن تضع يدها على الأرض اتصل السادات بمدير الأمن وهدده بنقله ، اشاعة ثالثة أن جيهان السادات ضبطت وهى تهرب الماظات وذهباً الى الخارج .. وكانت هذه الاشاعات فى النوادى ومكاتب الحزب ، واعضاء مجلس الشعب ، لدرجة أن أحد اعضاء المجلس أراد أن يستفسر عن سبب اختفاء أنور السادات فلم يتمكن ، ولكن أحد اعضاء المؤتمر القومى للاتحاد

الاشتراكي سأل عبدالناصر أين أنور السادات .. فرد عليه عبدالناصر : أنور السادات موجود وفى اجازة بيستريح شوية ..

وذهب أحمد سلطان محافظ المنوفية الى أنور السادات فى ميت أبوالكوم رغم تخوفه أن تعلم أجهزة سامي شرف بهذه الزيارة .. وجلس أحمد سلطان فترة طويلة من الليل مع أنور السادات ثم عاد بعد ذلك الى شبين الكوم مقر المحافظة ..

وبدأ أحمد سلطان إتصالاته فى قطاع الكهرباء لانارة بعض المراكز والقرى وبعد فترة تغيرت الوزارة وأصبح أحمد سلطان وزيرا للكهرباء ، وعندما أصبح وزيرا وضع تخطيطا لانارة كل قرى مصر ووضع فى خطته ايضا ليس القرى فحسب بل النجوع ايضا ، واجتمع بهيئة كهرباء الريف ووضع خطة لانارة كل مصر.. وعندما مات عبدالناصر وتولى أنور السادات الحكم أخذ المهندس أحمد سلطان الكثير وعين نائبا لرئيس الوزراء للانتاج ووزيرا للكهرباء والطاقة ، ولمع اسم المهندس أحمد سلطان ، وكان السادات يعتبره من رجاله المقربين ..

* * * *

وباعدت بيننا الظروف فطبيعة عمله كنائب لرئيس الوزراء تجعله مشغولا ، وأنا ليس من عادتى أن أطارد أحدا من أصدقائى ، فاذا ارادنى فليطلبنى .. وبعد فترة من التعيين .. فوجئت بتليفون من سكرتير الوزير محمد عجمي الذى اعرفه من المنوفية ، فقد كان سكرتيرا خاصا للسيد الوزير أيضا فى المنوفية ، قال عجمى : سيادة النائب ـ كان المهندس سلطان نائبا لرئيس الوزراء فى هذا الوقت ـ يبحث عنك ..

قلت : خير

قال : خير

وحولنى للمهندس أحمد سلطان الذى ضحك وقال : انت فين انا كل يوم باقرأ الاهرام وخصوصا صفحة الوفيات وبحثت عن اسمك فلم أجده ..

قلت : اعوذ بالله ياسيادة النائب هوده الحب

قال : امال فينك ؟

قلت : موجود ولكن أنا عارف انك مشغول وكان الله فى العون ..

قال أحمد سلطان : أنا ياسيدى مش مشغول ، اذا كنت انت مشغولا فأنا مش مشغول عنك انما مشغول عليك .. المهم جواز سفرك جاهز ..

قلت : خير

قال : أنا مسافر المانيا ، وطالبين وفد صحفى معايا فأول مافكرت .. فكرت فيك ..

قلت : شكرا ياسيادة النائب .. ولكن بس ..

قال : لا بس ولا حاجة تذكرة سفرك جاهزة وكل شىء جاهز وماعليك الا أن تحضر جواز السفر وتعمل ترتيباتك فى الجريدة ..

* * * *

واستأذنت الجريدة .. وفى ظرف يومين كنت مسافرا مع بعض الأخوة الصحفيين الى المانيا ، وفى مطار فرانكفورت نزلنا والى أحد الفنادق الكبيرة ذهبنا .. دخلنا الحجرة فاذا بى أجد برنامجا كاملا للزيارة منذ وصولنا الى يوم المغادرة .. البرنامج منظم بالساعة والدقيقة ، والأماكن التى سنزورها والأشخاص الذين سنقابلهم ، وفى نهاية البرنامج مكتوب ملاحظة : عزيزى الضيف اذا اردت أن تضيف أماكن للزيارة أو أشخاصا للمقابلة ماعليك الا أن تبلغ رغبتك للمندوب المرافق أو بالكتابة على هذه الورقة ، وجدنا البرنامج حافلا بزيارة كبرى محطات الكهرباء ، العادية والنووية ، مقابلات مع أشخاص ورؤساء مجالس ادارة شركات صناعية وكهربائية ، الالمان فى غاية النظام والنظافة ..

وأنا فى حجرتى اقرأ البرنامج طلبنى المهندس أحمد سلطان وزير الكهرباء هيه انت تمام وزملاؤك تمام .. وكل شىء على مايرام ؟

قلت : تمام يافندم

قال : يبقى أنام بقى.. وموعدنا فى الصباح باذن الله .

كان برنامج الزيارة كما قلت حافلا أول يوم وفى الساعة التاسعة صباحا قابلنا بعض كبار المسئولين عن الكهرباء فى المانيا وشرحوا لنا استهلاك المانيا من الكهرباء وماتطلبه فى الحاضر والمستقبل وعدد محطات الكهرباء الموجودة حاليا والزيارات المرتبة لنا فى هذه الشركات وسألنا بعض الأسئلة .. ورد الرجل أن التعاون بين مصر والمانيا فى الكهرباء كبير ومستقبلا سيكون أكبر، وبعد المقابلة ذهبنا لزيارة احدى محطات الكهرباء الكبرى بالمانيا .. المحطة ضخمة وكبيرة... العمال والمهندسون يعملون بصمت ونظام .. النظافة فوق الوصف ، فعندما دخلنا المحطة طلبوا منا أن نرتدى بدلة معينة ، وشباشب خفيفة جدا ، وذلك حتى لا تتسخ أرصفة المحطة .. شيء عظيم أن تجد نفسك وسط عمل جبار فالمحطة عملاقة .. والكل يعمل كالساعة .. والأعظم أن مصر ستكون لديها محطة من هذا النوع ..

ــ ياحلاوة .. كلمة عفوية قالها أحد الزملاء .. شيء عظيم أن يكون لمصر مثل هذه المحطة العملاقة ..

ــ قال المهندس : ان هذه المحطة احدث محطة تعمل بالكمبيوتر والتكنولوجيا المتطورة فى العالم ، ولابد من التدريب عليها .. واذا اشترت مصر هذه المحطة فلابد ن اختيار عدد من المهندسين والفنيين من المانيا .

ــ وسال أحد الزملاء الصحفيين مدير المحطة : هل زرت القاهرة وما رأيك فى المهندس المصرى ..

ــ قال : لقد زرت القاهره عدة مرات وشاهدت المهندس والعامل المصرى وبلا مجاملة أقول أن المهندس والعامل المصرى فى منتهى الذكاء ، يجيد التصرف وعلى درجة كبيرة من الصبر، فالعامل والمهندس الأوربى واليابانى يستعمل عقله قليلا لكنه غالبا مايعتمد على الكمبيوتر انما المهندس والعامل المصرى يعتمد على

نقله كلية .. واذا اتيحت الفرصة للعامل أو المهندس المصرى للانطلاق فسيحقق الكثير، وعلى فكرة عندى لكم مفاجأة ..

قلت : ماذا ؟ قال يوجد ٤ مهندس وثلاثة عمال مصريين يعملون فى المحطة بعضهم مجنس بالجنسية الالمانية .. وفى ثوان كان المهندس والثلاثة عمال يحيطون بنا ، أخذوا يشيدون بتفوق العامل والمهندس المصرى وقالوا انهم حققوا الكثير وحكى لنا كل واحد منهم كيف هاجر الى المانيا والتحق بعدة اعمال مختلفة حتى امتازوا فى هذا العمل وتفوقوا فيه ..

قال أحد الزملاء : ما اعجب الانسان المصرى ، يهان فى بلده وتكرمه أحسن وأكثر الدول تقدما ..

قال المهندس المصرى ، لقد هاجرنا بعد حرب ٦٧ الهزيمة كانت مرة ومؤلمة لا نرى الا السواد تحطمت آمالنا على صخرة الهزيمة ، فهاجرنا الى المانيا ، كنا مجموعة نعمل فى أحد المصانع الكبرى بالقاهرة قلبنا على قلب بعض ، وبحثنا عن عمل والتحقنا باعمال صغيرة ومتوسطة وارتقينا من عمل الى آخر .. حتى التحقنا بهذ العمل وتفوقنا فيه ..

وشددنا على أيديهم وانصرفنا بعدما شاهدنا هذه المحطة العظيمة .

* * * *

وكانت الزيارة التالية لنا للمحطة النووية ودخلنا المحطة النووية مختلفة تماما عن المحطة الكهربائية العادية ، ففى الأولى لابد من تصريح زيارة وتعليق بطاقة على صدرك ولبس (طاسة) فوق رأسك والدخول من باب الى باب وهكذا وبوابات بالكهرباء واشعة فوق الحمراء والخضراء والصفراء .. المهم توجد استعدادات كبيرة ، المحطة على شكل مجموعة من القباب ، ومواسير ضخمة وأكثر من كمبيوتر، احسست كأننى فى محطة ضخمة لعالم الفضاء كالتى أراها فى الافلام ، وأخذ مدير المحطة يشرح لنا كيفية العمل بالمحطة ومزاياها ، وبصراحة المسألة فى نظرى كانت معقدة وأنا كنت ادبى وليس لى هواية لا بالطبيعة ولا

بالرياضة ، وانما وجدت امامى عملا عظيما جدا ، وعرفت أن المستقبل فى الكهرباء للمحطات النووية ، وفى المحطات النووية بالذات يكون من النادر جدا أن يوظفوا عمالا أجانب فلابد أن يكون كل العمال والمهندسين والفنيين المانيا ابا عن جد ..

وكانت الزيارة الثالثة فى اليوم الثالث لمصنع لتصنيع أجهزة التليفزيون والثلاجات وجميع الأدوات الكهربائية .، وذلك لأن أحمد سلطان كان يعمل نائبا لرئيس الوزراء للانتاج وتتبعه الصناعة ، وفى هذا اليوم أقام لنا القنصل المصرى فى المانيا حفل عشاء فى مطعم قديم ، وفى هذا المطعم أكلت لأول مرة لحم الخيل ولحم الغزال ، ولم اعرفه الا بعد أن تذوقته واعجبت به فقالوا لى عن اسميها ، وكان الأكل على الرقصات الشعبية الالمانية القديمة ، وكانت سهرة ممتعة عدنا الى القاهرة فى اليوم التالى ..

* * * *

وبعد العودة من السفر لم التق بالمهندس أحمد سلطان الا بعد حوالى شهر .. وذهبت اليه للزيارة فى منزله فى شارع البطل أحمد عبدالعزيز فقد كان مريضا ، وبعد ذلك بأسبوعين ذهبت اليه فى مكتبه فقال لى : اننى استطعت أن أنير ٨٥٪ من مصر بالكهرباء وخصوصا فى الوجه البحرى معظم المحافظات كالمنوفية مثلا ٩٥٪ منها مضاء الآن بالكهرباء ــ الكهرباء وصلت الى القرى والنجوع ، وسوف يكون تركيزى فى المرحلة القادمة على أن يضاء الصعيد كله بالكهرباء ..

قال : الا تعرف معنى هذا

قلت : اعرف جيدا

قال : قل لى ماتعرفه

قلت : ان دخول الكهرباء الى القرية معناه نقلة كبيرة الى المدنية ، ومعناه دخول التليفزيون ، والانتقال الى العالم الخارجى ، الثقافة المنزلية والثقافة العامة ، معناه باختصار أن تخرج مصر على وش الدنيا ، معناه انخفاض حوادث

الثأر وتفتت القبلية والرجوع عن عصر الجاهلية والتخلف ..

قال نائب رئيس الوزراء : هل تعلم الآن أن بعض القرى وخصوصا فى المنوفية تخبز الآن بالكهرباء ، بعد أن كانوا يخبزون بالجلة (روث البهائم) فالفلاح الآن أصبح لديه تليفزيون بالكهرباء وسخان بالكهرباء وفرن بالكهرباء حتى « الكانون » أصبح بالكهرباء الغسالة بالطبع بالكهرباء انتقل نقلة كبيرة ..

قلت : ياترى سيكون هذا خيرا أم شرا

قال نائب رئيس الوزراء المهندس أحمد سلطان : خيراً طبعا

قلت : قصدى ممكن أن ينصرف الفلاحون عن العمل و يتحولون من عاملين الى كسالى ومن منتجين الى غير منتجين و يصبح الانفاق فى الكهرباء شديدا ..

قال : ده أنا فى نيتى أن اجعل الساقية تدور بالكهرباء والشادوف يدور بالكهرباء والنورج بالكهرباء ..

قلت : ولماذا الساقية والشادوف والنورج .. لماذا لا تكون الآلات الزراعية الحديثة والمتطورة ..

قال : يوجد مشروع كبير لتحويل الساقية بالكهرباء ، ارجو أن تكتب عنه فى « أخبار اليوم » ..

واعطانى الوزير تفصيلات المشروع وهو كهربة جميع سواقى الجمهورية .

واعطانى بعض البيانات .. وقال لى هل تعرف ماهر اباظة وكيل أول وزارة الكهرباء .

قلت : اسمع عنه .

قال : سأكلمه لتمر عليه لتأخذ منه جميع البيانات ...

* * * *

وذهبت وقابلت ماهر أباظة ، فهو كتلة من النشاط والذكاء المتحرك يعمل

ليلا ونهارا انسان بشوش كريم مقابلته فى غاية العظمة ، احسست بأنى اعرفه منذ سنوات ، واعطانى جميع البيانات ، وطلب منى أن نشرب فنجان قهوة عندما أكون فى ز يارة للوزارة واعطانى ارقام تليفوناته فى المكتب والمنزل واستمرت العلاقة الدائمة بينى و بين المهندس ماهر أباظة ..

وكنت دائم الاتصال بالمهندس أحمد سلطان وخصوصا بعد أن علمت بمرضه الى أن فوجئت بأحد الايام بخبر منشور فى جر يدة الاخبار والاهرام معا مفاده أن شركة وستنجهاوس ، أفادت بعد تحر يات من مصر أن وز ير الكهر باء أخذ منها عمولة ليسهل العملية ، واتصلت بالمهندس سلطان الذى أفاد بأن الموضوع له خلفيات كثيرة ولم يرض أن يتكلم.

اتصلت بالمستشار ماهر الجندى المحامى العام الأول وهوصديق عز يز أعرفه منذ فترة طو يلة قال لى : ان المهندس سلطان متورط فى الموضوع .

اتصلت ببعض الأصدقاء فى الكهر باء قالوا أن موقف المهندس سلطان حديد ولا غبار عليه ..

وعجبت بشجاعة وموقف المهندس ماهر اباظة فقد شهد شهادة حق فى حق المهندس أحمد سلطان ، وقال الناس وقلت معهم : برافو لقد اثمرت فيك العشرة ، كان ممكنا أن ينافق المهندس ماهر أباظة وان يسيرمع التيار أويربط الحمار كما يريد صاحبه كما يقولون ولكن المهندس ماهر اباظة أشاد بجهود المهندس أحمد سلطان فى الكهرباء و بصماته التى لا تنسى فى الكهرباء ، قال هذه الشهادة بعد أن عين ماهر اباظة وزيرا للكهرباء خلفا للمهندس أحمد سلطان .. لم يغيرمن أى شىء ، بالعكس ثبت على موقفه وشهد الحق ولا سواه .. ونطقت المحكمة ببراءة المهندس سلطان من واقعة الرشوة واستغلال النفوذ ، وكانت هذه القضية هى واحدة من القضايا التى وقع فيها نظام السادات ولقد سمعت أن المهندس أحمد سلطان هاجم نظام السادات فى احدى الجلسات ، فنقلت الى الرئيس خطأ .. وسمعت أيضا أن أمريكا هى التى ارسلت رسالة تنبه فيها الى هذا ، الله اعلم فالكلام كثير، ولكن المهم أن المحكمة برأت المهندس سلطان ، والحقيقة اذا كان

فى مصر خبرة قوية فهى فى القضاء العادل ، واذا كنا قد قلنا أن طه حسين جعل العلم كالماء والهواء فان المهندس سلطان جعل الكهرباء فى متناول الجميع وادخل الكهرباء الى القرى والنجوع .

وترك المهندس أحمد سلطان وزارة الكهرباء الى المهندس ماهر أباظة ..

وماهر اباظة كتلة من النشاط نظيف دبلوماسي بدرجة كبيرة يعمل ليلا ونهارا ، وبعد أن ترك المهندس سلطان الكهرباء ضاعف المحطات الكهربائية الى أكثر من مائة مرة ودخل فى مشروعات كبيرة وكثيرة استطاع المهندس ماهر أباظة أن يحقق المعادلة الصعبة بأن يتم أى عمل بكل شىء ، عن طريق اللجان ، ولكن فى نفس الوقت يضرب الروتين والبيروقراطية و يأخذ قرارات ثورية .

قلت لماهر أباظة : الا تخاف من عبدالروتين افندى أن يحاسبك فى يوم من الأيام ؟

قال : مادام الانسان نظيفا و يده نظيفة فإنه لا يخاف من شىء .

وأذكر أننى عشت غضب المهندس ماهر أباظة ، لأن احد الزملاء اخذ يهاجم المحطات النووية ، وارسل الوزير اليه وحضر ، وأخذ الوزير يدافع عن المحطات النووية ، وظهر بعد أن تأنى الجميع أن المحطات النووية هى ضرورة لمصر فى المستقبل ..

ان ماهر اباظة رجل مجامل ، عندما كنا أجرى جراحة فى مستشفى السلام الدولى ، فوجئت بالوزير ماهر اباظة يحضر الى و يزورنى ، ولم يكتف بهذا بل حضر الى منزلى يطمئن على ..

وعندما سألته : كيف يأتى وسط مشاغله .

قال لى كلمة اعتقد أنها حكمة قال الوزير ماهر اباظة : ان كرسى الوزارة ليس دائما ، وانما الدائم هو العلاقات الممتازة بين الناس وان الناس تتذكر الانسان بعمله لا تتذكر كرسى الوزارة وكم من وزير رحل عن كرسى الوزارة ولم يترك بصمات بل احيانا شيعته اللعنات ، و يوجد وزراء لن يمحى اسمهم من

ذاكرة التاريخ ، وقال ماهر اباظة أن الدولة تعطى الامكانيات الآن لكى تتم انارة جميع قرى الجمهورية ، كذلك توفر الكهرباء للمصانع التى تحتاج الى كهرباء كثيرة ، فالكهرباء تضاعفت مئات المرات ونحن فى احتياج الى مجهود كبير لنوفر الكهرباء للجمهور وللمصانع ، فمصر تحتاج الى كميات كبيرة من الكهرباء فى المرحلة القادمة ..

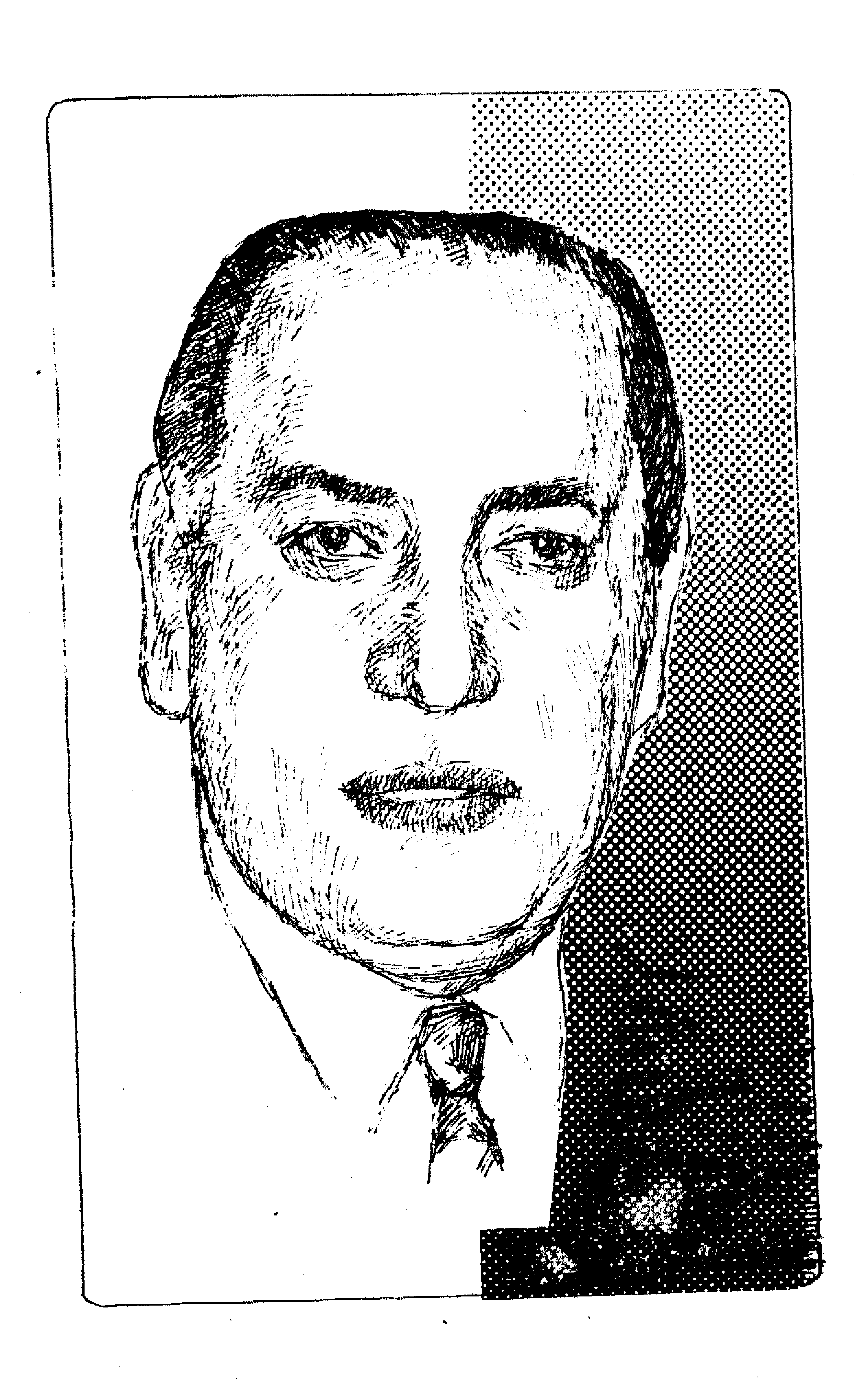
* * * *

ان ما قام به المهندس أحمد سلطان من مشروعات فى الكهرباء ، وأضاف اليه المهندس ماهر اباظة فى نظرى تحولا كبيرا فى مصر.. فلولا الكهرباء لما كان العلم ، وبالمناسبة لقد دخلت بعض العمارات فى قريتى المصاعد الكهربائية ، وتحولت قريتى بالمنوفية الى لؤلؤة فى الليل .. وتحولت الأماكن المهجورة التى حدثت فيها أكثر من قصة قتل وكنا نخاف السير فيها بالليل ، تحولت الى فلل ومبان عصرية ..

وتحولت الاراضى المهجورة الى عمارات ، واذا نقطعت الكهرباء الآن ساعة واحدة من القرية يصرخ اهالى القرية .. فلقد تعودوا عليها ، والكهرباء عز كبير والبركة فى المهندس أحمد سلطان والمهندس ماهر اباظة .

قال المهندس عبد العظيم أبوالعطا ، عندما أبلغته بوجود مخالفات مالية .. كله كوم والمخالفات المالية كوم .. اذن سأنسحب وعليك بتبليغ أجهزة الرقابة لان كلامى معك الان يحمل نوعا من المساومة ، وأنا لاأقبل المساومة ولاأقبل أن اكون واسطة لانسان منحرف ، لقد « وسطونى » لانهى حملة صحفية ولكنى لاأعرف أنه وراءها مخالفات مالية .. فأنا مؤمن بالنظافة وطهارة اليد واعتبر ما قلته كله لاغياً ودعنا نتكلم فى شىء جديد ومفيد .. !!

المهندس أبو العطا
تحدى الرئيس



من الوزراء الذين تركوا بصمات فى وزارة الزراعة والرى المرحوم المهندس عبدالعظيم أبوالعطا ، فقد كان رحمه الله غاية من الكفاءة والاخلاص ..

* * * *

وتبدأ معرفتى بالمهندس أبوالعطا عندما كنت فى «اخبار اليوم» وفى عام ١٩٦٧ ، بعد النكسة نشرت مقالة فى الصفحة الأولى بعنوان «لا يا رئيس مجلس الادارة» ، وقلت فيها أن فى الوقت الذى تعانى فيه الدولة من نقص العملة الصعبة والدولة نفسها تعلن ضغط الانفاق الحكومى ، فسحبت السيارات من الوزارات ، وخفضت الاعتمادات المخصصة للمصالح الحيوية الهامة سواء فى وزارات الخدمة الرئيسية كالتليفونات والسكة الحديد والنقل البرى حتى وصل ضغط الانفاق الى دور الرعاية الاجتماعية والاحداث وغيرها ، الدولة كلها فى واد ورئيس مجلس ادارة استصلاح الأراضى فى واد آخر.. وكتبت وقلت : هل معقول أن يركب رئيس مجلس الادارة سبعة أجهزة تكييف مرة واحدة فى مكتبه بينما آلالاف المؤلفة من جنودنا على الجبهة يعملون فى عز الحر ، وقلت : لا يا رئيس مجلس الادارة ، ان ما فعلته عبث كبير بحق الشعب وبأموال الشعب ، ولا يمكن أن يصل الاهمال بأموال الدولة الى هذا الحد ، وقلت أيضا : ان رئيس مجلس الادارة بما فعل يستفز الناس والموظفين والجنود ، لأنه لا يطيق حر القاهرة فتغلب عليه بسبعة اجهزة تكييف ، وما كادت «أخبار اليوم» تظهر الا واتصل بى رئيس مجلس الادارة وعلى ما اتذكر كان اسمه «اللواء صبيح» ووجدت رئيس مجلس الادارة ثائرا جدا على ما كتبت فى

« اخبار اليوم » وقال : ان ما كتبته فى « اخبار اليوم » تخريب كبير فى حق مصر واهانة فى حقى أنا شخصيا . وسكت لحظة ولم أعلق الا اننى وضعت سماعة التليفون خشية أن أتكلم أو أغلط أو أرد ردا عنيفا على اللواء صبيح ..

* * *

وطلبتنى السكرتيرة مرة أخرى فطلبت من أحد الزملاء أن يقول لها بأنى نزلت للتو واللحظة ، واننى لن اعود الا فى الصباح .. وفى الساعة العاشرة والنصف وجدت عامل التليفون يقول لى المهندس عبد العظيم أبوالعطا يريدك .

ــ قلت : ومن هو المهندس عبد العظيم أبوالعطا .

قال : لا أعلم .

وتكلمت مع المهندس أبو العطا .. فقال : انا مدير ادارة شركة استصلاح الاراضى وكلمك أمس اللواء صبيح ، وهورجل طيب ولكنه كان منفعلاً بعض الشىء .. ممكن احضر الى « دار اخبار اليوم » لاتناول معك فنجان شاى ، واتفقنا على موعد ، وجاء المهندس ابوالعطا يوضح الأمر .. وقبل أن انطق بكلمة قال لى : اولا نحن معترفون بان تركيب ٧ أجهزة تكييف فى مكتب رئيس مجلس الادارة هى عملية استفزازية ، والقانون يشترط الان تركيب اجهزة تكييف مصرية ، والاجهزة لاتعمل بكفاءة تامة ، انا معك بان السبعة حاجة صعبة انما حدث خطأ ، وعلى كل رئيس مجلس الادارة كان أعد هذه القاعة للاجتماعات واستولى عليها مؤقتا لحين الانتهاء من تنظيم مكتب اللواء صبيح ، وظل المهندس عبد العظيم ابوالعطا يشرح الظروف و يتكلم الى أن قلت له : ياباشمهندس لقد اعترفت بان المسألة كلها خطأ فى خطأ ومهما كانت التبريرات فسبعة اجهزة تكييف فى مكتب واحد تعتقد معى أنها كثيرة .. والمسألة ليست اسرافا وانفاقا فقط بل عدم عقل وترفيه زيادة عن اللزوم .. قال المهندس ابوالعطا : معك حق ، ولكن اجهزة التكييف ركبت فى صالة الاجتماعات وهى كبيرة وليست فى

مكتب رئيس مجلس الادارة ..

قلت له : مارأيك أن صالة الاجتماعات هذه لم تظهر الا بعد النشر فى اخبار اليوم .

قال : لقد كتب الاستاذ سعيد سنبل ايضا يعلق على هذا ، فنرجو ان تقف الحملة ، ورئيس مجلس الادارة سينتقل الى مكتبه وز يادة على هذا سنرفع اربعة أجهزة تكييف من المكتب ونوزعها على المكاتب الاخرى و يكون الامر قد انتهى عند هذا

قلت : لا الأمر لم ينته فتوجد مخالفات مالية جسيمة فى الشركة ولابد من الكتابة عنها ..

قال المهندس ابو العطا .. كله كوم والمخالفات المالية كوم .. إذن سأنسحب وعليك بتبليغ اجهزة الرقابة لان كلامى معك يحمل نوعا من المساومة وانا لا أقبل المساومة .. وانصرف المهندس ابو العطا وارسلت فعلا الملفات التى وصلتنى عن الشركة للاجهزة الرقابية و بدأ التحقيق فيها ، وعوقب الموظفون الذين تسببوا فى هذه المخالفات ، وظهر من التحقيق أن المسئولية تقع على بعض صغار الموظفين وان المسألة كانت اختلاسا من أموال ومعدات الشركة ، و بعد فترة رقى المهندس ابوالعطا رئيسا لمجلس ادارة الشركة .. **ودامت الاتصالات بيننا ، الى أن علمت فى يوم ما انه من المرشحين للوزارة فاتصلت به فى منزله فقال : والله للآن لم يتصل بى أحد ، المسألة كلها تكهنات وأنا مؤمن بالنصيب .**

* * * *

و بعد يومين قرأنا اسم المهندس عبدالعظيم أبوالعطا وزيرا للزراعة والرى ، واتصلت به لكى اجرى معه حديثا « لاخبار اليوم » ، وقد كانت آراؤه جريئة ، فمن رأيه أنه لا يجب أن نفرض وصاية على الفلاح ، وأن مسألة تسويق القطن تعاونيا لابد من اعادة النظر فيها ولا يجب أن نصر على الاخطاء ، ومن رأيه ايضا لابد من ميكنة الزراعة وان هذا هودور الدولة ، فالدولة لابد أن تشترى الآلات

والماكينات الزراعية وتوزعها على الفلاحين نظير اقساط مريحة ، ومن رأيه ايضا أن الدولة يجب أن تفتح الباب على مصراعيه لشراء مستلزمات الانتاج وملاحقة التطور الزراعي والتكنولوجي . الثورة الزراعية تنتشر في العالم ولابد من تبادل الخبرات الزراعية مع اوروبا وامريكا ، وان الارض لمن يزرعها وليست لمن يملكها و يضعها تحت رحمة الاسوار، وان مصر لديها اراض كثيرة جدا غير مزروعة ، وان هذه الاراضي لايمكن أن تتحول الى خضرة الا اذا اشتركت كبرى شركات القطاع العام والخاص في تصليح الارض واستصلاحها واستزراعها فمهما بلغت الدولة من امكانيات فلابد ان تتعاون مع القطاع الخاص والاهالي لاستغلال هذه المساحة الشاسعة من الارض ..

* * * *

والحقيقة كانت افكار واجراءات المهندس ابوالعطا جريئة .. وقد كان يقول لي على ممدوح سالم رئيس الوزراء ، انه لم يعمل مع انسان ممتاز فرئيس الوزراء في منتهى النظافة يعمل ليلا ونهارا من اجل مصر، وان الجميع لابد أن يعمل مثلما يعمل رئيس الوزراء .

* * * *

ولقد كنت في زيارة لامريكا ، وهناك قابلني رئيس مجلس ادارة اكبر شركة زراعية هناك اسمه « كارل آبيل » وقال لي : لقد سمعت عن المهندس ابوالعطا وزير الزراعة .. فقد قابلته مرة واحدة عندما كنت في زيارة للقاهرة ، واريدك ان تعطيه هذا الخطاب الذى ندعوه فيه لزيارة « فينكس اريزونا » لكى يرى نوعا جديدا من زراعة الطماطم والخضر عن طريق « الصوب » وهى مثل الخيمة البلاستيك تزرع فيها انواع الزرع المختلفة طوال العام ..

وعندما عدت الى القاهرة اتصلت بالمهندس عبدالعظيم ابوالعطا

وقلت له : تعرف كارل آبيل

قال : من هو كارل آبيل ؟

قلت : رئيس مجلس ادارة اكبر شركة زراعية فى أمريكا فى فينكس اريزونا

قال : اعرفه كويس ولكن كيف التقيت به ؟ قلت : زيارة لامريكا رتبتها لى السفارة المصرية فى امريكا فى ذلك الوقت ولقد اعطانى لك خطابا مفصلا ومعه مظروف كبير.

قال الوزير : ارجوان تحضره لى غدا ، فانى اود ان اراك

وذهبت الى الوزير فى الموعد المحدد وفتح المظروف امامى .. وفهمت لماذا استدعانى الوزير فلقد اراد أن يطلعنى على مافى الظرف خشية أن افكر فى شيء ماحول ما ارسل آبيل معى ، ووجد فى الظرف بعض كتيبات وكاتلوجات صغيرة . وفى الخطاب الاخر دعوة لزيارة امريكا ، وهنا طلب من مدير مكتبه أن يرسل خطابا الى كارل يخبره فيه أن الوزير قبل الدعوة بشرط أن تكون موجهة من الحكومة الامريكية وليست من اى شركة وان تعدل الدعوة بحيث تكون من حكومة الى حكومة .

* * * *

وبعد فترة اتصل بى المهندس عبد العظيم ابوالعطا وقال لى : اننى ادعوك للسفر الى امريكا لزيارة مزارع وقناطر الرى الكبيرة الموجودة فى امريكا ..

وقلت للوزير اننى سأكون هناك بالصدفة فى هذا الموعد ، واتفقنا والتقينا هناك .. وكانت زيارة ممتازة فهم يستغلون كل شيء ، الشمس فى عمل السخانات الشمسية ، يزرعون بنظام الصوب كل الفاكهة والخضراوات سواء كان موسمها ام لا .. قناطر الرى الصناعية التى تدر مياها كثيرة واستغلال هذه المياة وهذه السدود الصناعية فى توليد الكهرباء ، مشروع خطير وهام ، ثم بعد ذلك انتقلنا الى كاليفورنيا ، لنرى زراعة الخضراوات والفاكهة .. وعاد المهندس عبد العظيم ابوالعطا الى القاهرة بعد أن كشف طبيا على نفسه ، فقد كان يعانى من آلام حادة فى المعدة ، ونصحه الاطباء بالاستراحة والاستجمام ..

فقلت له : لابد أن تسمع كلام الاطباء وتستريح وتستجم ..

قال لي ــ وهو يضحك ــ : استراحة واستجمام ايه ، لاتوجد استراحة الا بالموت ..

وعاد عبدالعظيم ابو العطا الى القاهرة ، وقد كان فى انتظاره حزب مصر الذى تألف برئاسة ممدوح سالم ، وقد كان عبدالعظيم ابوالعطا عضوا عاملا و بارزا فيه ، وكان يؤمن بالاعمال والافكار الحزبية ، وكان يعمل ليلا ونهارا .. وكنت احدثه فى أى وقت فأجده يعمل بطاقة كبيرة ، فنومه قليل وعمله كثير..

* * * *

ولقد استطاع عبدالعظيم ابو العطا فى الفترة القليلة التى مكثها فى الحزب أن تكون له بصمات وعمله كان ظاهرا ، الى أن حدث ان اعلن الرئيس السادات تكوين الحزب الوطنى وغلق حزب مصر ، فتمسك عبدالعظيم ابوالعطا بحزب مصر ودافع عنه ووقف ضد اللجان التى كانت تريد تصفية حزب مصر ولم يعترف عبدالعظيم ابوالعطا برئيس الا ممدوح سالم ، ورغم أن ممدوح سالم كان يطلب الهدوء والامتثال ، الا أن عبدالعظيم ابوالعطا صمم على رأيه وكتب اكثر من مقالة يدافع فيها عن الحزب وهاجم الحزب الوطنى وقال ان المفروض أن تقوى الحكومة حزب مصر ولاتكون كل يوم حزبا جديدا وانه لايريد أن يعبر الحزب عن رئيس الجمهورية ولكن يريد ان يعبر الحزب عن شعب مصر بأكمله فالحزب ليس حزب الفرد ولكن حزب الجميع ، ورفع بعض اعضاء حزب مصر وعلى رأسهم المهندس عبدالعظيم ابو العطا قضية على الحكومة وذلك لاغتيال حزب مصر ، وصدم وزير الرى السابق فقد غيره الرئيس السادات فى أول تعديل فى الوزارة وذلك بعد أن أعلن تمرده على الحزب الوطنى ..

وكنت فى زيارة لامريكا ، وشاهدت على التليفزيون الامريكى أنه تمت احتفالات كبيرة فى القاهرة ، وكان على رأس هذه الاحتفالات

المهندس عبد العظيم ابوالعطا .. ودخل الوزير السجن ، وقد كان يعانى من مرض كبير وأتعبه السجن ، ففى بداية الأمر كانت المعاملة قاسية ، وكان الوزير يحتاج الى ادوية خاصة .. وبعد أن انتهت «أحداث سبتمبر» بقليل مات عبد العظيم ابوالعطا .. مات أعظم وأشجع وزير .. مات ابوالعطا عضو مجلس الشعب واحد مؤسسى حزب مصر .. مات ليذكره التاريخ .. !!

مشكلة السياحة فى مصر انها غارقة فى الروتين والبيروقراطية والاهمال ، وان المناطق السياحية مكبلة بالقيود ، وان الدولة لابد ان تتجه الى الانفتاح السياحى والانفتاح الانتاجى .. فى الوقت الذى بدأ العالم كله يتجه الى الانفتاح وخصوصا الانفتاح الانتاجى تعلو بعض الاصوات بان نعود من جديد الى الانغلاق وعصر الانغلاق .. وهذه كارثة ليس لهذا الجيل وحده .. بل لكل الاجيال القادمة .. !!

ناظر الانفتاح .. والسياحة



رغم الهجوم الشديد والضارى على الانفتاح الا أنني من أشد أنصاره ، فالانفتاح هو مستقبل العالم .. فالصين بدأت تتجه للانفتاح وجميع من زاروا الصين أخيرا أكدوا أن الصين تتجه بسرعة نحو الانفتاح .. روسيا نفسها يقول عنها صديق عزيز هو الدكتور مصطفى محمد على عميد معهد للسينما ورئيس المركز القومي الذى حصل على رسالة الدكتوراه من روسيا يقول لى : أن روسيا تتجه الى الانفتاح بسرعة عجيبة وأن روسيا تتطور من يوم لآخر، صحيح ان حدثت بعض الاخطاء .. ولكن كل تجربة فى بدايتها لها أخطاء .. وهذه يمكن اصلاحها ولابد أن يعدل سير الانفتاح وبدلا من الانفتاح الاستهلاكى نتجه الى الانفتاح الانتاجى ، فتركيا بدأت تتجه الى الانفتاح الانتاجى .. كل شيء سهل ومباح لاستيراد أي شيء متعلق بالمصانع والانتاج ماعدا ذلك لا ، ونحن اذا اتجهنا للتصنيع والانتاج بشرط أن نفتح الباب على مصراعيه للانتاج دون عقد أو روتين أو بيروقراطية فستتحسن أحوال هذا البلد وسينطلق الى الامام .. اما أن نرفع شعار الانفتاح الانتاجى ونكبله بالقيود وحبال الروتين والبيروقراطية فهذا خطأ .. الموظف الصغير جدا يتحكم فى الموظف الكبير .. والكبير هذا يخاف من الأجهزة الروتينية والبيروقراطية ، وأجهزة البحث والتحرى خشية أن يجد نفسه متها فى يوم ما .. واحسن تعبير قاله الرئيس السادات أن أكبر شيء يقتل هذا البلد هو «الحقد» .. وهذا تركته فينا الحروب والحزب الواحد ومراكز القوى .. فوصلنا فى يوم ما الى أن كل أخ يتجسس على أخيه ، وكل أسرة تتبع الأسر الأخرى .. ووصل الأمر أن تبرأ الأب من أبنه ، والابن من ابيه ..!!

والمجتمعات الاقتصادية المغلقة وجدت أن لاسبيل أمامها الا الانفتاح وأن الدولة مهما أوتيت من قوة فلابد من الاعتماد الكبير على القطاع الخاص وشركات القطاع الخاص ، الدولة ممكن أن توجه وتضع الضوابط وترسم الطرق وتجعل الهدف الانتاج والقطاع الخاص يشارك فيها بكل امكانياته وطاقاته ، انما أن تدخل الدولة فى كل شىء حتى طبق الفول والطعمية .. فهذا كثير على الدولة وكبير عليها ويدخلها فى متاهات هى فى أمس الحاجة للبعد عنها ..

أقول هذه المقدمة لأننى عاصرت الانفتاح منذ انشائه عن قرب ، وكان فى بدايته سهلا لم يدخل فيه الروتين بعد ، ولكن بعد أن استمر زحف عليه الروتين ، فالموظفون فى بداية الأمر كان لهم كادر خاص وتعيينهم خاص ، وبعد قليل أصبحت وزارة التعاون الاقتصادى شأنها شأن وزارة الأوقاف ـ الوزارة القديمة قدم الازل ـ صحيح حدثت أخطاء ، وكل تجربة تشوبها فى بادىء الأمر الاخطاء ولكن بجانب الأخطاء لابد أن نتحرى المنجزات ، وهذا العدد الهائل من الفنادق بعد أن كانت مصر كلها لايوجد فيها مكان لسائح ، وتحولت الصحراء الى ورش ومصانع ، صحيح أن بعض رجال الانفتاح هربوا بالأموال ، ولكن المخطىء الأول فى هذا الموضوع هو البنوك ، فأى بنك فى العالم لابد أن يحصل على الضمانات الكافية ، والبنك عندما يعطى العمل بلا ضمانات يعرض أموال الدولة لكارثة محققة .. وفى رأيى أن رجال البنوك هم المسئولون المسئولية الأولى فى هذا ، ماعدا ذلك شخص يبيع سلعا فاسدة اين وزارة الصحة ، وأين الرقابة ، فالذنب ليس ذنبه ولكن ذنب أجهزة الرقابة على السلع .. افتحوا الأبواب وراقبوا من يسير على الطريق ، فأهلا وسهلا به أما الذى يختار الطريق المعوج فمع السلامة ولا يلزمنا .

* * *

المهم اتصل بى صديقى اسماعيل غانم الذى كان يعمل رئيسا لمصلحة الجمارك بعد أن نقل من المصلحة وهو حزين .. وقال : بعد كل هذا

المجهود فى الجمارك نقلت منها بل من الوزارة كلها .. قلت : الى اين ؟ قال : الى الهيئة العليا للتعاون والاستثمار الأجنبى .. مسئولا عن فرع الاسكندرية ..

واسماعيل غانم كان شخصية ممتازة فى العمل ، وكان منطلقا بلا حدود ، وكان صدمة نقله من الجمارك قاسية ، وكنت بين نارين : اسماعيل صديقى ، وحسين أمين مدير الجمارك الجديد صديق عزيز أيضا وحاولت أن أوفق بينهما .. قلت لاسماعيل أن مجال الاستثمار مجال جديد ، واعتقد أنك تستطيع أن تلمع فيه ، وهذا المجال قريب من مجالك ، المهم استلم اسماعيل العمل .. وكنت أزوره فى مكتبه بعمارة السلسلة على فترات متباعدة ، وبدأ اسماعيل ينشغل فى العمل و يعشقه .. وقال لى : أنه يعمل للمستقبل .. وان هذه المشروعات هى المستقبل ، وكان الدكتور حامد السايح مسئولا فى بادىء الأمر عن هيئة الاستثمار والتعاون الدولى ووضع لها الخيوط والخطوات ، وطلب أن تحطم الهيئة الروتين والقواعد المعمول بها ، وانطلقت المشروعات ، وانطلق المسئولون فى هيئة الاستثمار يخططون و يرسمون ، واستطاع الدكتور السايح أن يجتذب كثيرا من المستثمرين الأجانب ، وكان يساعده فى هذا الدكتور جمال الناظر ، ثم بعد فترة قصيرة وفى أول تعديل وزارى عين الدكتور حامد السايح وزيرا للاقتصاد ، وأصبح جمال الناظر رئيسا لهيئة الاستثمار والتعاون الدولى .. وذهبت اليه فى مكتبه أكثر من مرة ، كانت تعليماته الدائمة والمتكررة هى أن هيئة الاستثمار هيئة منفصلة عن الحكومة ، ولا يمكن أن نجعل الروتين يلتف حولنا كالاخطبوط .. وكان جمال الناظر يحل المشاكل بنفسه و يتخذ قرارات ثورية ويختصر الخطوات الروتينية ، وأكثر من مشكلة كانت تبدو عويصة ، عندما تعرض على جمال الناظر تبدو بسيطة ، وكان جمال الناظر هادئا ورزينا وثوريا فى نفس الوقت ، وعندما كان مسئولا عن قطاع الاستثمار زاد الاستثمار فى عهده .. وكان يحل المشاكل بطريقة ثورية و يتصل بالوزراء كل فى اختصاصه ليحل المشاكل أمام المستثمرين .

ونجح جمال الناظر فى قطاع الاستثمار.. وطلبه أنور السادات وقال له انني أريد أن تعمل فى قطاع السياحة، لأن هذا القطاع هام وأريد وزيرا ثوريا وأريدك أن تعمل فى قطاع السياحة بعقلية الاستثمار وهى الانطلاق وتخطى الحواجز فالسياحة مثل البترول دخلها كبير وعائدها كبير اذا احسن توجيهها، ومصر بلد سياحى من الدرجة الأولى فيها السياحة الأثرية والدينية والثقافية والعلاجية، وهى دولة هامة من دول العالم فى السياحة، ولكن للأسف بعد أن تركها الدكتور حاتم مازالت الوزارة تتعثر فى أكوام من العقبات والصعوبات، ومشكلة السياحة فى مصر أنها غارقة فى الروتين والبيروقراطية والاهمال، وان المناطق السياحية مكبلة بالقوانين وكأنها أشياء إلهية لا تمس، فالتناقض دائم بين الاثار وشركات السياحة، فكل يوم سعر جديد ولا تقدم للآثار أى خدمة وحتى المقابر الفرعونية فى الأقصر عدم العناية بها سيؤدى الى غلقها، الخدمات نفسها فى الأقصر عاجزة عن خدمة السياح، كذلك فى أسوان حتى الجيزة والاسكندرية .. !!

* * * *

قلت لجمال الناظر وزير السياحة: ماذا تريد أن تفعل فى قطاع السياحة؟

قال: سأنطلق به.

وفعلا بدأ جمال الناظر الانطلاق وبدأ يرتب اوراقه ومن حسن حظه أن عين المهندس محمد فهيم ريان رئيسا لشركة مصر للطيران، والمهندس ريان التقيت به لأول مرة أثناء توديع الرئيس محمد حسنى مبارك وكان يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية فى ذلك الوقت، وكنت أودع أخى الأستاذ سعيد سنبل رئيس تحرير الأخبار الآن الذى دائما أنتظره وأودعه فعلاقتى به أكثر من أخ وصديق .. المهم عين المهندس ريان رئيسا لشركة مصر للطيران، وحققت الشركة لأول مرة اربا حا خيالية فى وقت حققت كبرى الشركات العالمية فى الطيران خسائر

خيالية ، فقطاع الطيران حقق مكاسب خيالية ، وقطاع السياحة بدأ ينطلق ، وبدأ يعيد تنظيمه وفى مرة ذهبت اليه مع الأخ الدكتور عادل حسنى رئيس مجلس ادارة شركة سفنكس للسياحة ، وتحدث الدكتور عادل وهو خبير سياحى ــ يفهم مشاكل السياحة ــ تحدث مع د. جمال الناظر فى مشاكل السياحة ، والعقبات التى تعوق الحركة السياحية سواء فى نهر النيل أو فى الاقصر وأسوان او فى الجيزة ، وأخذ الدكتور عادل حسنى يعدد العقبات ، وجمال الناظر يكتب هذه العقبات فى ورقة صغيرة ووعد بدراستها وحلولها ، وأذكر أيضا أننى ذهبت اليه اكثر من مرة فى نادى هليوبوليس وجلسنا نتحدث عن السياحة ومشاكلها وقال أنه يأمل أن تكون مصر مثل اسبانيا فى السياحة ولكن هذا رهين التعاون بين كل الأجهزة ، وطالب جمال الناظر بانشاء المجلس الاعلى للسياحة وذلك ليتخذ قرارات فورية بالنسبة للسياح سواء فى قطاع الجمارك أو الجوازات أو فى الطيران .. أو الثقافة ، فالمفروض أن تكون هناك قرارات ثورية منجزة ، كذلك تقوم هيئة تنشيط السياحة بالدعاية وعمل ملصقات وأفلام جديدة عن مصر .. لأن مصر مازالت فى عقل بعض الأجانب هى الصحراء والجمل ولا شيء غيرهما .

قلت لوزير السياحة جمال الناظر : مصر الآن تعتبر من أغلى بلاد العالم .. لماذا لاتتدخل وزارة السياحة وتبنى شاليهات وفيلات تؤجرها للمواطنين المصريين باسعار رخيصة وذلك بدلا من أن يذهبوا الى الخارج .. ففى الخارج الاسعار رخيصة جدا ، أما عندنا فى مصر فايجار شقة المعمورة فى شهر واحد فى الصيف مابين الف الى ثلاثة آلاف جنيه مصرى .. وهذا المبلغ يكفى لأن يقطع المواطن تذكرة فى شركة سياحية يلف بها العالم .. ؟!

وقلت لجمال الناظر وزير السياحة وقتها : المفروض أن تقوم ثورة سياحية شاملة فاسبانيا دخلها من السياحة دخل كبير ومهول نظرا لرخص أسعارها ..

وقال الوزير : اذا اردت أن تجعل من مصر بلدا سياحيا فافتح الباب ولا تقل هذا صح وهذا خطأ ، افتح الباب بشرط أيضا أن أحافظ على قيمى وتقاليدى

وهذا ممكن ، وكل دول العالم الاشتراكية بدأت تهتم بالسائح والسياحة .. والسائح يتعامل مع البلد فى حدود قوانينها .. والشاطىء الشمالى غنى جدا بالمناطق السياحية لماذا لاننشىء القرى السياحية .. ونجذب السائح بالشمس والماء وفى نفس الوقت التاريخ .. فيجوز أن بعض دول البحر الأبيض قريبة من جو مصر ولكن ليس فيها التاريخ والثقافة والآثار..

وبصراحة كان لجمال الناظر أفكار وكان يريد أن يتعامل مع السياحة مثلما يتعامل مع الاستثمار.. وكان يريد انفتاحا سياحيا ، ولكن الروتين وتحويل الوزارات إلى عزب ومقاطعات حالت دون ذلك وكانت كارثة مصر ، اذا أراد وزير الصناعة فيها أن يعمل شيئا نجد وزارة المالية والجمارك تقف له ، واذا اراد وزير السياحة أن يعمل شيئا فتجد عقبات من الوزارات الأخرى ..

قلت : وماذا تفعلون فى مجلس الوزراء ؟

قال الوزير: نتكلم ونشكو ولكن الحساسيات كثيرة وكبيرة ولهذا التعصب يؤثر الواحد منا السكوت على الشكوى حتى لا يخسر زملاءه ..

وقد ذهبت الى جمال الناظر أكثر من مرة مع صديقى الإستاذ محمود عثمان رئيس قرية البضائع ، وقد انشئت قرية البضائع فى مصر للطيران فى عهد جمال الناظر ، وسمعت جمال الناظر يقول لمحمود عثمان : اننى أريد أن تكون حركة البضائع فى مصر للطيران مثل حركة الركاب ، وكما اننا نحافظ على الراكب لابد أن نحافظ على البضائع .

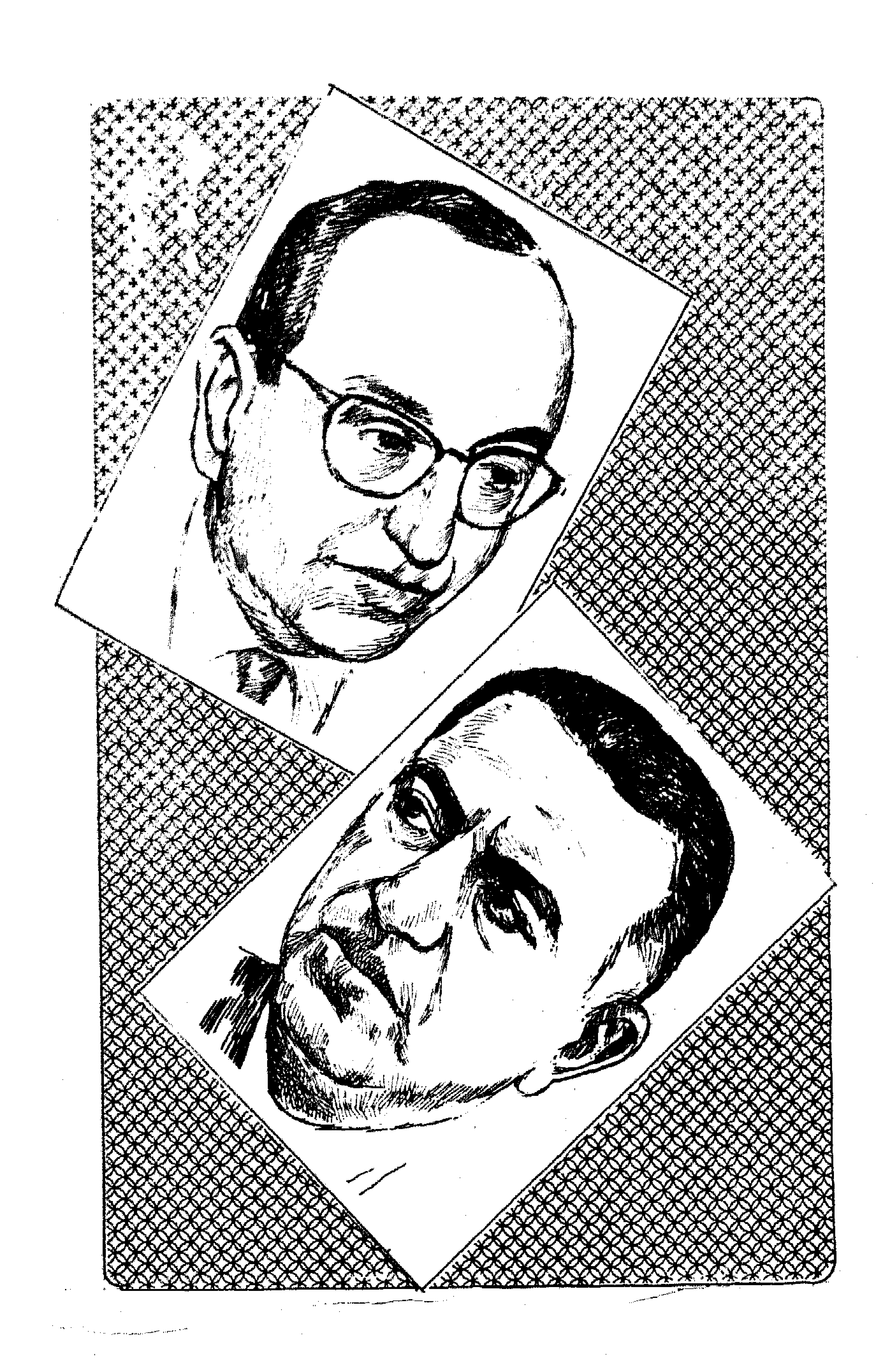
* * * *

ان جمال الناظر وزير له بصمات سواء فى قطاع الاستثمار أو السياحة .. وزير حروب ونجح ورغم ذلك كانت «المهاميز والزنب» أقوى منه ، وكان الحقد شديدا عليه ، وكانت الشكاوى المجهولة فيه ، وهذا هو عيب البلد ــ اقصد بلدنا ــ الشكاوى المجهولة الى جهات الأمن وأجهزة الرقابة ، وبدلا من أن يتفرغ الوزراء والمحافظون وكبار رجال الدولة لعملهم

يتفرغون للشكاوى المجهولة والرد عليها .. واذا قلنا أن بعض الوزراء تركوا بصمات فى عملهم ، فان جمال الناظر نجح فى قطاع الاستثمار وحاول البعض أن يعوقه فى قطاع السياحة ، ولكنه عام فى بحر الصعوبات والعقبات الى أن وصل رغم الحقد الشديد واللهم احم مصر من هذا الحقد المدمر الذى لو تخلصت مصر منه ومن الحاقدين لأصبحت من أكثر دول العالم تقدما . . . .

في سنوات النكسة والهزيمة ، ارتفعت اصوات .. لا صوت يعلو فوق صوت المعركة .. ولا ميزانية ولا اعتمادات الا للمعركة .. وكابلات التليفونات كانت مهلهلة والسنترالات قديمة دائمة الاعطال .. فكانت كل الخطوط الموجودة في سنترال مصر الجديدة على سبيل المثال ثلاثة خطوط فقط احتياطية .. اما الدقي والجيزة والهرم فقد كان من سابع المستحيلات أن تحصل على خط فيها ، ولولا حرب اكتوبر ومعاهدة السلام لانفجر الموقف في التليفونات واصبح كارثة وانعزلت مصر عن العالم واصبحت مصر والتليفونات كلها بما فيها السنترالات المستهلكة في خبر كان .. !!

الدكتور رياض .. أبو التليفونات



فى حياة الانسان منا أشياء لا تنسى ، فمثلا لا يمكن أن أنسى أول رقم تليفون ركبته فى حياتى .. ففى الستينات تقدمت أنا والزميل محمود عبد الهادى (هاجر الى أمريكا وتجنس بالجنسية الأمريكية) تقدمنا لتركيب تليفون لى فى مصر الجديدة وتليفون له فى العجوزة ، واستعنا بالزميل الأستاذ توفيق مصطفى وكان مندوبا للجريدة فى مصلحة التليفونات فى ذلك الوقت واعطيناه الطلبين ، وجاء الأستاذ توفيق مصطفى مشكورا بالموافقة على الطلبين ، وقال أن الدكتور محمود رياض رئيس الهيئة وافق مشكورا على التنفيذ الفورى ، وانتظرت التنفيذ الفورى أسبوعا ، اسبوعين ، ثلاثة .. وطال انتظارى ولم أشأ أن اتعب الاستاذ توفيق ، فاتصلت بمكتب الدكتور محمود رياض وطلبت موعدا للمقابلة ، وعلى الفور حدد لى الموعد ، وقابلنى الدكتور محمود رياض .. انسان مهذب دمث الخلق ، واع فاهم ذكى لماح ، قال لى وهو يبتسم : تليفونك سيركب فى ظرف اسبوع على الأكثر ..

قلت : لقد اعفيتنى من الكلام .. أود أولا أن اتعرف بك .

وجلست مع الرجل اتعرف على التليفونات ومشاكل التليفونات ، وكانت المشاكل بسيطة وكبيرة .. فقد كانت الاعتمادات المخصصة للتليفونات ضئيلة ، والعدد المطلوب تركيبه ليس بهذا الحجم الكبير الذى يطلب تركيبه هذه الأيام ، وقال لى الرجل : لا يمكن أن نعلق كل شىء على شماعة الامكانيات ، والخطوط حقيقة فى الهيئة محدودة الا أن أمامى هدفين أولهما المحافظة على الخدمة وعدم تداخل الخطوط ، ثانيهما توافر الخطوط وأهم من هذا كله المعاملة سواء بالنسبة

لموظفى السنترال أو عاملات السويتش أو الترنك الدولى أو التلغراف ، فالتليفونات سمعة أولا ..

قلت لرئيس الهيئة : نسمع كثيرا عن عطل ارضى أو ماس أرضى ، وفى هاتين الحالتين يعطل الخط .. ايه الحكاية ؟

قال الدكتور رياض : قبل أن تعرف ايه الحكاية .. لابد أن تعرف كيفية توصيل التليفون .. أى تليفون عبارة عن عدة عند المشترك يربطها سلك ، وهذا السلك مربوط بكابل أرضى ، والكابل الواحد به عدد من الخطوط ، وهذه الكوابل بأجمعها ترتبط بالسنترال ، والسنترال به لكل تليفون رقم ، ويجوز جدا أن يوجد أرقام فى السنترال ولا توجد خطوط فى الكابلات الأرضية ، لذلك سمى خطا ارضيا لأنه يمر بالكابلات داخل الأرض ، وتوجد أنواع جديدة من الكابلات تحمى الخطوط ولا تتأثر بالأمطار والرطوبة وهذا النوع من الكابلات ان شاء الله سندعم به هيئة المواصلات فى مصر قريبا .

وتوطدت صلتى بالدكتور رياض ، واصبحت دائم التردد على مكتبه واحصل منه على أخبار التليفونات ، وقد كان ــ رحمة الله عليه ــ رقيقا مهذبا ، قال لى فى أحد الأيام .. ان مهمتى الآن هى تمرين مهندسين اكفاء ليتحملوا العبء عنا فى المستقبل ، وكنت اراه يمرن المهندسين مقبل إلبدراوى وكمال حسنين ، وعطا صدقى ، واثنان منهم اصبحا رئيسى هيئة ، وواحد منهم اصبح وزيرا (كمال حسنين) ..

واطمأن الدكتور رياض على تليفونى ، واتذكر أن رقمه كان ٨٧١٣١٠ وسألنى الدكتور رياض لماذا اخترت هذا الرقم فتوجد ارقام أخرى ممتازة ..

قلت له : انتى أؤمن بالحظ وبأول رقم فهو نوع من النصيب ، وضحك الدكتور رياض ، وكنت دائم التردد عليه ، واستمرت الأمور هادئة ، وحدث تغيير وزارى واصبح الدكتور رياض وزيرا للمواصلات وعين انيس البرادعى رئيسا لهيئة التليفونات وقد كان انيس البرادعى طاقة وخبرة ، كان لديه هدوء

الاعصاب ، وكانت مشاكل التليفونات فى عهده بسيطة ، وتغيرت الوزارة وخرج الدكتور رياض من الوزارة ، واستمر أنيس البرادعى رئيسا للهيئة ، وبدأت الهيئة لأول مرة تعانى من النقص الشديد فى الامكانيات ، وبدأت الناس تشعر بمدى أهمية التليفون وخصوصا بعد زيادة السكان ، وقد كان مع المهندس انيس البرادعى سكرتير ممتاز هو رشدى خليل ، كان الوسادة التى تمتص غضب المشتركين ، وبدأت تظهر بوضوح ظاهرة تداخل الخطوط التليفونية وانقطاع الحرارة ، وبدأت لأول مرة طوابير المنتظرين فى التليفونات ، وبدأت مشاكل الخطوط وسرقتها وذلك لوجود سوق سوداء فى التليفونات .

* * * *

وبدأت أفكر فى عمل مغامرة فى التليفونات فتنكرت كعامل صيانة فى السنترال ، وعشت أكثر من شهر كعامل صيانة داخل السنترال ، رأيت كيف تباع الخطوط وتنقطع الحرارة عن منزل يعرف عمال السنترال أن أصحابه فى الخارج أو غير موجودين لفترة ، وذلك لكثرة الاتصالات التى يقوم بها العمال بعد أن يمروا على البوكسات ويعرفوا الشقق والشركات المغلقة ويحولوا خطوطها على شركات ومنازل أخرى ، بل حدث أن كون أحد الفنيين شركة خصوصية لتركيب التليفونات الوهمية ، وذلك بأن يقوم بتركيب التليفونات نظير أجر معين الى حين أن يتقدم صاحب الشركة أو المنزل بطلب تركيب تليفون ويأخذ الموافقة الرسمية فيرفع التليفون الوهمى ليحل محله التليفون الرسمى ، وكان الاشتراك فى هذه الشركة الوهمية خمسة جنيهات فى الشهر وذلك فى الستينات ، وكان فى دائرة التليفونات الوهمية أكثر من ألف مشترك ، وكان كلما تزيد الطلبات على التليفونات الخاصة تزيد الاعطال وسرقة الخطوط ، كما عرفت وأنا متنكر أن عامل التليفون يستطيع أن يفعل الكثير ، يقطع الخطوط ويوصل المكالمات الدولية والترنك الى التليفون الوهمى ، كما يقوم بقطع الحرارة وتوصيلها وتعطيل تليفون وأخذ خطه لكى يشغل تليفونا آخر ، ورأيت التليفونات امبراطورية كبرى ملوكها العمال والفنيون وأصحابها بلطجية الخطوط والمرتشون ، وعرفونى وصادقونى

وأصبحت واحدا منهم اسمع لهم واقف معهم واعرف اساليبهم واطمأنوا الى وحاولوا أن يكسبونى الى صفهم حتى لا أتكلم عنهم ، وكانت الاتاوات تفرض على المشتركين أمامى ، اتاوات من داخل السنترال واتاوات أخرى من العمال العاديين ، واتاوات من الفنيين ، وتعلمت الكثير ، تعلمت كيف تعمل التليفونات وكيف تعمل السنترالات وكيف أن السنترالات حساسة والفرق بين السنترال الروتارى والسنترال الكروسبار ، والروتارى نوع قديم جدا ، والكروسبار نوع احدث ، والفرق بين السنترالات السويدية والسنترالات اليابانية ، فالدكتور رياض كان يميل دائما الى السنترالات السويدية ، لأنه السويديين فى رأيه أحسن من يفهمون طبيعة العمل فى التليفونات ، وخرجت من العمل فى التليفونات ونشرت تحقيقا صحفيا كبيرا بعنوان « عامل فى التليفونات يسرق الخطوط المقطوعة » و « مافيا عصابة البهلوان » .. والبهلوان هذا هو أحد العمال الفنيين وكان اسمه البهلوان .. نظرا لان له حركات بهلوانية وكان مع البهلوان عامل اسمه « على الزيبق » .. لأنه كالزيبق لايمكن أن تمسكه ، وقد نجح البهلوان والزيبق أن يكونا هيئة تليفونات خاصة لها مشتركون واشتراكات وخطوط جديدة ، وعمال وموظفون يتبعون « البهلوان » و « الزيبق » .. وبعد أن نشرت الموضوع أحدث ضجة كبيرة ، وفى هذه الأثناء كان الدكتور رياض قد نقل رئيسا للمؤسسة العامة للهندسة الكهربائية ، واستمرت الصلة بينى وبين الدكتور رياض اكلمه وابحث عنه واتصل به واسمع لقفشاته الظريفة الى أن صدر تشكيل وزارى جديد وكان اسم الدكتور رياض فى الوزارة الجديدة كوزير للنقل والمواصلات .. وبعد اسبوع من استلامه العمل بالوزارة عين المهندس مقبل البدراوى رئيسا لهيئة التليفونات ، وقبل أن يبلغ المهندس مقبل بالخبر قال لى الوزير : لقد قررت تعيين المهندس مقبل البدراوى رئيسا لهيئة التليفونات .. وكتبت الخبر فى أخبار الغد فى اخبار اليوم وكان نص الخبر « من المنتظر أن ينقل رئيس شركة التليفزيون الى هيئة حكومية هامة » . وكان المهندس مقبل البدراوى يعمل رئيسا لشركة النصر للتليفزيون . وذهبت الى المهندس مقبل واجريت معه حديثا صحفيا كبيرا للنشر فى أخبار اليوم قبل صدور قرار التعيين ،

وبعد النشر توطدت صلتي بالمهندس مقبل البدراوى واصبحنا أكثر من أشقاء .. لا يذهب الى العمل الا بعد أن يمر على منزلى ، وانزل معه الى المكتب واشرب القهوة ، ثم بعد ذلك أذهب الى مكتبى ، وهنا بدأت المشكلة الحادة فى التليفونات فوقعت الحرب ثم النكسة وارتفع شعار «لاصوت يعلو فوق صوت المعركة» وكل الامكانيات للمعركة وبدأت أزمة الخطوط وتداخل الخطوط وانقطاع الحرارة ، ولقد عمل المهندس مقبل البدراوى فى الهيئة وبذل فيها جهدا خارقا يفوق الوصف وأذكر أنه كان ينزل من منزله فى ساعة متأخرة من الليل لكى يمر على العمال فى غرف التفتيش حرصاً منه على اداء العمل بدقة وانتظام ..

وغرف التفتيش هذه عبارة عن مواقع متصلة للتليفونات منها كابلات التليفونات ويتم اصلاح أى عطل منه .. رأيته ايضا عندما كسرت ساقه ونزل فى يوم ممطر لكى يمر على المناطق التى افسدها المطر وتعطلت فيها التليفونات .. وقد كانت الكابلات مهلهلة ، والسنترالات قديمة وانتهى عمرها الافتراضى ، فسنترال الزمالك مضي عليه اكثر من ثلاثين عاما وسنترال رمسيس نفس المدة وسنترال باب اللوق ، ورغم ذلك كان المهندسون والعمال والفنيون كسولين فاذا رفعت السماعة لا تأتى لك الحرارة واذا تكلمت تتكلم جماعة ووصل الأمر ان احتياطى الخطوط فى أحد الأيام فى منطقة مصر الجديدة ثلاثة خطوط فقط خصصت كلها للمجهود الحربى ، واعطى الوزير الدكتور تعليمات بأن الموافقات على التليفونات تكون كلها فى يده وكانت لجان التليفونات تعقد ولا توافق الا على تليفون أو اثنين فى الاقاليم أو فى القناطر أو فى بعض السنترالات الخفيفة ، وقد كان الدقى والجيزة والهرم من سابع المستحيلات ، أما مصر الجديدة فالتليفون فيها حلم أو خيال . وكان العمل ليل نهار فى تصليح الاعطال ، ولولا حرب اكتوبر والانتصار واتفاقية السلام لكان الموقف فى التليفونات قد انفجر وساحت التليفونات واختلط الحابل بالنابل ، وعندما تتعطل التليفونات تتعطل بالطبع الشركات والاعمال ويضطر صاحب الشركة أن ينزل من مكتبه ليتم عمله فيضيع منه عنصر السرعة وتزدحم بالطبع الشوارع .. والمواصلات سلسلة متداخلة

فالتليفونات تتوقف عليها التلسكات والاثنان يتوقف عليها وسائل النقل الأخرى .. ولقد قال أحد الخبراء الأجانب عندما رأى شبكة التليفونات وعاينها . قال مامضمونه يحيى العظام وهى رميم ، وتعجب الخبير الالمانى من شبكة التليفونات فى مصر وقال أن الشبكة كلها مهلهلة ومن المعجزات أن تعمل واذا حدث فهذا فخر للمهندسين المصريين الذين يعملون تحت ظروف صعبة ، ولقد استطاع المهندس مقبل البدراوى برجاله أن يخوض غمار حرب اكتوبر والتليفونات لم تتعطل بل كانوا يعملون ليلا ونهارا ... وكنت أتصل به فى ساعة متأخرة من الليل أو الصباح فأجده فى الشوارع فى عز البرد ، ونجحت التليفونات فى حرب اكتوبر وشهد بذلك المراسلون العالميون سواء للصحف أو وكالات الأنباء ، وكانت مصر تطل على العالم من خلال التلكس أو البرقيات أو التليفونات ، وبعد الحرب والنصر بدأ السلام ، وبدأ الانفراج والانفتاح ومن هنا تآمرت قوى الشر على مقبل البدراوى .. فأحد الوزراء السابقين وكان يتعامل مع الالمان طلب من المهندس مقبل البدراوى أن تترك الهيئة السويد وتتعامل مع الالمان فرفض المهندس مقبل ، ومن يومها اصبح الوزير ــ الذى كانت كلمته يومها مسموعة ــ أصبح الوزير ورئيس الهيئة وأخذ يضربه «الزنب» و«المهامين» .. كذلك تآمرت بعض قوى الشر الأخرى فى بعض المجالات ضد المهندس الذى عبر بالتليفونات من الهزيمة الى النصر ومن الظلام الى النور واتصل بى المهندس مقبل البدراوى ليقول لى : هل رأيت ماحدث . قلت له ولايهمك .. يكفى انك بدون امكانيات نجحت فى أن تمر معركة اكتوبر بسلام ، والمعركة .. اتصالات تليفونات برقيات .. تلكسات .. تعليمات .. تلغرافات ..

* * * *

واذكر اننى دعيت للذهاب مع الدكتور رياض وزير المواصلات الى تونس وكان يرافق الوزير حرمه والمهندس مقبل البدراوى وحرمه والمهندس عطا صدقى الذى أصبح رئيسا للهيئة ، وكان مؤتمر تونس لبحث تدعيم وسائل الروابط واطلاق أول قمر عربى للاتصال الدولى الذى أطلق أخيرا تحت اسم عربسات

من امريكا... كان الدكتور رئيسا للهيئة العربية الدولية للاتصالات السلكية واللاسلكية وهو الذى وضع النواة الأولى فى هذا المشروع ، وفى مدينة «جربة» بتونس وأثناء تناول العشاء جلست مع الدكتور رياض فقال لى : هل تذكر انني قلت لك زمان ان هدفي أن يكون لدينا مهندسون على مستوى عال فى التليفونات ، الآن استطيع أن أقول لك أنني حققت هدفي وغرضي فأمامك مقبل كفء على مستوى علاوة على أنه اخلاق ونظافة ، كذلك المهندس عطا و يوجد لدينا مهندسون عظام والهيئة أصبحت غنية بعناصر ممتازة ، وفى اجتماع تونسي وقف أكثر من رئيس هيئة من الدول العربية كلهم يشيدون بمصر وكفاءة مصر وكفاءة الدكتور محمود رياض أبو التليفونات فى مصر والعالم العربى..

* * * *

وعدنا من تونس وبعدها بفترة حدث التعديل الوزارى وبعدها بفترة مات المرحوم الدكتور محمود رياض ، وقد كانت أول صدمة للدكتور رياض عندما مات شقيقه المرحوم الفريق عبد المنعم رياض فأثر ذلك فيه لأنه كان يعتبره بمثابة الابن والأخ والصديق..

وبعد أن خرج المهندس مقبل البدراوى من التليفونات عين المهندس محمود عبدالله رئيسا للهيئة ولم يستمر أكثر من ٦ أشهر فى منصبه ويومها هاجمته فى أكثر من تحقيق صحفى فى أخبار اليوم ، فقد حصلت على تقارير كفاءة الخدمة السرية والتى كانت تصل الى رئيس الهيئة ، وذلك عن طريق أحد اصدقائى وكنت أنشر هذه التقارير فى «اخبار اليوم» وأكثر مايضايقنى من المهندس محمود عبدالله أنه فى أول حديث صحفى هاجم رئيسه السابق المهندس مقبل البدراوى وعرفته أنه اعد تقريرا وذهب به الى رئيس الوزراء لكى يقول له انه اذا عين رئيسا لهيئة التليفونات فسيصلح كل شيء ، وفعلا تم له ما أراد ولكن ان ربك لبالمرصاد.. فقد ساءت الخدمة فى التليفونات.. وكتبت عن التليفونات التى لم تسؤ خدمتها بهذا الشكل منذ بداية الحرب العالمية وفى الأسبوع التالى ، كتبت عن الفوضى التى تسود الهيئة وفى الأسبوع الثالث كتبت عن حجم الموافقات

والمجاملات التي أعطاها رئيس الهيئة . ونقل المهندس محمود عبد الله مرة أخرى الى شركة النصر للتليفزيون كما كان . ثم جاء المهندس عطا صدقي الذي كان المساعد الأول للمهندس البدراوي وقد نجح عطا كما نجح مقبل ثم جاء المهندس أحمد كامل بعد المهندس عطا صدقي . وقد كان المهندس أحمد كامل جريئا وله شخصية في عمله . وتحسنت التليفونات على يديه . وبعد المهندس أحمد كامل جاء المهندس وجدى عبد الحميد وهو رجل مهذب ودائما أقول عليه أنه سفير بدرجة رئيس هيئة .. لأنه دبلوماسي مهذب يعمل ليلا ونهارا . ومعه نائبه المهندس محمود الصبورى وهو من خير المهندسين في التليفونات وكتلة من العمل والنشاط ، والمهندس محمد سليم ، كفاءة وخبرة قامت على أكتافه سنترالات : الزمالك والروضة والهرم وباب اللوق والمعادى والدقى ، والمهندس نبيل خضر وهو من أكفأ المهندسين أيضا وكان الساعد الأيمن للمهندس أحمد كامل الرئيس السابق للهيئة .

ومن الوزراء الذين استمروا واكملوا مشوار الدكتور محمود رياض في التليفونات المهندس على فهمي الداغستاني .. فقد كان رئيسا لهيئة السكة الحديد وعين وزيرا للنقل والمواصلات وكان بطبيعة تخصصه يهتم بتطوير السكة الحديد والنقل البحرى ، وفي نفس الوقت اهتم أيضا بالتليفونات وبذل فيها مجهودا كبيرا ، وكان كتلة من النشاط والعمل ..

كذلك اللواء عبد الستار مجاهد . عندما عين وزيرا للمواصلات ذهبت اليه في منزله في عمارة الخبراء الروس بمصر الجديدة .. وكان دمث الاخلاق يعمل بمنتهى النشاط واستمراره في الوزارة لم يطل ولكنه استطاع أن يكمل الخطة واستعان بالقوات المسلحة في تنفيذ خطة التليفونات واستطاعت القوات المسلحة أن تحقق الكثير من المشروعات في وقت قياسي ..

والمهندس كمال حسنين وهو تلميذ وفيّ للدكتور رياض وهو الذى رشحه ليكون وزيرا بعد أن عين الدكتور رياض نائبا لرئيس الوزراء ، ولم يستمر المهندس كمال حسنين طويلا ، لأنه كان معينا في سويسرا في قسم يتبع الأمم

المتحدة للاتصالات الدولية ، واصطدم المهندس كمال حسنين ببعض زملائه ، هذا بالرغم من أن المهندس مقبل البدراوى وهو زميل عمره تعاون معه أشد التعاون ولكن المهندس كمال حسنين أراد أن يستعمل الشدة مع الموظفين وخصوصا فى قطاع التليفونات وذلك لنقص الخبرة .. فأى موظف أو فنى يتمنى الفصل .. لذلك فالجزاءات وكثرتها لا تفيد بل على العكس الحوافز هى التى تفيد والترغيب فى العمل ايضا يفيد ..

الدكتور نعيم أبوطالب عين وزيرا للمواصلات وكان أول شعار رفعه هو تحسين الخدمة للمشترك وتحقيق صورة مصر أمام العالم فاهتم بالسنترال الدولى واعطى حوافز للعاملين وكان جريئا جدا فى المعاملة يعطى الحوافز بكثرة و يؤمن بسياسة الثواب والعقاب وأدى دوره و بذل مجهودا مضنيا وكان يود أن يفعل الكثير فى الوزارة ولقد احبها وأحب العمل فيها وأحبه العاملون ..

أما المهندس عبدالفتاح عبدالله أو المايسترو .. فقد كانت له خبرة كبيرة فى الوزارة واستطاع أن ينفذ جزءا كبيرا من الخطة التى بدأها الدكتور رياض وخصوصا بعد الحرب و بداية السلام وانفراج الأزمة ولم يدم فى الوزارة كثيرا ..

وأكثر وزير استمر فى الوزارة بعد الدكتور رياض هو المهندس سليمان متولى .. والمهندس سليمان متولى تلميذ مخلص للدكتور مصطفى خليل وكنت اسمع عن الدكتور مصطفى خليل قبل أن يلمع فى الوزارة ورئاسة الوزارة من المهندس مقبل البدراوى ، فقد كان يحبه جدا و يستشيره فى كل خطوة .. وكان المهندس مقبل يقول أننى احب اثنين الدكتور رياض والدكتور مصطفى خليل ..

* * * *

وأول مرة تعرفت فيها بالمهندس سليمان متولى كان فى مصلحة الطرق والكبارى فذهبت الى المهندس على فهمى الداغستانى وكان وزيرا للنقل والمواصلات وسألت عن الطرق والكبارى فعرفنى بالمهندس سليمان متولى ،

ورأيت انسانا هادئا منظما يتكلم بحساب .. وأجاب على كل اسئلتى واعطانى المعلومات التى طلبتها ، وبعد ذلك عين محافظا للمنوفية وكنت أذهب اليه فى المحافظة بحكم انتمائى الى محافظة المنوفية .. وهو أيضا ابن المحافظة ولقد انشأ كمية كبيرة من الكبارى والطرق فى المنوفية .. ورصف شوارع مدينة شبين الكوم التى كانت بحيرة راكدة تجلب الذباب والناموس ، واستطاع سليمان متولى أن يجعل من عاصمة المنوفية عاصمة بحق ، واستغل علاقاته وصداقاته بمصلحة الطرق والكبارى لما فيه الخير للمحافظة فرصف الطرق ليس فى شبين الكوم وحدها بل فى القرى والمراكز وحتى النجوع ، وعين وزيرا لشئون مجلس الوزراء فى وزارة الدكتور مصطفى خليل ، والدكتور مصطفى خليل لايثق فى الناس بسهولة انما وثق فى المهندس سليمان متولى بما عرفه عنه من أنه كمبيوتر لاينسى شيئا ويؤمن بالمتابعة .. وعين سليمان متولى وزيرا للنقل والمواصلات فشهدت التليفونات فى عهده عصرا ذهبيا ، ومن حسن حظه أن اهتمت الدولة بالتليفونات ورصدت لها الاعتمادات وخصوصا الخطة الخمسية للنهوض بالتليفونات .. وان استمرار المهندس سليمان متولى فى أكثر من وزارة استطاع أن يتابع المشروعات حتى تنتهى فمشروعات التليفونات تستغرق سنينا فبناء سنترال وتركيب المعدات والآلات تستغرق وقتا طويلا وبداية التخطيط لمشروعات التليفونات كانت عندما كان مقبل البدراوى رئيسا للتليفونات .. ولقد شهدت التليفونات عصرها الذهبى فى عهد المهندس سليمان متولى ففتح أكثر من سنترال واستحدث مئات الألوف من الخطوط التليفونية فوصلت القاهرة وحدها أكثر من ثلاثة أرباع مليون خط ، كذلك دوائر التلكس والخدمة الدولية حتى تليفونات السيارات انتشرت ، وادخل النداء الآلى فى المحافظات والمراكز حتى القرى وأصبح من الممكن وانت فى منزلك أن تتكلم مع انحاء العالم داخليا وخارجيا ..

* * * *

وعهد بالمشروعات الجديدة الى شركات التليفونات الأمريكية التى تتعامل فى تنفيذ الخطوط بالكمبيوتر فأصبح لأول مرة تسمع مايفيد أن التليفون عطلان اذا

كان عطلان أو اذا ضربت رقما خطأ ينبهك الكمبيوتر ، أى أن مصر انطلقت ودخلت عصر الكمبيوتر فى التليفونات .. ان المهندس سليمان متولى يتابع بمكتبه يوميا الأعطال فأصبحت التليفونات الآن تعمل كفريق عمل متكامل فرئيسها المهندس محمد وجدى عبدالحميد انسان فى غاية الأدب والأخلاق و يعمل ليلاً ونهارا و يشق بمرءوسيه ــ والمهندس محمود الصورى نائب رئيس الهيئة طاقة متجددة وخبير عظيم فى التليفونات و يوجد كذلك المهندس محمد سليم والمهندس خضير والمهندس صيام والمهندس الوزيرى وغيرهم من نجوم التليفونات . واذا كنا قد تطورنا فى التليفونات فلا يجب أن ننسى المهندس مصطفى خليل وزير المواصلات ثم الدكتور محمود رياض أبو التليفونات فهما اللذان وضعا البذرة الأولى فى التطور الى الأمام فى عالم التليفونات ، وذلك حتى تلحق مصر بركب الحضارة والتطور... وهذا بالطبع يتبعه عرق وعمل وجهد شاق طويل .. نرجو أن نتطور من أحسن الى أحسن فالتليفونات وسيلة عصرية ضرورية لكى نلحق بالتطور فالكلمة السريعة أصبحت ضرورة فى عصر انطلاق الانسان والصواريخ الى الفضاء ، واطلاق الأقمار الصناعية التى تحمل دوائر لاسلكية وقنوات اتصال تليفزيونية .. ولولا النهضة التليفونية لعاشت مصر فى عصر التخلف الى الأبد ..

عرف عن ممدوح سالم أنه رجل المهمات الصعبة ، فقد كان الرئيس السادات يرسله الى كل دول العالم برسائل خاصة .. كذلك يعهد الرئيس حسنى مبارك اليه بنفس هذه المهمة .. فهورجل كتوم لا يتكلم مع انه يعرف الكثير، عاش الاحداث وتفاعل معها وقابل مصاعب كثيرة بأعصاب يحسد عليها ...

انه اول رئيس وزراء احب الناس فأحبه الناس .. ويكفى انه أول رئيس وزارة جرت فى عهده انتخابات نزيهة ١٠٠٪ .. لقد دخل التاريخ من أوسع ابوابه .. !!

ممدوح سالم .. والإخلاص بعينه



فى يوم ما فى الستينات كنت فى مكتب حمدى عاشور وزير الادارة المحلية .. وقد كانت تربطنى به صداقة كبيرة منذ أن كان محافظا لدمياط فمحافظا للاسكندرية فوزيرا للادارة المحلية ، وقد كان حمدى عاشور - رحمه الله - شهما ابن بلد شجاعا حاسما طيب القلب ، دخلت مكتب حمدى عاشور وزير الادارة المحلية وأثناء حديثى معه عرفنى ولأول مرة باللواء ممدوح سالم محافظ أسيوط ، واثنى عليه الوزير وقال لى بالحرف الواحد : ممدوح من المحافظين اللى حيكون لهم مستقبل باهر ، وتكلم المحافظ ممدوح سالم عن أسيوط والعمل فيها وان ناسها طيبون بعكس مايشاع عنهم ، فأهل أسيوط يمتازون بالشهامة والاصالة والعند ولكن اذا اقتنعوا بشىء يدافعون عنه حتى الموت ، وأخذ ممدوح سالم يسرد لحمدى عاشور مايريد أن يفعله فى مدينة أسيوط ومحافظة أسيوط .. وقال أن القاهرة والاسكندرية يأخذان كل شىء ولاشىء للأقاليم ، وأن الحكومة لابد أن توازن بين الريف والمدينة ، وأن الريف محتاج بعد حرمان طويل لخدمات جماهيرية لم يعرفها من قبل وأنه آن الآوان ليعرفها الريف .

وتناقشنا فى نوعية هذه الخدمات ، وكانت الكهرباء لم تدخل الريف بعد ، وكانت الأولوية فى المناقشة لها لأن الكهرباء هى أهم عامل وهى التى ستحول الصعيد وتقلبه رأسا على عقب ستنطلق به الى عالم الدنيا ، بعد التخلف الذى يعيش فيه .

وجلس ممدوح سالم معنا أكثر من ساعة ، وبعد أن تركنا قال حمدى عاشور:

ــ ان ممدوح سالم مخلص منتج نظيف جدا كتوم جدا و بصراحة ممدوح سالم سيكون له شأن كبير جدا . وأهم ما يميزه اخلاصه .

* * * *

ولم اتصل بممدوح سالم ولم اره الا بعد أن عين محافظا للغربية ، فاتصل بي صديقي حسن سعد المصور بمكتب طنطا وقال لي امتى حتحضر لزيارة السيد البدوى ؟

قلت : ان شاء الله قريبا جدا .

قال : على فكرة المحافظ اللى عين عندنا جديد هايل

قلت : قصدك انتقل عندكم من أسيوط

قال : هو انت تعرفه

قلت : طبعا اعرفه وقابلته فى مكتب السيد حمدى عاشور وزير الادارة المحلية فى هذا الوقت .

قال : عال تبقى تحضر علشان تتعرف على أعماله الرائعة .

وفعلا ذهبت الى طنطا فى اليوم التالى بعد أن اتصلت بممدوح سالم محافظ الغربية وحددت معه موعدا ، قابلنى ممدوح سالم ببشاشته المعهودة وأخذ يتكلم معى عن الغربية والتوسعات والمشروعات ، ووجدته يتكلم بحماس عن الغربية مثلما كان يتحدث عن أسيوط . وتكلم زميلى حسن بتلقائية شديدة وأخذ يشرح له سوء حظ الغربية وأن المحافظين الذين عينوا قبل ذلك لم يفعلوا شيئا ..

وهنا قال ممدوح سالم : ياأخ حسن كل واحد وله ظروفه وغير معقول الا يفعل أى محافظ شيئا ، ولكن كل محافظ فعل وله بصمات ولكن تختلف البصمات من شخص الى آخر.. وتكلم حسن سعد عن الاسكان وأزمة الاسكان وصاحب البيت الذى يسكن فيه وشوارع طنطا ، والطريق الى السيد البدوى ، وزوار طنطا ، وامكانيات طنطا ، وأهالى طنطا ، وزراعة طنطا ،

وصناعة طنطا ، كل هذا وممدوح سالم محافظ الغربية يسمع ما قاله حسن سعد ولم يعلق ، بل أخذ ورقة وقلما وأخذ يدون شكاوى الزميل حسن ووعد بحلها وكان ينهى كلامه بكلمة : ان شاء الله ، ولم يتركنا ممدوح سالم الا بعد أن تناولنا الغداء فى نادى طنطا ، وعدت الى القاهرة وبعد فترة قليلة سمعت أن ممدوح سالم سيعين محافظا للاسكندرية . وفعلا صدر قرار التعيين ، وعين ممدوح سالم محافظا للاسكندرية .

* * * *

واثناء حديثى مع الزميل الصديق محمد شاكر الصحفى بمكتب أخباراليوم بالاسكندرية قال لي : ان لدينا الآن محافظ ممتاز وهو ممدوح سالم .. رجل مؤدب على خلق .. نظيف جدا ، وكنت معتادا أن أستشير محمد شاكر فى كل شىء ، قلت له ياشاكر هل تعتقد أن ممدوح سالم سيخدم الاسكندرية كثيرا .

قال محمد شاكر ــ كأنه يتنبأ ــ : ادعو معى أن يستمر ممدوح سالم فترة طويلة محافظ للاسكندرية فانه من سوء حظ الاسكندرية الا يستمر فيها محافظ لفترة طويلة .. وممدوح سالم رجل عملى وشغال وليس له مايشغله الا عمله ، وكان محمد شاكر يطلبنى لكى يملى أخبار نشاط محافظ الاسكندرية ممدوح سالم .

الى أن اتصل بى محمد شاكر فى يوم من الأيام وكان ذلك فى ١٤ مايو وبعد هوجة تقديم الاستقالات قال لى شاكر بطريقته المعهودة : ايه الحكاية ؟

قلت : ايه ياشاكر

قال : الراجل استدعوه مصر فورا

قلت : الراجل مين

قال : ممدوح سالم

قلت : لا اعرف

قال : أنا بلغتك ، و بالمناسبة احنا سمعنا انه حيكون حاجة هامة أو سيعين وز يرا للداخلية بدلا من شعراوى جمعة .

قلت : سأتصل وسأعرف كل شيء وسأبلغك .

* * * *

وعرفت بعد ذلك من اللواء نبوى اسماعيل مدير البحث الجنائى ومساعد مدير شرطة النقل والمواصلات فى هذا الوقت أن ممدوح سالم استدعى ليعين وز يرا للداخلية وسيكون هو مدير مكتبه ، واتصلت بشاكر وقلت له ان ممدوح سالم عين وز يرا للداخلية وانه يحلف اليمين الآن ..

وذهبت الى وزارة الداخلية لأحضر حرق الشرائط والتسجيلات التى كانت تسجلها مباحث أمن الدولة فى هذا الوقت للمواطن ، فقد كانت تليفونات المواطنين مراقبة من مباحث أمن الدولة ، ومن الأجهزة الأخرى ومن كل هب ودب ، و بدلا من أن ينشغلوا بالمؤامرات التى تحيط بمصر من كل اتجاه انشغلوا بمراقبة فلان وعلان فأصبحت الدولة دولة بوليسية تهتم بأخبار المواطنين الشخصية أكثر مما تهتم بأخبار العالم ، ولقد أصدر الرئيس السادات أمرا بعدم مراقبة وتسجيل التليفونات الا بأمر القاضى وأن تسجيل المكالمات والتصنت يكونان جريمة كبرى يعاقب عليها القانون .

* * * *

المهم وجدت ممدوح سالم فى ديوان الوزارة وباركت له ، وطلبت منه حديثا صحفيا « لاخبار اليوم » فوعدنى الوز ير وقال : من طبعى كما تعلم الا أدلى بأحاديث صحفية الا اذا درست ويكون لدى ما أقوله ، ولكن أعدك عندما تستقر الأمور وننتهى من بعض المشاكل سأخصك بأول حديث صحفى وسيكون « لأخبار اليوم » السبق فى هذا ، ولم يحدد لى موعد التحقيق الصحفى الا بعد ثلاثة شهور ونصف منذ توليه الوزارة و بعد أن أقنعه بهذا الحديث اللواء نبوى نائب الوز ير فى ذلك الوقت ، وكان حديثه معى عن

تطور العمل بوزارة الداخلية ، وان وزارة الداخلية لن تكون وزارة ارهاب للمواطنين بل هى وزارة تخدم المواطنين وتحرص على أمنهم وراحتهم فهى تراقب المنحرفين أما المواطن الشريف فلا سلطان لها عليه ، كل مواطن آمن على عرضه وعلى ماله وعلى مستقبله ، وان وزارة الداخلية هى وزارة الأمن والأمان ، وزارة الراحة والاطمئنان ، فلابد أن يستريح كل مواطن ولايجد من يشغله و ينغص عليه عيشته وراحته ، ونشرت هذا الحديث فى « الصفحة الثالثة » فى أخبار اليوم . واتصلت لأعرف رأى الوزير فقال لى أن الموضوع ممتاز ، وكنت أتابع ممدوح سالم وزير الداخلية ، كنت أحصل على الأخبار لنشرها فى أخبار اليوم ، الى أن عين ممدوح سالم رئيسا للوزراء وعين سيد فهمى نائبا لوزير الداخلية ، وعين اللواء نبوى اسماعيل وزيرا للداخلية .. والتقيت بممدوح سالم عندما بدأت الانتخابات وقال أنه يريد الانتخابات نزيهة ، ولم تعرف مصر انتخابات بمثل هذه النزاهة وهى الانتخابات الوحيدة فى مجلس الشعب ، التى لم يشك منا المواطنون وكانت انتخابات ناجحة ١٠٠٪ وسمعته يسأل بعض أعضاء المجلس : ماذا يقول الناس عن الانتخابات .. قالوا الانتخابات نزيهة ..

قال ممدوح سالم : لقد كانت تعليماتى واضحة لا تدخل فى الانتخابات . الشعب وحده هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة ، هو الذى يأتى بنوابه ولن يفرض أحد عليه نوابه .. وشكره النواب وانصرفوا ..

* * * *

المرة الثانية/ كنت فى مكتب اللواء نبوى اسماعيل وقت اضرابات ١٨ ، ١٩ يناير هدوء اعصاب اللواء نبوى وابتسامته حتى فى وسط الأهوال والأمواج المتلاطمة تجعل الانسان يعتقد أن كل شىء تمام .. قلت للواء نبوى : البلد كلها مولعة والناس فى الشوارع .. رد اللواء نبوى : ابدا دى كلها حاجات بسيطة وستصبح الامور على مايرام دى زوبعة فى فنجان ـــ كل شىء حيبقى تمام ..

وبرغم ماكان يربطنى بالنبوى الا أنه كان حريصا جدا على عمله ، كان

يقابلني في حجرة مجاورة لمكتبه ، لأن الاتصالات والمكالمات من أقل قسم في مصر حتى الرئيس الجمهورية يتصلون بحجرة اللواء نبوى ، لقد تحولت حجرة النبوى الى غرفة عمليات تصل اليها التلكسات من كل جانب والاشارات التليفونية ، الاتصالات الشخصية . أى أن مصر كلها موجودة في هذه الحجرة ، وكلها منبع أخبار ، ولكن نبوى ينافس الكمبيوتر فتجده يكلمك و يعمل كذا عمل في وقت واحد ، وكان ممدوح سالم هادىء الاعصاب سريع القرارات ، وليس معنى سريع القرارات أنه يتخذ قرارات غير مدروسة بل كانت كل قراراته مدروسة واستطاع أن يتغلب على الأزمة وأن ينهى اضرابات ١٨ ، ١٩ يناير بعد أن كان الجميع يتوقع أنها ستنهى نظام السادات كله .. ولكن بالحكمة والاعصاب الهادئة مرت الأزمة وخطب أنور السادات خطبته المشهورة وسمى مظاهرات ١٨ ، ١٩ يناير بمظاهرات الحرامية الذين كانوا يريدون سرقة مال الشعب والاعتداء على مال الشعب وانهم جماعة مجرمين ولصوص .

آخر مرة رأيت فيها ممدوح سالم مساعد رئيس الجمهورية عندما توفى السادات ، فقد كان يبكي باخلاص وتفان .. كانت دموعه على السادات سيالة هذا برغم أن السادات عزله عن العمل السياسى في يوم من الأيام ، وكان ممدوح سالم من اوائل الذين ذهبوا الى مستشفى القوات المسلحة عندما علموا بموت السادات ولم ينتقل في هذا اليوم العصيب والأيام التى تليه الا بعد أن دفن السادات ، وظل يرثيه ، وكان حزنه عليه شديدا ..

ولقد عرف ممدوح سالم بأنه رجل المهمات الصعبة ، فقد كان الرئيس السادات يرسله الى كل دول العالم برسائل خاصة ، وكان ومازال يرسله الرئيس حسنى مبارك الى بعض الدول برسائل خاصة في مهام خاصة .. وان التاريخ اذا ذكر فسيذكر أن مصر عرفت رئيس وزراء نظيف لم يستطع أحد أن يتكلم عنه بما يلوث سمعته بل يشهد الجميع بنظافته .. رئيس وزراء اجرى انتخابات حرة نزيهة في مصر ..

أول رئيس وزراء أحب الناس فأحبه الناس ولقد عملت وزارة ممدوح سالم الكثير ..

فكرت أن أستضيف زكريا توفيق عبد الفتاح وزير التموين والتجارة الداخلية كمسئول فى البرنامج ، وزكريا توفيق عبد الفتاح ذكى ويجيد الحوار، وفى البرنامج لابد من اختيار شخصيات قيادية واعية وملمة بطبيعة البرنامج .. وفكرنا بالاستعانة بالخبراء والمتخصصين وهم الدكتور على لطفى والدكتور يحيى عويس اللذان حضرا ورحبنا بهما .. ويومها أخذ الدكتور على لطفى الكاميرا ـ كما يقولون ـ وتحدث عن الانفتاح الاقتصادى وقرار التمويل بدون عملة .. قال ان الانفتاح الاقتصادى لابد ان يكون انفتاحا انتاجيا ، فالمخلصون هم الذين يفتحون ابواب الانتاج والمصانع هنا على تراب مصر ليستفيد منها هذا الشعب سواء بتوظيف العمالة المصرية أوبالانتاج الحقيقى ..

وتدخل زكريا توفيق عبد الفتاح فى المناقشة، وكانت الحلقة مثيرة استمرت عدة حلقات .. وكان الدكتور على لطفى هونجم الحلقات بلامنازع .. !!



الاعداد للبرامج التليفزيونية مثل الكتابة الصحفية ، فكما يحكم القارىء حكما قاسيا اذا واجه أى انحراف أو مجاملة أو نفاق من كاتب ، فيكون حكمه أشد عندما يجلس أمام التليفزيون ويجد المذيع أو المذيعة يستخفان بعقله ويحاولان الافتعال أو المبالغة أو التهويل ، نفس الشيء فى برامج الاذاعة فالمستمع يدير مؤشر الراديو من على المحطة التى يذيع فيها المذيع «وصلة» نفاق للضيف ، ولا أقول أن المذيع ينتقد الضيف بلا سبب أو يسبه لاسمح الله ، ولكن الموضوعية هى المطلوبة فى كل شيء .. وكنت أقول لطلبة كلية الاعلام حينما كنت أقوم بتدريس مادة « التحقيقات الصحفية » ، كنت أقول لهم أن القارىء والمشاهد والمستمع مدللون ، فالكاتب الجيد الواعى والمعد ومقدم البرامج الذكى لابد أن يخدم عقلية المشاهد ، فمثلا لا يجوز أن يقول المذيع أو المذيعة فى أحد البرامج « ياريت نلتقى بفلان » ثم يصبح المذيع أو مقدمة البرنامج « أهلا الاستاذ فلان .. احنا كنا بنتمنا أن نراك » ، كأن هذا الضيف نزل من السماء ، وهذا هو الاستهزاء بعقلية المشاهد لأنه من المعروف مقدما أنه يوجد اعداد للبرنامج أى برنامج تليفزيونى أو اذاعى يكون له سيناريو مخزوف مقدما ، فالضيف يعرف الإسئلة التى سيسألها له المذيع والمذيع يعرف الاجابة مقدما ، أى أن الاثنين يمثلان تمثيلية سريعة على المشاهد أو المستمع ويعرفان متى يتكلمان ، ومتى يقفان ، ومتى يدخل المذيع أو المذيعة فى الكلام ..

ومنذ أن أنشيء التليفزيون فى الستينات ، ومنذ اليوم الأول للارسال ، استعان التليفزيون ببعض الأخوة الزملاء الصحفيين فى اعداد البرامج وكنت من هؤلاء وأذكر من الاسماء التى استعان بها التليفزيون فى بداية الارسال من الأهرام الاستاذ يحيى التكلى ومن أخبار اليوم الأستاذ محمد تبارك ونبيل عصمت وكاتب هذه السطور ومن روزاليوسف الاستاذان مفيد فوزى ورءوف توفيق ، ومن الجمهورية الاستاذ رأفت الخياط وهذه الأسماء هى التى اتذكرها فى بداية التعامل مع التليفزيون . وبعد ذلك دخل الكثير من الأخوة الصحفيين مجال اعداد البرامج وقد وضع المسئولون فى التليفزيون فى ذلك الوقت كل الامكانيات أمام الصحفيين واعتبر الصحفيون أنفسهم مجندين لاعداد البرامج الممتازة التى كانت تخدم المشاهد .. وقد قالوا أن التليفزيون المصرى ولد عملاقا .. وقد كنت اشترك مع الزميل الاستاذ يحيى التكلى فى اعداد برنامج « مجلة التليفزيون » الذى كانت تقدمه المرحومة أمانى ناشد والاستاذ ميلاد بساده الذى هاجر الى كندا ، وقد كنا نعمل كأسرة واحدة نعد البرنامج ثم نخرج بعد التسجيل ونسير على الكورنيش ، وكان الاستاذ خليل شوقى زوج السيدة أمانى ناشد يرافقنا فى سيرنا وكانت مجلة التليفزيون من أنجح البرامج التليفزيونية فى ذلك الوقت لأن الزميل الأستاذ يحيى التكلى كان من أنجح معدى التليفزيون وكان يرأس فريقا ضخما لاعداد هذه المجلة .

* * * *

فى هذه الفترة التى أحكى عنها كان التليفزيون قناة واحدة ثم بعد ذلك صار قناتين رأس قناته الأولى الاستاذ صلاح زكى ورأس القناة الثانية الاستاذة همت مصطفى ، واستطاعت همت مصطفى أن تكون مجموعة عمل ممتازة فى القناة الثانية وكنا جميعا أسرة واحدة ، وفى هذه الأيام وبعد البداية بشوط كبير دخل التليفزيون أحمد سمير وعائشة البحراوى وسهير الاتربى ، ودعتنا همت مصطفى لعمل برنامج يومى ثابت كل يوم له معد ومذيعة ومخرج ، وكنت أنا والمرحوم اسماعيل عبدالفتاح الذى كان مراقب البرامج الرياضية فى القناة الثانية

كمخرج وكان معنا نجوى ابراهيم وملك اسماعيل ، واستمر هذا البرنامج الناجح لفترة طويلة الى أن عهد الى اعداد برنامج تحت الأضواء مع المخرج أحمد الجندى الذى ترك التليفزيون ليعمل بالاعمال الحرة ــ ثم عهد الى المخرج محمد سالم ــ فى وقت كان فيه المرحوم أمين حماد رئيسا للتليفزيون ــ أن اقوم باعداد برنامج « ريبورتاج » الذى كانت تقدمه المرحومة سلوى حجازى والمخرج المرحوم عواد مصطفى اللذين استشهدا فى حادث الطائرة الليبية التى سقطت فوق رمال سيناء ، وبعد ذلك قدمته المذيعة راوية العقاد التى تركت التليفزيون لتتزوج ثم توالى على البرنامج العديد من المذيعات ..

* * * *

وتركت التليفزيون فترة طويلة لانشغالى فى بعض الموضوعات والمغامرات الصحفية الى أن حدث أن طلبتني الاستاذة همت مصطفى وكانت تعمل رئيسة للقناة الأولى ، وقالت لى أنها فكرت فى برنامج اسمه « لو كنت المسئول » وفكرته تقوم على استضافة مسئول كبير ومناقشته فى مشاكل الساعة ، قلت لها : ومن ستقدمه ؟ قالت لى همت مصطفى : سهير الاتربى ..

قلت لها : انني ارجو أن يكون البرنامج برلمانا مصغرا ممثلا فيه جميع ممثلى الشعب سواء من أعضاء مجلس الشعب أو الصحافة أو المخلصين فى شتى المجالات وأيضا اعضاء الأحزاب المختلفة لمناقشة الموضوعات بصراحة شديدة واشترطت لكى ابدأ فى اعداد البرنامج أن تطلق يدى فيه لأتصرف بحرية واستطيع أن أناقش المشكلات التى تقابل الناس بمنتهى الصراحة واشترطت ايضا ألا يعرض البرنامج على الرقابة .. ووافقتنى همت مصطفى على رأيى واخذتنى الى تماضر توفيق وكيلة التليفزيون وناقشنا الفكرة ولكنها اعترضت على بعض طلباتى مثل مناقشة كل شيء بصراحة ، وتدخلت همت مصطفى ووفقت بين رأيى ورأى تماضر توفيق . وبدأت أسرة البرنامج تتجمع ، الاستاذة سهير الأتربى والأستاذ نبيل هاشم .. وأنا ..

نتعاون بروح الفريق ، وبدأنا نستعين فى البرنامج بكبار الاساتذة والمختصين فى جميع المجالات ، وبدأنا نستضيف الوزراء واحدا تلو الآخر وكنت أختار من أعضاء مجلس الشعب والصحفيين الذين يجيدون الكلام ويجذبون الجماهير ضيوفا للبرنامج ، وكان من الذين أحرص على استضافتهم فى البرنامج المرحوم الاستاذ الصحفى رشاد الشبرابخومى فقد كان جريئا لايخاف وكان يناقش ويحاور ويأتى بحركات انفعالية .. فيضع نظارته على عينيه ويخلعها مرات و يدق بيديه على «الدسك» الى أن يصرخ المخرج نبيل هاشم لكى يهدىء الاستاذ رشاد من انفعاله . وكنا نستعين فى المناقشة ببعض الاساتذة والدكاترة المتخصصين فى كل شىء ، ففى حلقات عديدة استضفنا دكتور نعيم أبوطالب ، وناصف طاحون ، ووليم نجيب سيفين ، والبرت برسوم سلامة ، وجميع الوزراء والمختصين فى ذلك الوقت تقريبا ..

* * * *

وقررنا فى أسرة البرنامج أن نستضيف زكريا توفيق عبد الفتاح وزير التموين والتجارة الداخلية كمسئول فى البرنامج .. وزكريا توفيق عبد الفتاح ذكى ويجيد الحوار، وفى البرنامج لابد من اختيار شخصيات اقتصادية واعية وملمة بطبيعة البرنامج وتستطيع أن تضع المسئول فى نقطة ترى فيها سهير الأتربى أن تتدخل بلفتة ذكاء لبقة حتى لا يحرج المسئول أو يتحرج الضيف .. واخترنا عددا من الأشخاص من بينهم الاستاذ الدكتور يحيى عويس ـ الذى كان رئيسا لهيئة الاستعلامات وأستاذا للاقتصاد بجامعة عين شمس ـ توفى منذ خمس سنوات ـ والدكتور على لطفى رئيس قسم الاقتصاد بجامعة عين شمس ، وطلبت من الزميل أحمد الجابرى الاتصال بها مساء فى المعهد العالى للدراسات التعاونية حيث كان الدكتور يحيى عويس يدرس مادة الاقتصاد فى المعهد والدكتور على لطفى يدرس مادة تنمية المجتمع المصرى ، وهذا لأن الأخ أحمد الجابرى كان يقابلهما مساء كدارس فى هذا المعهد ، وكان البرنامج يتم تسجيله فى نفس اليوم ، وكنت

دائما وطوال اعدادى للبرنامج استضيف عددا من الشخصيات أكثر من المطلوب لئلا يعتذر ضيف لظروف طارئة ، واخبرنى أحمد الجابرى بأنه ذهب الى الدكتور على لطفى بعد المحاضرة وابلغه طلبى وعرض عليه فكرة التسجيل مع الوزير زكريا توفيق عبدالفتاح وكانت الحلقة عن الانفتاح الاقتصادى ورغم وجود مباراة للفريق القومى المصرى — والدكتور على لطفى من هواة مباريات كرة القدم — الا أنه حضر هو والدكتور يحيى عويس وقال لى انه معجب جدا بالبرنامج لأنه من البرامج الناجحة وقلت له ولهذا السبب اخترت الشخصيات الهامة التى تستطيع أن تناقش المسئول .

وحضر الدكتور على لطفى والدكتور يحيى عويس ورحبنا بهما و يومها «أخذ» الدكتور على لطفى الكاميرا — كما يقولون — وتحدث عن الانفتاح الاقتصادى وقرار التحويل بدون عملة ..

قال : ان الانفتاح لابد أن يكون انفتاحا انتاجيا بالمعنى المفهوم ، وليس انفتاح علب «الكازوزة» ، ان الانفتاح الاستهلاكى الذى نراه الآن للسلع الاستهلاكية التى يستفز بها الشعب غير القادر على شرائها .. هذا الانفتاح لابد من ترشيده اذا كنا نسير فى الطريق السليم حقا .. ان الانفتاح شىء عظيم لأنه يستثمر رؤوس الأموال و يوظفها لخدمة الشعب ، ولابد أن يتذوق الشعب ثماره بدلا من أن يأكل القلة «الكافيار» الذى يستورد فى ظل الانفتاح الاستهلاكى .. وفى رأيى — والكلام للدكتور على لطفى — أن يتجه الانفتاح الى الانتاج فالمخلصون هم الذين يفتحون أبواب الانتاج والمصانع هنا على تراب مصر ، ليستفيد منها هذا الشعب سواء بتوظيف العمال المصريين أو بالانتاج الحقيقى وفى الجانب الآخر لابد من رؤ ية صحيحة لمصانع وشركات القطاع العام حتى نرفع من مستواها لجودة الوحدة الانتاجية لتكون منافسة مع مثيلتها . ان الانفتاح الاستهلاكى الذى نراه فى أيامنا هذه أشبه بكوب ماء مثلج يقدم لشخص ظمآن جدا ، هذه اللهفة التى نراها فى السلع الاستهلاكية هى لهفة الظمآن الى كوب الماء المثلج ، ونتيجتها أن يصل الظمآن الى نقطة التشبع سيصاب بالتخمة

والمرض .. وهذا هو مرضنا ، وعيوب الانفتاح الاستهلاكى هو اننا ندفع من الميزان التجارى للدول الاجنبية ونزيد من العجز فى ميزاننا التجارى ، والعكس صحيح فى ظل سياسة الانفتاح الانتاجى ، اننا نقلل العجز فى ميزان مصر التجارى ونحاول بسياستنا الانتاجية أن نوقف هذا العجز الذى تعانى منه مصر فى احضان هذا الانفتاح الاستهلاكى ..

واستغرقت مناقشات البرنامج أكثر من حلقة كان فيها الدكتور على لطفى هو النجم وناقش وحاور الوزير فى أكثر من موقف وكان المرحوم زكريا توفيق عبد الفتاح مناورا ومحاورا ذكيا .. وكانت هذه الحلقات من أنجح حلقات البرنامج ، وبعد ذلك استضاف البرنامج الدكتور على لطفى فى أكثر من حلقة مع وزراء آخرين منهم وزير المالية وتكلم الدكتور على لطفى وقتها عن ظاهرة التهرب الضريبى وأنه لابد من توفير المعلومات الكافية لمأمورى الضرائب عن الممولين وتحقيق العدالة بين الممول والدولة بحيث لا تظلم أحدا فالممول لا يهرب والدولة تأخذ حقها .. وهذا لا يتوافر الا عن طريق المعلومات الكافية واستحداث أحدث نظم الميكنة والكمبيوتر مثلما يحدث فى العالم بالنسبة للضرائب بأن يسهل معرفة ما للدولة وما للمواطن ، كذلك بالنسبة للجمارك لابد أن يدفع المواطن حق الدولة فى الجمارك وأن تحمى الجمارك الصناعة الوطنية ويجب أن يكون هناك وعى ضرائبى وجمركى فالمواطن لابد أن يعرف أن عليه واجبا وهو أن يدفع الضرائب و يدفع الجمارك ..

وكانت من آراء الدكتور على لطفى مصارحة الشعب بالحقائق لكى يعرف الحقيقة ، ولابد أن يكون هناك وعى ضرائبى بين الناس .. فالكل يكسب ولكن يجب أن يعرفوا بأن حق الدولة واجب مقدس ، وان الضرائب التى يدفعونها لا تذهب الى البحر ، المهم أن يشعر المواطن أن هذه الضرائب التى يدفعها تترجم الى خدمات فلابد أن يشعر المواطن العادى أن المطبات بدأت تختفى فى الطرق وأن الخدمة فى المستشفيات تحسنت وأن الدولة بدأت تهتم بالمساكن والمدارس بها الكتب والأدوات ولابد أن تنظم أيضا حسابات الضرائب

فلا ضرائب جزافية ولا شكاوى كيدية وان كل مواطن يجب أن يعرف ماله وماعليه ، وان مصر بالانتاج الفعلي والتقدم الصناعي تستطيع أن تحقق الكثير، ومن الأشياء التي ناقشها الدكتور علي لطفي — مع ضيف الحلقة الدكتور صلاح حامد وزير المالية في ذلك الوقت — الجمارك ، والجمارك في رأى الدكتور علي لطفي مورد هام وخطير لو استحسن استخدامه ولو أصبح المواطن لديه وعي ضرائبي وجمركي .

وبعد فترة عين الدكتور علي لطفي وزيرا للمالية ، وقابلته مرات قليلة وكنا نود استضافته في البرنامج ولكن لظروف طارئة بالنسبة لي اعتذرت عن اعداد هذا البرنامج وتركته وسافرت السيدة سهير الأتربي بعد ذلك الى الخارج مع زوجها السيد حسن أبوسعدة الذي عين سفيرا لمصر في لندن...

ولقد استضاف البرنامج ايضا العديد من الوزراء الدكتور صلاح حامد وزير المالية ، والدكتور نعيم أبوطالب وزير النقل والمواصلات ، والدكتور مصطفى كمال حلمي وزير التعليم والعديد من الوزراء والمحافظين ..

ولقد كنت ومازلت أقول أن الاعداد للبرامج التليفزيونية يتطلب اختيار العناصر المسئولة الواعية التي تتكلم في البرامج ولقد اهتم بها الأستاذ محمد أمين حماد رحمه الله ، والاستاذ عبدالرحيم سرور ابقاه الله واعطاه الصحة والعافية فقد كانا يهتمان بهذه النوعية من البرامج الجماهيرية ، فقد عهد الى باعداد برنامج النادي الدولي ويومها وضعنا فيها فقرات عديدة منها الطفلة مريضة القلب التي لا تجد من يعالجها والتي أمر الرئيس أنور السادات بعلاجها على حساب الدولة بعد أن رأى البرنامج وقد ذهب اليها سمير صبري مقدم البرنامج وأجرى حوارا مع الطفلة واصطحبها من منزلها حتى المطار بعد أن قررت الدولة علاجها في الخارج ، **وعهدت الى الاستاذة تماضر توفيق كما عهد الى الاستاذ عبدالرحيم سرور باعداد برنامج «النجدة ١٢٢» وأحدث هذا البرنامج ضجة ثم عهدت الى الاستاذة تماضر توفيق الاستمرار باعداد النجدة ١٢٢ من ملفات الشرطة وريبورتاج الذي كانت تقدمه**

السيدة فاطمة الكسباني .

وتعاونت مع السيدة سامية صادق رئيسة التليفز يون الحالي والتي اعرفها منذ زمن طويل منذ أن كانت مراقبة للمنوعات في الاذاعة فكنت أزورها عندما أزور صديقي القديم والاذاعي الاستاذ على فايق زغلول .. انني كنت أقول لتلاميذي طلبة كلية الاعلام ومازلت أقول أن اعداد البرامج الاذاعية والتليفز يونية عمل هام ولابد أن تحرص على المشاهد والمستمع والقارىء ولابد أن تبحث عن العناصر المسئولة الواعية فالشعب يفهم جيدا .. و يربط الأحداث ، واذا جاملت تظهر المجاملة واذا نافقت يظهر النفاق وان ابسط شيء للمستمع أو المشاهد أن يدير قرص الراديو أو يحول مفتاح التليفز يون على محطة أو قناة أخرى وألا يقرأ للكاتب وأن تصبح اسهمه فى التزول والشعب يحب النقد الجيد الممتاز بعيدا عن الغرض والهوى ويحس بالكاتب الذى لا يستغل الظروف فالكلمة المكتوبة هى كلمة ثابتة وتعلق فى عنق صاحبها سواء كانت بالخير أو الشر طوال العمر.. وما أحوجنا فى هذه الظروف الى البرنامج التليفزيونى والاذاعى الجيد .. والى القلم النظيف ..

قال لى حسن أبوباشا : ان ما أثاره الأخ يستحق التحقيق الفورى ولوسكت عليه لكنت مقصرا .. فكتب الوزير صورة منه ، واذا حدث فى مكتب الوزير انحراف فان هذا يؤثر على صورة الوزير والوزير نفسه ، ولقد أردت بالبحث الفورى ان يعلم الموظفون الموجودون فى المكتب ان الوزير لا يتوانى عن بحث اية شكوى تصل اليه مهما كانت الظروف ، وفى نفس الوقت لانسمح للشكاوى الكيدية أن تأخذ طريقها وأن تصبح نوعا من الابتزاز والتسلط .. فالمسألة أو المعادلة الصعبة أن تكون حازما وحاسما مع المنحرفين .. وفى الوقت نفسه تكون عطوفا ورحيما مع المظلومين .. !!

ابن العمدة .. الذى أصبح وزيرا للداخلية !



سمعت عن حسن أبوباشا كثيرا عندما كان رئيسا لمباحث امن الدولة ، وقابلته مرة أو مرتين عابرتين .. وكان أول لقاء لى معه يوم القبض على شكرى مصطفى ، زعيم جماعة التكفير والهجرة ، وعندما ذهبت الى عزبة النخل — مقر وجود شكرى مصطفى — وجدت حسن ابوباشا جالسا وبجواره رجال الأمن ، وكان حديثى معه عن كيفية القبض على شكرى مصطفى .. ومنذ هذا اليوم لم التق به الا بعد أن عين وزيرا للداخلية ..

* * * *

ومنذ أن أصبح حسن أبوباشا وزيرا للداخلية وأنا دائم الاتصال به لكى أحصل على الأخبار التى انشرها فى «اخبار اليوم» ، وقد حصلت منه على أكثر من خبطة صحفية مما أثار بعض الزملاء من الصحف الأخرى ، وصارحوا حسن أبوباشا بالأمر ، فكان رده أن هذه المسألة «شطارة» والصحفى الشاطر هو الذى يتابع مصادر أخباره دائما وأنه — أى الوزير — لا يوزع الأخبار ، فتوجد ادارة خاصة بذلك ، وانما يتصل به الصحفيون بجهودهم ليحصلوا على الأخبار ..

وفى يوم من الأيام طلب منى أحد الزملاء الصحفيين وهو صديق عزيز خدمة ، فصحبته للوزير وكان معنا الدكتور عادل حسنى رئيس مجلس ادارة شركة سفنكس للسياحة ، وقص الزميل — وهو من أحد كبار الصحفيين — حكايته على الوزير وكان ملخصها أن موظفا من مكتب الوزير ظلم أحد أقربائه ، ويومها لم نخرج من مكتب الوزير الا بعد أن أصدر

أوامره لمدير مباحث أمن الدولة ولمحمد عبدالحليم موسى مدير الأمن العام حاليا ومدير مباحث الضرائب وقتها ، بالتحقيق فى الأمر وتم التحقيق فى لحظتها. ومكثنا عند الوزير حتى الثانية صباحا ، واتضح بعدها أن الشكوى غير حقيقية . وعلمت بعد أن خرجت من مكتب الوزير أن ابنته وزوجها تعرضا لحادث فى الطريق الصحراوى وعلم هو بالأمر ونحن فى مكتبه ، وبرغم هذا حرص على ألا يغادر مكتبه الا بعد الانتهاء من التحقيق وأرسل من يطمئن على ابنته نيابة عنه .. وبعد أن عرفت بخبر حادثة ابنة الوزير قلت له :

ـــ لماذا لم تقل لنا بأن ابنتك وقع لها حادث ، وكيف تجلس بيننا نتناقش فى قضية كان يمكن أن يستكمل بحثها فى الغد ، ولماذا لم تذهب لتطمئن على كريمتك ؟!

فقال لى الوزير: ان ما أثاره الأخ الصحفى يستحق التحقيق الفورى ولو سكت عليه لكنت مقصرا .. فمكتب الوزير صورة منه ، واذا حدث فيه انحراف يؤثر على الوزير، ونحن لا نختار الموظفين فى المكتب من فراغ ولكن نختارهم بعد تحقيق وتدقيق ، ومع ذلك لا نتوانى عن البحث الدائم ، وهذا مانتبعه دائما .. ولقد أردت بالبحث الفورى أن يعلم الموظفون الموجودون فى المكتب أن الوزير لا يتوانى عن بحث أى شكوى تصل اليه مهما كانت الظروف ، وفى نفس الوقت لا نسمح للشكاوى الكيدية أن تأخذ طريقها وأن تصبح نوعا من الابتزاز والتسلط على الموظفين ، فالمسألة ان تكون حاسما وفى نفس الوقت تكون عطوفا رحيما ، تشجع الموظف الكفء وتحاسب الموظف المهمل ، أما ابنتى فقد كنت اطمئن عليها بالتليفون دون أن تشعروا ودون أن أشعركم بأنه يوجد حادث وقع ، والحمد لله جت سليمة ، وعندما تكون دائما مع الله يكون الله معك ..

* * * *

وللحقيقة من خلال معاملتى مع حسن أبوباشا عرفته انسانا عميقا مثقفا عالما بخبايا الأمور، دارسا جيدا للتاريخ ، افكاره وطنية الى حد كبير.. وقد

شـاركـنـى هـذا الـرأى كـل من تعامل مع الوزير . وقد حضرت مع الزميل جمال بـدوى مقـابلة صحفية ، قال جمال بعد أن انتهت المقابلة : أن الوزير متسع الأفق يتـمـتـع بشخصية جذابة جدا وأنه وزير سياسى من الدرجة الأولى وأنه فى نفس الـوقـت ابـن بلد لا ينسى واجبا قط .. وظل هذا حال حسن أبوباشا حتى بعد أن انتقل الى وزارة الحكم المحلى ، فكان حاسما يستطيع أن يقول رأيه دون أن يغضب الآخرون ، وكم صارحته برأيى فيه حول جمعة للحسم والدبلوماسية ..

* * * *

وعـنـدمـا طـلـبـت مـن الوزير أن يحكى لنا قصة حياته منذ الطفولة .. حيث طـفـولـة أى مـنـا هـى نـبض مشاعره واللبنات الأولى فى بنائه .. خاصة أن حياة حـسـن أبـوبـاشا حافلة بالأحداث والعقبات والتحدى والاصرار الى أن وصل الى كـرسـى الـوزارة .. وروى حـسـن ابـوبـاشـا قـصـة حياته ومافيها من أسرار هامة وخـطـيـرة وعقبات اعترضت طريقه فقال : «**فلنبدأ منذ البداية حيث ولدت يـوم ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ وبالطبع أنا لا أعى كأى طفل أحداث حياتى الا بـعـد أن كـبرت ، فقد ولدت بالقاهرة بحى «الجمالية» ، ووالدى كان عمدة لبلد اسمها «دلبشان» مركز كفر الزيات ، كما كان جدى لوالدتى عـمـدة «مـنـية السعيد» ــ مركز المحمودية ــ محافظة البحيرة ، وهذا الجد لم اره وانما سـمـعـت عـنه فقط ، وكنت وحيد والدتى وكانت طفولتى طفولة تـؤهـلـنـى ــ حـسـب ارادة الله ــ لأن أكـون رجـلا قـياديا** حيث شربت من والـدى مـكـارم الأخـلاق لأنـه كان رجلا ملتزما فتعلمت منه أشياء كثيرة حتى الـتـحقت بالمدرسة الابتدائية ، وكان والدى يصطحبنى معه فترة الصيف لاقضيه مـعـه فى الـبلد . وقد كان العمدة فى هذه الأثناء سلطة لا يستهان بها ، وكان هذ بداية تعرفى على سلك الشرطة فضباط المركز أصدقاء لأبى يحضرون لمنزلنا كثيرا وكـم كـنـت مـعـجبا بضابط النقطة الذى كان يحضر لمنزلنا راكبا حصانه مرتدي زيـه الـرسـمـى الـذى كـنـت عـظيم الاعـجـاب بـه ، وكنت أجلس معهما ــ ووالـدى ــ وأسـتـمـع اليهما وهما يتحدثان عن الصراعات الموجودة بالبلد . وعا

ما كنت اتابع هذه الصراعات حتى تنتهي بالصلح .. لأن والدى كان يعقد جلسات للمتخاصمين حتى يمكن التقريب بين وجهات نظرهم .. وكم استفدت من هذه الجلسات فى حياتى المستقبلية لهذه الفترة .. كنت الاحظ أن القرية فى هذه الفترة متمسكة بتقاليد عظيمة ـ اختفى معظمها من مجتمعنا المعاصر ـ حيث كانت وحدة واحدة لاتتجزأ ، عائلات متماسكة تؤازر بعضها البعض فى الأفراح والاتراح ، كثيرا ما كانت تجتمع قيادات البلد وأعيانها فى هذه المناسبات ، كان اجتماعهم وسيلة للنهوض بقراهم وحل مشاكلهم ، ولهذه الجلسات أثر كبير فى تكوينى الفكرى بعد ذلك ، حيث احسست بالصراع الحزبى من خلال مناقشات والدى والمجتمعين فى هذه الجلسات ، كما خالجنى شعور بمدى مايعانيه الفلاح من صعاب ، فأحسست أن الفلاح فى بلدنا مغلوب على أمره لا حول له ولا قوة ، وكم أحزننى هذا الشعور عندما أرى الفلاحين المعدمين فأذوب حسرة عليهم ، كان موسم عمال التراحيل بالنسبة لى موسما للحزن حيث كنت ترى فيه اسلوب السخرة الفظيع علاوة على المشاعر الحزينة لفراق الأهل لابنائهم ولكنه الصراع من أجل الحياة ، لابد من العمل للحصول على أقدر من الحياة ..

* * * *

سبق أن قلت أن جلسات والدى وأصدقائه كانت أول خطوة فى تعرفى على الأحزاب ، أول ما سمعت من اسمائها اسم حزب الوفد وحزب الأحرار الدستوريين ، وكأى طفل فى بدايات عمره لم أكد أعى منها سوى اسمائها ومعلومات ضئيلة سطحية عنها ما لبثت أن صارت عميقة ذات مغزى ومعنى .. كان موسم الانتخابات هو موسم التطاحن والتصارع لدرجة أن العائلة الواحدة كانت تنقسم على نفسها ما بين مؤيد ومعارض ، كان الخصام ينشب أظافره بين الأب وولده ، جلسات الود والمحبة تنقلب الى جلسات تشاحن ومجادلات ما وراءها طائل ، وما ان ينتهى موسم الانتخابات حتى يعود الود والصفاء أدراجها ويحتلا مكانها فى قلوب ابناء قريتنا .. تركت هذه الحالة

انطباعا لدى حيث بدأت أكره السياسة والانتخابات وكل مايمت لها بصلة ..

نعود للحديث عن مدرستي الابتدائية بعد أن أعدت الى مخيلتي ذكريات عزيزة على، أحب أن أذكر أني التحقت بالمدرسة الالمانية بباب اللوق، كان أغلب مدرسيها ألمانا، لم أمكث فى هذه المدرسة سوى عام واحد، من أطرف ما أذكره عن هذه المدرسة أنهم كانوا يخصصون حصة كل يوم للنوم بعد كل غداء كل طفل ينام على «لوحة»، وكان هذا العام تمهيدا للمرحلة الابتدائية، وفى أثنائه كان يأتينى مدرس من البلد يعلمنى القراءة والكتابة، المهم أنى دخلت الصف الأول الابتدائي وأنا أجيد القراءة والكتابة اجادة تامة.. بعد ذلك التحقت بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بحى «الجمامين».. هذه الجمعية كان يتولاها (عدلى باشا يكن)، وأذكر أنهم أخذونا من المدرسة للسير فى جنازته حاملين «بوكيهات» الورد السوداء.. والشيء بالشيء يذكر فقد كنت أعانى فى هذه المدرسة من مدرس الحساب الذى كان اسمه عبدالقادر، كان يضربنى ضربا مبرحا.. اذكر انني كنت قبل حصة الحساب اقرأ الفاتحة والصمدية بنية أن ينقذنى الله من براثن هذا المدرس وعصاه فكم عانيت منه ومن عصاه..!!

* * * *

لنعبر سويا مرحلة الابتدائي فلم تكن مرحلة حافلة بالأحداث، فكما ذكرت كنت أحيا طفولة هادئة بعيدة عن المشاكل، لم أع منها سوى ماذكرته لك.. حصلت على الشهادة الابتدائية والتحقت بالمدرسة الخديوية الثانوية أنا وابن خالتى حسين النجار الذى كان صديقى وزميلى فكانت تجمع بيننا عدة هوايات مشتركة منها لعب الكرة «الشراب».. بدأ العام الدراسى الأول لى فى المرحلة الثانوية وقد أخذتنى الكرة من مذاكرتى كثيرا، مر العام ولم أحس به، أتت الامتحانات لكنى لم أكن مذاكرا دروسى كما ينبغى، ظهرت النتيجة ولم أكن من الناجحين.. كانت هذه أول مرة ارسب فيها فى حياتى وآخر مرة، فكم كان طعم الرسوب قاسيا على نفسى وزاد من مرارته ان حسين النجار

صديقي كان ضمن الناجحين ففرق بيننا رسوبي و باعد بين صداقتنا ، ومهما وصفت لك احساسي بهذ الكارثة فلن تتصوره .. كان هذا الرسوب دافعا لي على النجاح في حياتي كلها بشكل عام ، فحرصت على الا يتكرر في جميع مراحل حياتي حتى بعد تخرجي في كلية البوليس بعد ذلك .. ومن خلال سرد هذه الحادثة ارجو من شبابنا الا يجعلوا فشلهم عامل هدم لهم بل يجعلونه كما فعلت عامل تفوق لهم حيث أني لم اتنازل عن ترتيب (الأول) بعد ذلك فوصلت الى الثانوية العامة دون أي تعثر بعد رسوبي في الصف الأول الثانوي ، ومما أذكره أنني كنت متفوقا جدا في العلوم (الطبيعة والكيمياء) وكان استاذي في المدرسة «مستر ادوارد» معجبا بي جدا لدرجة أنه كان يختارني للاجابة أمام المفتشين ويباهي بي أمامهم .. عكس هذا تماما كان حالي في اللغة العربية فمدرس هذه المادة كان يتعجب !! .. كيف يكون ترتيبي الأول وتكون درجاتي في اللغة العربية ضعيفة وكثيرا ماتعمد هذا الاستاذ احراجي أمام زملائي اذا اخطأت بقواعد النحو مما أثار في داخلي شعور عارم بأن التحق بكلية العلوم .. كانت مصر في هذه الفترة تضطرم بالصراعات السياسية الكثيرة وقد كنت بعيدا كل البعد عن هذه الصراعات ، وهذا بالطبع لم يمنعني هذا من مشاهدة مايحدث على الساحة ، فكم شاهدت زعماء الطلبة السياسيين وأذكر منهم عبدالملك هاشم ــ الذي تخرج في كلية الحقوق محاميا ثم وصل الى أن أصبح قاضيا ــ كان هذا الرجل يلهب حماس الطلاب بخطبه ، لم اكن اشترك في المظاهرات أبدا ولم اخض في حديث حول الصراعات السياسية ابدا لأنني لم اكن مقتنعا بما يفعله هؤلاء المتظاهرون من تخريب في منشآت البلد لذا لم أتحمس أبدا لهذه المظاهرات .

نتكلم الآن عن أخطر مرحلة في حياتي وفي حياة كل مصري .. ماذا بعد الثانوية العامة ؟!

* * * *

كما ذكرت كانت ميولي تدفعني لكلية العلوم ، فاجأني والدي باصرار عنيد

لألتحق بكلية البوليس ــ كان اسمها هكذا ــ لم يرض والدى بوجهة نظرى ولما ضاقت بى السبل ذهبت للأستاذ ادوارد أسأله اقناع أبى بوجوب دخولى كلية العلوم فما كان منه الا أن أخذ يعدد لى مصاعب التدريس وخرجت من مكتبه مقتنعا أن ألتحق بكلية البوليس ، وبالفعل تقدمت بأوراقى للكلية وكان المعيار الوحيد للقبول هو « الواسطة » وليس المجموع ، فبقدر ماتكون « واسطتك » قوية بقدر مايكون احتمال قبولك اقوى ، وبحثنا عن « الواسطة » فكان الاستاذ أحمد لطفى ابن عمى ومدير الادارة العامة بوزارة الداخلية فى هذه الأثناء وتوسط لى أمام لجنة كشف الهيئة فقبلت بهذه الكلية .. كانت حياة « الميرى » قاسية جدا ، صدمت فى أول يوم لى بالكلية لما لاقيته من معاملة كلها فظاظة وغلظة ، اختمرت فى ذهنى فكرة أنى لا أستطيع الاستمرار فى هذه الكلية ، كتبت خطابا لوالدى ضمنته هذا المعنى وكان فحواه اما أن أترك هذه الكلية أو أنتحر ، على الفور حضر والدى وابن عمى المستشار الى الكلية وقابلانى فى مكتب مدير الكلية ، وجلس معنا البابلى «بك» مدير الكلية فى هذا الوقت واقنعونى ثلاثتهم بالبقاء فى الكلية وخضعت لهم ، وما ان تعودت معاملة استاذتى القاسية ــ التى أفادتنى فيما بعد ــ حتى ظهرت أمامى عقبة اخرى ، فقد كان مقررا علينا بعض الألعاب الاجبارية كالمصارعة مثلا ، كنت أكره هذه اللعبة كرها شديدا لنحافة جسدى فى هذا الوقت ، وكان يعقد لنا امتحان فى هذه الرياضة آخر العام لدرجة أنها كانت تتحكم فى الترتيب ، المهم انى برغم هاتين العقبتين استمررت فى الكلية وتخرجت فيها وكان ترتيبى العشرين من ١١٦ طالبا دفعتى ، المصارعة كانت سبب تأخر ترتيبى ، لعنها الله ، فمن غرائب مصادفات هذه المصارعة ان جاء دورى فى اللعب فى امتحان آخر العام مع زميل ضخم الجثة هو على ما أذكر عمر نبيل وكان ماهرا فى المصارعة فرفعنى « ورزعنى » على الأرض ، تكتمت انفاسى ، اظلمت الدنيا فى عينى ، افقت لأجد درجة هزيلة فى مادة المصارعة ، والحمد لله أن كلية الشرطة ألغت هذه المادة اللعينة التى كانت عدوى اللدود .. وطابع كلية الشرطة يفرض على طلابها صداقات كثيرة حيث يقضون فترة كبيرة من العام الدراسى فى الكلية

(داخلى) وكان لى حظ من هذه الصداقات فى كليتى ، تعلمت التدخين وأنا فى الكلية ولم أكن أدخن خارجها لئلا يرانى والدى ، وما كان لأحد ليجرؤ على ذلك فى هذا العصر .. انى أذكر هذا وأترحم على قيمنا التى رحلت والتى أدعو الله أن تعود أدراجها لتحتل مكانها فى مجتمعنا ..

* * * *

مرت فترة الكلية على خير، وبعد ستة شهور من تخرجى توفى والدى رحمه الله ، استلمت عملى كضابط فى بندر الجيزة ، كنت قد تمرنت من قبل فى قسم السيدة زينب مع ضابط ممتاز اسمه عبدالفتاح الدغيدى الذى كان أول دفعته وأول ماتعرفت على نظام العمل الشرطى تعرفت عليه فى قسم السيدة زينب ، كان هذا التمرين ابان انتقالى من الصف الأول للثانى بكلية الشرطة ، ولحسن حظى كان تعاملى مع عبدالفتاح الدغيدى فكان أهم مايمتاز به هذا الرجل دقته فى العمل واخلاصه، كان استاذا فى كتابة محاضر الشرطة ، حينما يعرض لموضوع يتفحصه بدقة مرحلة مرحلة ، كان لهذه الأشياء العامل الأكبر فى عشقى للفن الشرطى ، وأذكر أنه كان يتمرن معى زميل لى اسمه أحمد والى ـــ الذى كان يعمل مدير كاتم اسرار ـــ وفى العام التالى كان تمرينى فى قسم الموسكى تعاملت فيه أيضا مع ضابط مرموق فى المباحث الجنائية اسمه نجيب بسيونى ، تعلمت منه عملية اختراق المجالات بالمصادر على أكمل وجه ، فغالبا ما كان يستعين بالمرشدين ، مرشدوه غاية فى الامانة معه رغم انهم كانوا من عتاة المجرمين ، من هنا بدأت عينى تتفتح على أسلوب المباحث الصعب الذى كان يجيده نجيب بسيونى .. نعود مرة أخرى الى قسم الجيزة ، قبلما استلم عملى فى القسم توجهت الى مديرية الأمن ولفت نظرى وجود حكمدار ذى رتبة صغيرة (بكباشى) كان اسمه «التونى بك» .. قام هذا الرجل بتوزيعنا على الأقسام وكان ان ذهبت الى بندر الجيزة ، بعد ذلك توجهت الى البندر ودخلت لمأمور القسم وكان أول أمر تلقيته فى حياتى «تيجو فى الميعاد مافيش حاجة اسمها مواصلات» ، وبدأت العمل فى النوباتجية وكان معى شاويش فى منتهى

الحزم فاهم لطبيعة العمل بدرجة يحسد عليها ــ للأسف لا أذكر اسمه ــ كنا نلجأ اليه فى الأمور التى تمر علينا لأول مرة نسأله ماذا نفعل وكان يوجهنا بدراية وخبرة .. مرت على فترة غير قليلة فى بندر الجيزة ثم انتدبت بعدها للعمل بالمركز وأذكر أول حادثة عاينتها فى حياتى كانت فى « كفر طهرمس » حيث كنت مسئولا عن قرى وريف المركز. وما أذكره من تفاصيل هذه الحادثة أن هناك عائلة كبيرة ــ منها العمدة ــ كانت توجد بعض خلافات بين أهلها بعضهم البعض ، بمعنى أن المتشاجرين كانوا ابناء عمومة وقامت بينهم مشاجرة فى رمضان قبيل آذان المغرب قتل فى هذه المشاجرة عشرة أشخاص وما أذكره بشاعة منظر الجثث وهى ملقاة مبعثرة فى كل مكان ، وكان أول أمر ألقيته ، هو نقل الجثث لتشريحها بمعرفة الطبيب الشرعى .. كانت هذه الحادثة بداية حبى القوى للعمل البوليسى حيث استمتعت بما فيها من اثارة اطلقت لذكائى العنان وسعدت بما تحقق من ورائه .. وبعد أن قضيت عاملا كاملا فى المركز انتقلت الى المباحث ، وما أسعدنى بهذا الانتقال هو أن العمل فى هذه الفترة كان على أشده، فقد كانت الجمعيات السرية والمظاهرات عوامل لقلقلة الأمن ، تعددت حوادث الانفجارات فى هذه الفترة وتعدد حصارنا للجامعة حيث كانت منبع الاثارة والفتن .. فى هذه الفترة أحسست فعلا أنى أصبحت دقيقا فى عملى الى حد كبير.. فى هذه الفترة أيضا تلقيت أسعد حدث فى حياتى ، ففى يوم من الأيام أتانى اللواء الشماع ــ مساعد وزير الداخلية فى هذا الوقت ــ وقال لى : « مبروك ياحسن ، لقد حزت اعجاب كل رؤسائك ، حيث رشحناك للمركز الأول على كل ضباط دفعتك فى اجتماع عقدناه بالأمس فقط » .. كانت هذه نقطة الانطلاق بالنسبة لى حيث بدأ العمل فى البوليس يصبح هوايتى وليس عملى المفروض على .. وللعلم كان ضابط المباحث فى هذه الفترة مسئولا عن الأمن والجرائم والحوادث وهذا جعلنى أتلذذ بطبيعة عملى خاصة أن عمل المباحث يجعل من يعمل فيه يستعمل ذكاءه بصفة دائمة وكلما حقق هذا الذكاء نجاحا كلما كنت سعيدا ، وكلما كان تخطيطك سليما كلما سعدت بصحة توقعاتك .. وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر أنه بلغتنى أنباء شقى اسمه صالح

سكر كان نشاطه متركزا فى منطقة الجيزة حيث كان تاجر مخدرات . لم يستطع أحد أن يصل اليه حيث كان يستعمل عددا غير قليل من (الناضورجية) الذين يراقبون له الطريق حتى لا يقع تحت يد الشرطة . هدانى خاطرى لفكرة القبض على هذا الشقى بعدما علمت ميعاد تسلمه بعض البضاعة وأيضا علمت أنه سيخزنها فى مقهى يمتلكه وفى منزله .. هدانى تفكيرى أن أركب سيارة اسعاف من الخلف أنا والمخبرون ونذهب للقبض عليه فى الميعاد المحدد لتسلم البضاعة وكان المطلوب أن اصل اليه دون أن يشعر بى أحد من أعوانه . استقللنا سيارة الاسعاف وأخذنا ندق جرسها حتى لا يبدو شيء غير طبيعى ، وفوجيء الخطير بنا فى احضانه نقبض عليه ، ضبطناه هو والمخدرات التى يحوزها وفتشنا منزله فعثرت على كميات أخرى من المخدرات .. وكان لهذه القضية دوى أيامها بالجيزة حيث رفعت نجمى الى أقطار السماء ..

* * * *

وكانوا يستدعوننا أيام الانتخابات ، وأذكر أننى ذهبت مرتين ، الأولى الى «ترسة» ، والأخرى الى «أبو النمرس» ، كان مندوب المرشحين عادة مايقوم بتلاعب لمصالح مرشحيه وهم فى الغالب وفديون .. وكثيرا ما كانت تحدث أعمال عنف أوقات الانتخابات .. وقد كانت عملية قذرة جدا قبل الثورة ، وأذكر منها انتخابات سنة ١٩٥٠ التى حضرتها بنفسى وأنا ضابط مباحث ورأيت الرجل الأول وراء تزويرها وهو حسين سرى باشا ..

* * *

. . . وعن مشوار حسن ابوباشا منذ أن كان ضابطا بالمباحث الى أن أصبح وزيرا ، لنا جولة أخرى معه فى كتاب « ديوان الوزارة » ..

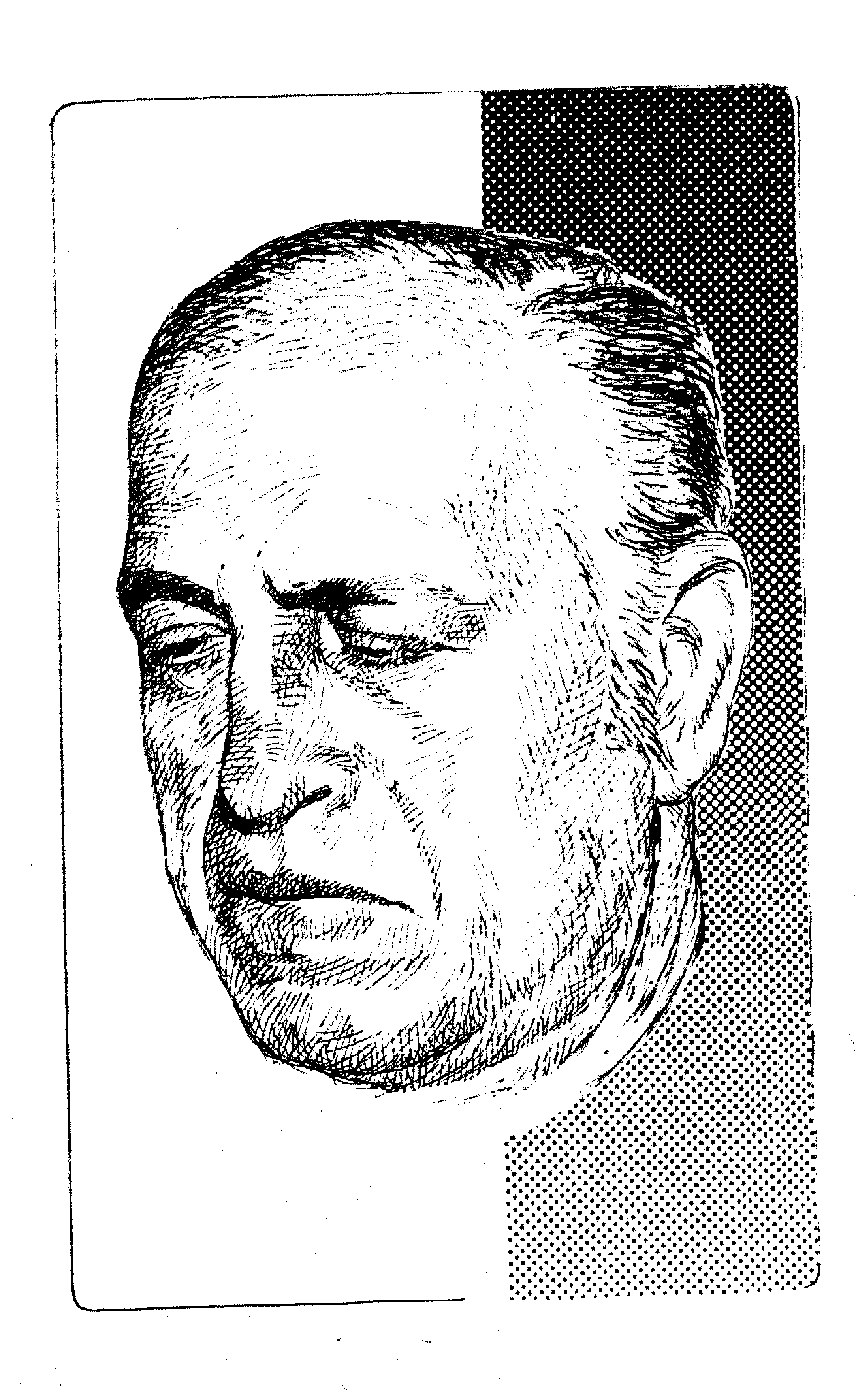
وذهبت الى الدكتور فؤاد محيى الدين ، وعندما رآنى قال بعصبية : ايه اللى انت عملته ده .. العملية بقت هيصه خالص .. !!

قلت : هذه مؤامرة لاننى أهاجم عصابات « المافيا » .

قال : ليس أمامى الا أن انضم لزملائى فى ابلاغ النيابة .

وهممت بالانصراف من مكتب الدكتور فؤاد محيى الدين بعد هذه المقابلة المثيرة .. الى ان دق جرس التليفون وكان المتحدث هو الأستاذ على حمدى الجمال نقيب الصحفيين فى ذلك الوقت .. وبعد المكالمة طلب منى الدكتور فؤاد محيى الدين أن أجلس لنصفى الموضوع لأن اتساعه سيحدث كارثة .. !!

وأصبح الطبيب رئيسا للوزراء



بعد أن قامت الثورة كان التنظيم الذى اعتمدت عليه هو هيئة التحرير، وكان الدكتور محمد فؤاد محيى الدين مسئولا عن هيئة التحرير فى المنوفية وبالذات فى منطقة أشمون منوفية والقناطر.. وقد كانت منطقة القناطر قبل التقسيمات الادارية تتبع منطقة المنوفية ، وكان فؤاد محيى الدين خطيبا بارعا .. يخطب ليجمع الناس و يتكلم معهم عن هيئة التحرير ، وكان الوزير أحمد طعيمة مسئولا عن هيئة التحرير ، وكان الدكتور فؤاد محيى الدين مسئولا عن منطقة شمال المنوفية ، وكان الدكتور محمد السيد الشنوانى أو الدكتور الشنوانى كما يطلقون عليه مسئولا عن منطقة منوف ، ثم انتقل الى مركز شبين .. وبعد ذلك أصبح الدكتور فؤاد محيى الدين مسئولا عن منطقة المنوفية كلها ، ولكنه كان مهتما بمنطقة القناطر وشبرا الخيمة ، الى أن تغيرت الأمور واستبدلت هيئة التحرير بالاتحاد القومى .. استبدل الدكتور فؤاد محيى الدين موقعه من اشمون والقناطر الى منطقة شبرا الخيمة ، وعندما عدل اسم الاتحاد القومى الى الاتحاد الاشتراكى كان الدكتور فؤاد محيى الدين هو أمين الاتحاد الاشتراكى بمنطقة شبرا الخيمة ، وتقلد فؤاد محيى الدين مناصب كثيرة منها محافظ الشرقية

ولقد ذهبت اليه وهو محافظ الشرقية بعد أن دعانى صديق هناك .. وذهبت الى الدكتور فؤاد محيى الدين فى مبنى محافظة الشرقية ، وتكلم معى عن الإصلاحات التى يريدها لمحافظة الشرقية ، وقال لى أن الشرقية فيها امكانيات كبيرة وبها عدد لابأس به من الأغنياء ، وأنه لابد أن يشترك هؤلاء بالجهود الذاتية لعمل الكثير من المشروعات التى تفيد المحافظة وابناءها فى المستقبل ، وعندما عين فؤاد محيى

الدين محافظا للاسكندرية اتصلت به لاهنئه على هذا المنصب وقال لى ادع لى لأن الاسكندرية تحتاج الى مجهود كبير وقال ان حلمه أن تصبح تسمية « عروس البحر الأبيض المتوسط » اسما على مسمى وقال أن فيها بعض المشاكل اذا لم تعالج فسيستفحل امرها وتكبر أبعادها لأن المشاكل ان لم يتغلب عليها فى بدايتها فانها ستكبر و تستفحل ، واتصلت بالاستاذ محمد شاكر زميلى فى مكتب الاسكندرية فقلت له : ايه ياأبو الشكران (هكذا كنت أسميه) الأخبار ايه .

قال : ايه

قلت : ماذا فعل فؤاد محيى الدين عندكم

قال : راجل سياسى عقر ، واع مش سهل ، حنكته الخبرة والسياسة ، ده محافظ سياسى ..

* * * *

ودائما كنت اسمع لتعليقات الأخ الزميل محمد شاكر وأحبها لأن تحليل محمد شاكر لأغلب الأشياء صحيح مائة فى المائة واذا أردت أن اعرف شيئا عن محافظ الاسكندرية اطلب محمد شاكر ، فدائما يوجد فى مكتب « أخبار اليوم » فى الاسكندرية عمالقة عظام . عم أحمد هيبة المخضرم الذى يعرف كل أخبار الاسكندرية من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها ولا تفوته دبة النملة ، البير توفيق وزير الخارجية المفوض كما أطلق عليه ، لأنه دبلوماسى بدرجة ابن بلد . مهذب رقيق .. ومحمد شاكر صاحب التعليقات المشهورة والصديق العزيز ، وعمنا أحمد سالم عميد المصورين فى الاسكندرية وفاروق عبدالمنعم المحرر العلمى والعسكرى ذو الأخلاق الممتازة وحمدى ياسين ومنير المسيرى وغيرهم الحقيقة مجموعة ممتازة من الصحفيين فى مكتب الاسكندرية يعملون بجد ، مجهودهم يكفى ثلاث أو أربع صحف مرة واحدة .

المهم قال لى محمد شاكر : الراجل حيلمع .

قلت : أى راجل ياأبو حميد .

قال : المحافظ بتاعنا فؤاد محيى الدين .

ودائما الاسكندرية محافظوها اما يلمعون أو..... كما يقولون اما فوق أو تحت ، المهم لمع فؤاد محيى الدين ، ووصل الى أن أصبح رئيسا للوزراء بعد أن كان النائب الأول فى آخر أيام السادات ..

* * * *

وأذكر أن لى أكثر من واقعة مع الدكتور فؤاد محيى الدين ، فبعد أن تنكرت فى زى طبيب مزيف ودخلت قصر العينى وكشفت على المرضى نشرت « اخبار اليوم » صورا لى وأنا أكشف على بعض السيدات ، وكتبت اننى قمت بتوليد بعض النساء فى قسم الولادة ، واننى كشفت على عدد كبير من النساء فى العيادة الخارجية واعترفت بهذا صراحة ونشرت « اخبار اليوم » التحقيق الصحفى وفيه هذه المغامرة المثيرة وتفاصيلها بالكلام والصور.. وبعد النشر بيومين ، كنت أسير فى شارع الجلاء ، فاذا بسيارة المرحوم على حمدى الجمال ــ نقيب الصحفيين فى ذلك الوقت ــ تقترب منى ، وقال لى المرحوم على حمدى الجمال : اتصل بى فورا عندما تصل الى مكتبك لأنى أريدك فى أمر هام .

وعندما ذهبت الى مكتبى اتصلت فورا بسيادة النقيب على حمدى الجمال ، وقد كان رحمه الله دمثا على خلق شهما .. رقيقا .. قال لى لقد قدم بعض الذين كشفت عليهن من السيدات والانسات بلاغا الى النيابة لأنك لست طبيبا ، وأوهمتهن أنك طبيب كما قدمت نقابة الاطباء بلاغا للنيابة .. والدنيا مقلوبة ..

وأنا طلبت « اخبار اليوم » علشان تؤجل الحلقات التالية من المغامرة الصحفية ..

قلت له : ياسيادة النقيب ان هدفى من ذلك واضح وهو انى أريد أن أنبه وزارة التعليم العالى وهى المسئولة عن القصر العينى أن هناك أخطاء ، فغير معقول أن يرتدى شخص بالطو أبيض ويكون هذا البالطو هو جواز المرور

الى قصر العيني ليعبث عبثا بالنساء ، وبصراحة لقد كتبت شيئا بسيطا وهو الذى سمح بنشره فى الجريدة ، اما ما احتفظ به فهو الكثير وتوجد مهازل رأيتها كطبيب فى قصر العيني سواء فى بيوت الممرضات أو فى بيوت الأطباء ، أو فى عنابر المرضى . توجد عصابات منظمة ـ مافيا ـ داخل قصر العيني ياسيادة النقيب ، ان الرئيس عبد الناصر كان على حق عندما قال لقد نجحنا فى ادارة قناة السويس ولم ننجح فى ادارة قصر العيني ، فقصر العيني لايمكن أن يديره انسان .. واذا أردتم رأيى فلابد من نسف قصر العيني وانشائه من جديد آلاف المرضى ياسيادة النقيب ينامون على الأرض ولا يأخذون الدواء و ينامون فى العراء ، الدم يباع سرا لبعض المستشفيات الخاصة ، ومرضى قصر العيني يموتون لعدم وجود الدم ، الأغذية واللحوم والدجاج تباع لأصحاب محلات الكباب والدجاج ، والمرضى لايأكلون الا العيش الحاف والطبيخ البايت ، بصراحة ياسيادة النقيب ، ان ما رأيته هو مهزلة ليست فى حق المرضى فقط ولكن فى حق قصر العيني ، ان عددا كبيرا من شباب الاطباء لا يرضيهم هذا وكلهم فى استياء شديد من هذا ولكن لا يستطيعون أن يتكلموا خوفا من بطش زعماء عصابة « المافيا » .. اننا نريد أن نصلح قصر العيني ولابد من هذه الحملة التى تمت عن طريق مغامرة مثيرة ..

وهنا قال الاستاذ حمدى الجمال : كل هذا جميل ومثير بل هو مطلوب

ولكن طريقة المعالجة وهى المغامرة المثيرة وكشفك على السيدات واشراكك فى توليدهن هذا هو الشيء الخطر فأنت لست طبيبا وهل ترضى لشقيقتك أو لزوجتك أن يكشف عليها شخص غريب مهما كانت نيته أو مهما كان وضعه ، على كل أرجو أن تذهب أولا الى الدكتور فؤاد محيى الدين فى مكتبه أو فى نقابة الاطباء وتبلغه تحياتى وقل له أن على حمدى الجمال ارسلنى لك ، وأنا سأكلمه على الفور . وابلغنى بالنتيجة

قلت : وطلب النيابة ؟

قال : لا تذهب الآن ، لأن المفروض أن ترسل النقابة معك عضوا

ومحاميا ده خلاف محامي الجريدة طبعا .

* * * *

وذهبت الى الدكتور فؤاد محيي الدين ، وعندما رآني قال لي بعصبية : ايه اللي انت عملته ده . معقول يا راجل تكشف على السيدات والآنسات بحجة انك دكتور ومعقول كمان تشترك في التوليد ، العملية بقت هيصة ؟!!

قلت : ولكن يادكتور الهيصة والفوضى موجودة في قصر العيني ، ده مولد وصاحبه غائب .

قال : ياأخي افرض ، هذا ليس مبررا لما فعلته .. على كل النقابة ارسلت بلاغا الى النيابة وعلى حسب معلوماتي بعض السيدات اللائي كشفت عليهن وبعض السيدات اللائي قمت بتوليدهن مع بعض الاطباء قدمن أيضا شكوى للنيابة .

قلت : هذه مؤامرة نظرا لأني كتبت أهاجم عصابات « المافيا » في قصر العيني .

قال : بالفرض مؤامرة وانتقام مين اللي اعطاهم السلاح ، على كل ياأخ عبدالعاطي أنا غير موافق على الذي حدث .. كله كوم والاعراض كوم آخر ، أنا ليس أمامي الا أن أنضم الى زملائي في إبلاغ النيابة ، وهممت بالانصراف ودق جرس التليفون مع فؤاد محيي الدين ، وطال الحديث الى أن اقتنع في النهاية أن ينهي الموضوع .. وبعد أن أنهى الدكتور فؤاد محيي الدين المكالمة أشار الى أن أجلس وقال لي أن الاستاذ على حمدي الجمال أشار على بأن أنهي الموضوع لأننا سنشكوك وأنت عضو بنقابة الصحفيين وسيترتب على ذلك بأن تقف النقابة الى جانبك ، وسيكون شكلنا بايخ ان تقف نقابة الاطباء أمام نقابة الصحفيين بشكوى .. على كل سأتصل برئيس النيابة وسأطلب منه حفظ الشكوى .. ولا تذهب الى النيابة غدا .. وأنا سأتصل بك أو تكلمني ..

* * * *

وفى حوالى الساعة العاشرة والنصف من صباح اليوم التالى : اتصل بى الدكتور فؤاد محيى الدين وقال : أنا اتفاهمت مع النائب العام .. وأفهمته غرضك من المغامرة المثيرة وانها كانت تجربة .. ولكن المفروض أن تذهب الى النيابة لتقفل المحضر، كما اقنعت بعض السيدات اللائى كشفت عليهن كطبيب أن يسحبن المحضر .. واذهب الى النيابة بدون أحد .. وكعادتى فى الاحتراس دائما .. اخذت معى محاميا ، ووجدت وكيل النيابة سيفتح معى « س ، جـ » وان وكيل النيابة متشدد جدا ، قلت له ان معلوماتى تقول أن النائب العام ابلغه بانهاء الموضوع .

قال لى : ان احدا لم يكلمه

قلت : اذن أنصرف لاعمل ترتيباتى .

قال لى وكيل النيابة : انت مقبوض عليك بتهمة انتحال شخصية طبيب وهتك عرض و.. و.. وفى النهاية قال لى انت محجوز. حاول المحامى أن يتكلم ولكن وكيل النيابة صمم على أن يحجزنى .

قلت : ايه الوقعة السودة دى

المهم ، طلبت من المحامى أن يتصل بالاستاذ على حمدى الجمال ، وبالدكتور فؤاد محيى الدين ، وانتظرت فى الحجرة المجاورة لحجرة وكيل النيابة الى أن جاء العسكرى وقال لى ، افراج من سراى النيابة ، وعرفت أن الاستاذ على حمدى الجمال بذل مجهودا كبيرا هو والدكتور فؤاد محيى الدين مع النائب العام الى أن خرجت .

هذه واقعة

* * * *

والواقعة الأخرى ، كنا فى رمضان ، وكان نبوى اسماعيل وزيرا للداخلية وكان من عادة اللواء نبوى أن يحضر من الساعة الثامنة مساء ليستمر حتى الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا فى مكتبه ، وكان ينتظره دائما عدد كبير من الناس لكى

يحل لهم مشاكلهم و يؤدى لهم طلباتهم ، وهذه العادة وجدتها فى اللواء نبوى اسماعيل وحسن أبو باشا وزير الداخلية سابقا ووزير الحكم المحلى حاليا .. فقد كان ومازال يخدم بقدر مايستطيع . واللواء محمد عبد الحليم مدير الأمن العام حاليا فهو رجل مبتسم يخدم الناس على قدر مايستطيع مكتبه مفتوح شعاره أخدمك ولكن فى حدود القانون ..

المهم جلست مع الدكتور فؤاد محيى الدين وقد كان وقتها بعيدا عن الاضواء

قال لى : انه منتظر سيادة الوزير ليتكلم معه ، وخرج نبوى اسماعيل من مكتبه ليستقبل فؤاد محيى الدين ، ومكثا أكثر من ساعة ، و بعد أن خرج سألت الوزير .. قلت له : ماذا حدث فى المقابلة التى استغرقت ساعة بينك وبين الدكتور فؤاد محيى الدين .

قال : الدكتور فؤاد محيى الدين راجل سياسى وحزبى ، والحزب عايز ناس مثل الدكتور فؤاد .

قلت له : اذا عاد الدكتور فؤاد الى الظهور ودخل الحزب سيصل حتى يصبح أمين الحزب .

ولم يلق نبوى اسماعيل لهذه الكلمة بالا واعتقدت أنه لم يسمعها وفكرته بها عندما كان فؤاد محيى الدين رئيسا لمجلس الوزراء وخرج النبوى اسماعيل من الداخلية الى الحكم المحلى ، وبدأت المضايقة الشديدة للنبوى .. وكانت الخطوة السابقة لخروجه من الوزارة .

* * * *

فلقد كان الدكتور فؤاد محيى الدين ـ رحمة الله عليه ـ مناورا سياسيا ، بدأ السياسة منذ صغره ، أحبها وهواها ، احترفها واشتغل بها ، فبالرغم من أن من عائلته وأقربائه اثنين من اعضاء مجلس قيادة الثورة وهما زكريا محيى الدين وخالد محيى الدين ، فقد تقلدا مناصب عديدة ، الا أن الدكتور فؤاد محيى الدين

وهو لم يشترك فى الثورة وصل بذكائه و بعمله السياسى الى أن أصبح رئيسا لوزراء مصر وأن اصبح أمينا للحزب الوطنى فى مرحلة من أخطر مراحله واستمر بعد موت السادات الى وزارة الرئيس حسنى مبارك بعدما تولى الحكم ، وقد كان محل ثقة الى أن مات على كرسيه فى مكتبه بمجلس الوزراء ضاربا المثل فى العمل لكى تنطبق عليه الحكمة القائلة من جد وجد من طبيب الى رئيس مجلس الوزراء ومن أمين الاتحاد الاشتراكى بشبرا الخيمة الى أمين الحزب الوطنى بالجمهورية كلها ..

كنا نقطن شارع رمسيس وكان الملك يمر من هذا الشارع كثيرا، وحينما كان يمر من عندنا كنت تحس ان الحياة كلها متوقفة الا موكب الملك الذى يتسم بالعظمة والابهة. وكان يركب سيارة حمراء. وفى احد الأيام كان سكران وهويقود سيارته فاصطدام بجزيرة كانت موجودة فى الشارع وقرروا بعد هذه الحادثة ان ينتزعوا الجزيرة كلها من وسط الشارع مما عرض حياتنا كلها للخطر.

وفى يوم من الايام كان موكب الملك يمر ووقفت أنا واختى وابنتها الصغيرة لنرى الموكب وفوجئنا بالبنت الصغيرة تترك يد امها وتعدو عابرة الطريق وكان موكب الملك على وشك المرور والشارع خال تماما. واذا بالسيارة التى تتقدم الموكب تصدمها وتسير وكأن شيئا لم يكن. وصرخ فى اعماقى احساس بالمهانة زلزل اعماقى كلها .. واحسست بأنى صاحب ارض ليست ملكا لى وان كرامتى تمتهن بشكل لايعدله السحل ولا التنكيل .. احسست أنه لاقيمة لاى مصرى وانما القيمة كل القيمة للملك وحاشيته ..

صفوت الشريف والرحلة إلى القمة!



فى حياة كل منا اسرار وخبايا ، تمثل مجموعة من التحديات والعقبات ، يتغلب عليها الانسان بالثقة والاصرار.. ولقد استطاع محمد صفوت الشريف ابن زفتى غربية ــ باصراره ــ ان يتحدى هذه العقبات الى أن وصل الى مايريد ..

فكيف وصل الى كرسى الوزارة ، وما هى البداية منذ الصغر الى أن اصبح وزيرا مرموقا ، ولقد طلبت من صفوت الشريف وزير الاعلام أن يحكى لنا قصة حياته حتى وصل الى كرسى الوزارة ..

والیکم قصة حياته كما سردها ...

* * * *

« البداية كانت فى بلدة زفتى قرينة ميت غمر بمحافظة الغربية ، فلقد ولدت فى هذه البلدة الطيب أهلها فى اليوم التاسع عشر عام ١٩٣٣ ، وقلما يذكر الانسان بداياته منذ صباه وعلى قدر ما أذكر كان أهل هذه البلدة طيبين وادعين آمنين ، يحفظ بعضهم بعضا عن ظهر قلب ، الكل يعرف عن الكل كل شىء وأى شىء ، كما هى العادة فى الريف مترابطون فى الشدة والرخاء يجاملون بعضهم البعض فى أفراحهم واتراحهم .. وكانت أسرة والدى جميعها تقطن هذه البلدة ابناء عمومتى وكل أقارب والدى وكانت والدتى من بلدة أخرى هى «صفط زريق» من اعمال محافظة الشرقية .

توفى والدى وأنا فى فجر حياتى فى الخامسة من عمرى تقريبا ، ومعنى

ذلك أنني لا أذكره بشكل واضح ، فقد انعدمت ذكرياتي مع والدي منذ صباي المبكر لأنه رحل ولم يترك أي انطباع في ذهني . وعلى عكس ذلك كان الأمر مع امي فقد كانت العامل المؤثر القوي في حياتي وساعد على ذلك قوة شخصيتها ، فقد كانت امرأة حازمة الى حد كبير ونشأتنا تنشئة صالحة وكان لعم من اعمامي هو الحاج حسانين الشريف أثر كبير في نشأتي حيث كان يعودني من صغري التمسك بالدين وتعاليمه وكان يحاسبنا ان نحن قصرنا في أداء شعيرة من شعائر الاسلام . وكان لهذين العزيزين أكبر الأثر في دس مكارم الأخلاق في انحاء نفسي .

* * * *

والدي كان حاصلا على شهادة البكالوريا — كما كانوا يسمونها في ذلك الوقت وكان يعمل في تجارة القطن في هذا العصر الذي سيطر فيه الأجانب على مقدرات شعب مصر بشكل عام وتحكموا في كل شيء حتى محالج القطن التي كان أبي يعمل في احداها متوليا الحسابات والادارة وكان المحلج الذي يعمل فيه ابي بمدينة زفتى ، وكان مشهورا بين أهل البلدة ، لأنه لا يوجد في هذا العصر في بلدة كبلدنا رجل في تعليم أبي حيث كان يعتبر صاحب هذا المستوى من التعليم رجلا ممن لهم وزن في البلدة .

وكان والدي يملك مكتبة كبيرة كانت هي أولى درجات سلمي الثقافي ، حيث قرأت فيها أول قصة قرأتها في حياتي ، وهي « ماجدولين » ترجمة المنفلوطي الى جانب ديوان الشوقيات ومعظم هذه الكتب مازال موجودا حتى الآن ، والبعض الآخر آهديناه الى بعض المكتبات العامة . وكان ابي يكتب دائما ملاحظاته على هوامش كتبه ، ولقد استفدت استفادة كبيرة من هذه الهوامش ، التي ساعدت على سعة أفقي ومداركي في هذه المرحلة من حياتي .

* * * *

نحن ست بنات وولدان أخوة ، ترتيبي قبل الأخير حيث ولدت بعدي بنت

واحدة، أى اننا مثلنا حملا كبيرا على كاهل والدتى ، وكانت جدتى قاطنة معنا فى نفس المكان، وأذكر أنها كانت طاعنة فى السن لكنها كانت تقية وحازمة.. ولاشك أن وفاة والدى جعلت أمى حازمة جدا خاصة أن لديها مثل هذا العدد من البنات الذى لا يقابله الا عدد قليل من الصبية وكلهم صغيرون ، وقد كان هذا دافعا قويا لصلابتها وعنفها ، وشدتها التى كانت تفوق فى معظم الأحيان شدة الرجال.

منذ البداية لم تسمح امى لأحد أن يتدخل فى تربيتنا وكانت محاولة جريئة منها لتعودنا غياب الاب . وكما ذكرت كان والدى له نشاط فى تجارة القطن وليست هذه فقط وانما يتاجر فى الفحم والالبان شركة مع ابن عم له وقد قيل لى أنه كان يتاجر فى عدة اشياء أخرى ، بمعنى أن المنزل الذى كنا نسكن فيه كان منزلنا ، وملكنا ومازال هذا المنزل قائما حتى اليوم فى شارع البحر فى زفتى ، وكان هذا من أكبر البيوت التى كانت موجودة فى هذا الوقت ، وكان فى هذا الزمن معنى أن يكون المنزل ثلاثة أو أربعة طوابق ، معنى هذا أن يطلق اسم العائلة التى تملكه على الشارع كله ، وقد كان الحال معنا هكذا حيث كان شارعنا يطلق عليه اسم عائلتنا ، وعلاوة على هذا ترك والدى بعد رحيله مبلغا كبيرا من المال حيث اشترينا عقارا آخر فى القاهرة وواحدا ثالثا فى كفر قريب منا اسمه كفر عنان . أى أنه كان لنا بعض الاملاك علاوة على ما كانت تمتلكه والدتى من أراض ورثتها عن أبيها وبعض أراض اشتراها أبى من ورثة جدى لأمى فى مدينة صفط زريق .. وكنا نقضى أجازاتنا فى بلدة أمى السالفة الذكر ونزور خلال هذه الاجازات اقاربها وخالاتها وعماتها وكانت جدتى تصحبنا فى مثل هذه الرحلات . مما سبق يتضح اننا عشنا حياة ميسورة وكنا نتمتع بموارد ثابتة أى أننا لم نكن فقراء ولا اغنياء فكنا نستطيع شراء مانحتاجه ، بمعنى انه لم تصادفنا مشاكل بالمعنى المتعارف عليه .

ولم افتقد القدوة الصالحة فى هذه الفترة ، حيث كانت أمى قدوة صالحة

وبعدها دخل حياتنا عام ١٩٣٩ زوج اختي الأول ، الذى كان مهندسا فى السكة الحديد ، وبعدها عام ١٩٤٠ تزوجت اختي الأخرى من مهندس آخر فى ذات الهيئة ، وقد وصل الى عدة مناصب مثل رئيس حركة وهو الآن يحتل منصبا كبيرا ، واختى الثالثة تزوجت فى زفتى بعد سابقتيها مباشرة ولاشك أنه كان لدخول هؤلاء الرجال الثلاثة حياتنا دخل كبير فى اقتدائى بهم وباخلاقهم الصالحة .

* * * *

فكان زوج اختي الأول هاويا للتدريس علاوة على عمله كمهندس فكان يتابعنى باستمرار فى دراستى وهو الاستاذ محمد حلمى عفيفى ، والثانى المهندس محمد منير رفعت وقد خرج للمعاش على درجة كبير مهندسين ومازال على قيد الحياة وكان له أكبر الأثر فى مسيرة حياتى . أما الأخت الثالثة فقد تزوجت تاجرا من زفتى وهو الحاج أحمد العقباوى وهو من أسرة كبيرة ، ومن كبار تجار المدينة وله اسم معروف .. وبناء على هذا كان لى بدلا من القدوة الصالحة عدة أشخاص صالحين كانوا جميعا قدوة وهاديا لى فى درب الحياة الطويل . فنهم من كان مهتما بالقراءة ومن كان مهتما بالتدريس ومنهم من كان يهتم بعمله الخاص وكنت أتردد على متجر زوج أختى الحاج أحمد واجلس معه وارى كيف يتعامل مع الناس لدرجة أنى تمنيت فى مرحلة من حياتى أن أكون تاجرا أو مهندسا كازواج أخواتى . وقد كنت متأثرا جدا بالعملية التنظيمية المعقدة المتعلقة بالقطارات وكانت ارثا انجليزيا صرفا . وفى هذه المرحلة كان الانجليز مسيطرين على كل شيء ، وهذا كل ما أذكره عن الاستعمار الانجليزى . فقد كان الرجل الانجليزى الموجود فى كل محطة القطار هو المتحكم فى كل شيء ، وأذكر على وجه التحديد أنهم عندما كانوا يشحنون البطاطس من كفر الزيات توقف كل القطارات ويصبح هذا الانجليزى حاكما بأمره والكل خاضع له ، ومن هنا بدأ شعورى بالاستعمار وكراهيتى له وشعرت أنهم متحكمون فى المواصلات وجميع وسائل الاتصال لأن السكة الحديد

والتليفونات كانا خاضعين لجهاز واحد يحكمه الانجليز.. وقد ترك هذا فى نفسى آثارا فبدأت أتطبع بطباع معينة وأكتسبت بعض المهارات وكان هذا اكتسابا طبيعيا فتعلمت كيف تكون المعاملة والتنظيم والتخطيط ..

* * * *

شيئان على وجه التحديد فى هذه المرحلة كنت متأثرا بهما :

الأول : كما قلت التنظيم والتخطيط والشبكة الكبيرة المسماه بالسكك الحديدية .. وعرفت قدر دور عامل السيمافور أو عامل المزلقان لأنى كنت أتواجد مع زوج اختى وهو يحقق فى الحوادث المتعلقة بالقطارات وتعلمت منه كيف يستنبط من خلال استجوابه اين الخطأ بالضبط .. فقد كان دقيقا جدا فى عدالته ..

الثانى : الحرب العالمية الثانية حيث كنا نعيش كالقشة فى مهب الريح فعندما كانت تهب غارة كانت أمى تجهز شنطة لكل واحد منا فيها ملابسه وعليها اسمه وعنوانه وعنوان أقاربه بالقاهرة احتياطيا لأن يتوه من واحد فيتعرف على عنوانه بسهولة فقد كانت الفترة مؤثرة وتعلمت فيها كيف ينتظر الانسان موته بين آن وآخر. وكان ضمن الأشياء الأساسية التى نأخذها ونرحل عن منزلنا اثناء الغارة ماكينة الخياطة حتى تكون موردا للرزق وكى لايتشرد أفراد الأسرة. وقد كنا نقضى وقت الغارة على بساط نفرشه على شط النيل حتى تنتهى الغارة بعيدا عن المبانى.

وقد عرضت علينا الهجرة من زفتى لأنها كانت مسرحا لعمليات حربية كثيرة وقد أخذنا بهذا العرض وهجرنا زفتى على مضض وكان هذا على ماأذكر سنة ١٩٤٢. وغادرنا زفتى للقاهرة وكان يوم وداع زفتى يوما قاسيا على النفس وكنت فى هذه الفترة قد بدأت أعى معنى النازية وهتلر والحرب ولكننى كنت استغرب دخولنا طرف فى هذه الحرب .. وكان عمى يرسم لنا خريطة يوميا و يقول لنا هنا تحرك الجيش النازى وهنا تحرك روميل أى أنه كان يحكى لنا تفاصيل المعارك الحربية الدائرة وقد كان هو يسمع هذه

التفاصيل من الراديو وكان يستعين على هذا بالأطلس الذى كانوا يسلمونه لنا فى المدارس .. وقد كان هذا العم وأولاده مثقفين ثقافة سياسية تصل الى درجة الالمام بكل شيء . وبناء على هذا كان عمي يشرح باسهاب دون أن يخشى الا نفهم .

* * * *

نزحنا الى القاهرة وسكنا فى شارع فى العباسية اسمه شارع السماع وكنا نقطن فى شقة بالدور الأرضى ، وبعد ذلك نقلنا الى شقة فى شارع ولى العهد وقد كنت أحس أننى لا أجد نفسى فى هذه المدينة الكبيرة التى لم اعتدها ، والتحقت بمدرسة كانت دون المستوى لذا لا أذكر اسمها وكل ماأذكره عنها أنى حفظت فيها القرآن الكريم وانهم كانوا يضربوننى على عدم الحفظ . ولم أمكث فيها سوى شهر واحد لشدة الضرب الذى ضربته فيها وانتقلت منها الى مدرسة التربية النظامية وقد كانت أفضل من الأولى كثيرا . وقد كانوا فى الصباح يفتشون عن لمنديل والأظافر ثم الملابس الداخلية التى كانت تتعرض لتفتيش دقيق وأى واحد منا كان يخالف القواعد فى أى شيء من الثلاثة السابقة بأن كانت أظافره طويلة أو اى شيء من هذا القبيل كان يضرب ضربا مبرحا على اصابعه وقد مكثت فى هذه المدرسة سنة كاملة .

مرت علينا فى القاهرة ستة شهور ولما نستطع بعد أن نعايش هذا المجتمع القاهرى الغريب عنا ، لم يعلق بذهنى منها سوى المدرسة النظامية ، ودقة المواعيد ومحافظة من فيها من مدرسين على نظافة تلاميذها وكيف كنت أسير اليها صباحا دون أدنى عيب فى هيئتى وكانت هذه المدرسة ممهدة للمرحلة الابتدائية أى أنها مثل الحضانة الآن أو « الروضة » ــ كما يسمونها ــ وقد كانوا يعلموننا فيها القراءة والمطالعة والكتابة ..

بناء على ما قررت من عدم قدرتنا على معايشة مجتمع القاهرة قررت والدتى العودة الى بيتنا ، الذى لم يصب بسوء نتيجة الحرب ، وعندما عدنا التحقت بمدرسة زفتى الابتدائية .وكان ناظرها الاستاذ الدولتلى ، الذى ما زلت أذكره

حتى الآن ، فقد كان قوى الشخصية ، ومازلت احتفظ من أيام هذه المدرسة بأصدقاء كثيرين مثل عبدالفتاح الراعي وعبدالعزيز جبر المحامي ومجدى كشك وعزت شرف الدين وخيرى شرف الدين ومختار الزنفلي .. اصدقاء كثيرون كانوا زملائي في هذه المدرسة وكان هناك أيضا ابن عمى مصطفى محمد مصطفى وكان لي أخ أكبر منى في الثانوى ملتحقا بمدرسة كشك الثانوية وكان له صديق اسمه أمين سامى الغمراوى وقد كانا يمثلان بالنسبة لي بؤرة اهتمام حيث كنت أتابع نشاطاتهما المختلفة حيث كان لهما اهتمامات متعددة بالسياسة والثقافة والأدب والرياضة وكانا يقومان برحلات على دراجتيهما . وكانت مدرسة أخى ـ مدرسة كشك الثانوية ـ تقوم بمظاهرات مناوئة للاحتلال ومازلت اذكرها جيدا ولكن وقتها كنت لا اعرف ماوراء هذه المظاهرات من أسباب ... وكنت أتطلع الى أخى وزميله على أنهما زعماء .

* * * *

ومما أذكره أيضا أننا بالرغم من كوننا في الابتدائي الا أن المدرسة كان لها نشاط كبير في كل النواحي الرياضية والخطابة وكان رائد جمعية الخطابة مدرس اللغة العربية وقد دعاني الى أن أنضم الى جماعة الخطابة ودخلتها بالفعل وكان بجوار هذه الجماعة جماعة لكل هواية .. الرسم ... الرحلات .. التمثيل ... الى آخر هذه الأشياء ، وقد أخذنى مدرس اللغة العربية عضوا في جماعة الخطابة نظرا لتفوقي في الانشاء ، حيث كنت احصل على الدرجة النهائية في الانشاء وغالبا ماكان الاستاذ يكتب لي تعليقا بعد كل موضوع اكتبه .. وقد كنت متفوقا في اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا ، اعني انني كنت أحب كل مايتعلق بالمواد الأدبية وقد كنت أحب الى جانبها الدراسات العلمية أيضا وكل مافيها من اكتشافات كالطبيعة والكيمياء وغيرهما ، أما المادة التي كنت أبغضها أشد البغض فهي الرياضة حيث كان مدرسها قاسيا جدا وكان معنى أن تخطىء خطأ بسيطا أن تأخذ صفرا وتضرب ضربا مبرحا وكان أكثر مايضايقنى فيه أن كان (يعبط) من يخطىء و يضربه بالخيزرانة . وقد وصلت الى درجة انه عندما

يكون عندي حصة رياضة لا أنام ليلتها أبدا . وكان هذا الاستاذ حينما يضربني لا يؤلمني ضربه بقدر ماتؤلمني كرامتي واهانتها أمام الفصل .

وكان المدرسون مقدرين لهذا الشيء فهم يعلمون عني انني مجتهد مواظب ، مدرستي مقدسة ، مواعيدي مقدسة ، وكانوا يتعجبون من مدرس الرياضة أيما عجب . وأول ماتعلمت احترام المواعيد ، تعلمته من زفتى الابتدائية ، وكنت باستمرار اعمل حسابا لاساتذتي خاصة ان ما كان يحدث في المدرسة ينقل الى أهل المنزل في المساء كاملا .

كما قلت كانت جمعية الخطابة من الجمعيات التي اعتز بها وكنت سعيدا جدا فيها . فقد كنت اقف وأخطب في المناسبات التي تحتفل بها المدرسة مثل المولد النبوي وكنت في مثل هذه المناسبات القي ابياتا من الشعر مازلت احفظها حتى الآن ، وقد كنت قارئا جيدا للشعر ..

* * * *

وقد كنت في هذه الفترة مشتركا في القسم المخصوص الرياضي وكنت العب على الحصان والعقلة والمتوازيين وكنت أمارس هذه الرياضة بشكل دائم نظرا لعدم وجود حمامات سباحة أو أي شيء خارج المدرسة ، هذا علاوة على رياضة كل ابناء سني حتى الآن وهي (الكرة الشراب) وفي السنة الثالثة الابتدائية دخلت فريق الكشافة ، فتأثرت به جدا بصفات الكشافة وهي ان أكون مستعدا .. متعاونا .. مترابطا .. صاحب مبادىء ، وتعلمت فيها كيفية اقامة الخيام وأشياء أخرى كثيرة جدا مازلت أجيدها حتى الآن ..

* * * *

وفي هذه الفترة كان لرمضان طابع مميز في زفتى ، وبشكل عام لرمضان طابع مميز في الريف المصري ككل ، كما ان له اثرا في كل نفس مسلمة ، فانتظار المدفع ، والثلج الذي كان يعتبر أهم شيء في رمضان ، وكنت أقف في الطابور

نصرانيه وكان لرمضان ريح جميل يلف شمائل بلدتنا كلها مازلت اشمه حتى الآن ..

* * * *

كانت زفتى مجتمعا آخر مختلفا حيث كان منزلنا عبارة عن ثمانية شقق ، نحن نشغل الدور الأول . وكان ساكنوه غرباء جدا فقد كان اليونانيون والروماn يملأون مصر بشكل عام وكانوا منتشرين جدا وانا مازلت اذكرهم وأذكر فعل اسمائهم فى نفسى وما كانت تثيره من عجب (ببليدس ، ينى ، خرلمبو ، جورج) ، وكنت فى هذه المرحلة اختلط بابنائهم وكان بعضهم

يسكن منزلنا وفى المنزل المجاور لنا (منزل شرف الدين) وكان هناك ناد يسمى نادى الأروام والبقالة التى كنا نتعامل معها كان اسمها «نجلة» وبائع السجاير اسمه «كرياكو» والفرن الأفرنجى يمتلكه اجانب أيضا . وكان المجتمع يحتم علينا الاختلاط بهؤلاء جميعا . وكان أكثر مايثير الدهشة هو كيف ترك هؤلاء بلادهم وهاجروا ليتعايشوا معنا فى المجتمع المصرى ؟ ! وكان هذا الوضع يحتم أن نأخذ منهم بعض العادات و يأخذون منا هم بعض العادات . وكانت عاداتهم غريبة علينا فقد كانوا يخرجون للصيد وهذا شيء لم نألفه وكانوا يدعوننا لذلك حتى عاداتهم داخل مساكنهم اخذنا منها بعض الشيء . وكان هناك سؤال يتردد دائما بينى و بين نفسى : لماذا ترك هؤلاء أوطانهم ؟ ! رغم انهم كانوا ناجحين ومسيطرين على سوق المال والتجارة .

كل هذا كان مثار اسئلة كثيرة لأخى الأكبر (يكبرنى بسبع سنوات) ولوالدتى التى كانت تقول لى أن البلد مستعمرة انجليزية أى أن بلدنا ليست ملكا لنا ولو كان الأمر بيدنا لتبدل الحال ولما تحكم هؤلاء فى زمام التجارة مما يجعلهم متحكمين فى مقدرات الشعب المصرى كله .

* * * *

ترك التواجد اليونانى الرومى فى نفسى شيئين مازلت اذكرهما . الاحتقار اذ

سمعت أن واحدا منهم اعتدى على خادمة ريفية ساذجة . وكان هذا باعثا لى على احتقار هذا الجنس اللعين . وتخيلت ما وصلنا اليه من مهانة على ايدى هؤلاء الاشرار.

ثانى شىء اننا كنا فى العيد نخبز دائما الكعك وفى احدى المرات تأخرت (الصاجات) وذهبت لأسأل عنها فوجدت (ينى) صاحب الفرن يغازل فلاحة بطريقة قبيئة رغم رفض الفلاحة لما يدعوها له وحدثت مشادة بينى وبينه فقد كنت جريئا منذ صغرى ولما عاتبته بان عليه شىء من خجل .. هذان الحدثان تركا فى نفسى انطباعا سيئا عن هؤلاء الاغراب .

وبمناسبة الحديث عن الخجل والجرأة ، أنا لم أكن خجولا الا فى المدرسة فقط مع المدرسين بالذات ، فقد كانت المدرسة عندى محرابا مقدسا أما خارج المدرسة فقد كنت جريئا أقول رأيى أمام الكبار ولا أهاب شيئا . حتى فى بعض الأحايين عندما يقال لى اسكت ولا تتكلم كنت استمر فى حديثى مادمت مقتنعا بأنى غير مخطىء . فحينما كان يحدث شىء لا يعجبنى كنت أتدخل فورا . وبناء على ذلك نهرت صاحب الفرن عما يفعله ..

وكان لاحتلال الأجانب لبلدتنا تأثير سيء جدا على نفسى حيث كانوا يمتلكون ناديا ضخما كان له شهرته فى الريف وكانوا مسيطرين على كل شىء. رغم أنه كان فيهم طيبون كثيرون كساكنى منزلنا الذين كنت اتعامل معهم لكن كانت امى وعمى يحرصان على الا اكتسب منهم أى عادات غريبة على مجتمعنا . وكانا يحرصان الا اقضى مع أولادهم وقتا طويلا فى اللعب حتى لا أتطبع بطباعهم غير المناسبة لعاداتنا وتقاليدنا ، وكان محرما على اخواتى البنات أن يتعاملن مع زميلاتهن مع انهن كن فى مدرسة الفرير (الراهبات) لكن فى البيت منع اختلاطهن مع قريناتهن الروميات اللاتى يزاملنهن فى المدرسة .

وبدأت وأنا فى الصف الثالث الابتدائى أنا وعبد العزيز جبر وعزت خير الله وبعض من الزملاء نقلد هؤلاء الأجانب فى بعض افعالهم للأسف ..

وفى هذه الفترة بدأنا نسمع عن الأحزاب وكنا من المتأثرين جدا بمصطفى كامل ودوره ، وزعامته وخطبه وشعاراته التى كان يرفعها « مصر فوق الجميع » .. « لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس » .. كانت هذه الشعارات تؤثر فى احساسنا بدرجة كبيرة جدا .

وبدأنا نشكل فرعا للحزب الوطنى من أنفسنا وأخذنا نفكر فى شىء نفعله لهذا الحزب وكنا نفعل هذه الأشياء تقليدا للكبار لا أكثر ولا أقل . وكان عبد العزيز جبر انشطنا فى هذا العمل الحزبى الصغير لدرجة أننا فكرنا ونحن فى هذه السن الصغيرة أن نشكل لجنة للحزب الوطنى فى زفتى تابعة للمدرسة هذا كان سنة ١٩٤٣ . وكان كل واحد منا يدفع عشرة قروش وكان هذا مبلغا كبيرا فى ذلك الوقت لأن مصروفنا كان تعريفة وهذا يعنى أنه يمكن لنا أن نشترى سندويتشا بمليمين وكيس لب بمليم ونشترى «خساية» بباقى التعريفة .

وبدأنا نوفر من مصروفنا لندفع ايجار الحجرة التى أجرناها لتكون مقرا للحزب فى زفتى وكنا نشترى بعض الكتب لنزود بها مقر الحزب وكان عبد العزيز جبر يحضر لنا نشرات الحزب الوطنى وللآن لا اعلم من أين كان يحضرها . وكثيرا ما كنا نتلعثم فى قراءة هذ النشرات ..

وفى هذه الآونة كانت توجد لجنة أكبر للحزب الوطنى فى ميت غمر وأذكر أنهم اجتمعوا فى زفتى وأن الاستاذ على منصور المحامى حضر لنا ومعه ماهر محمد على وكان طالبا فى الجامعة وهذه كانت بداية فتح آفاق العمل السياسى أمامى ..

* * * *

وكان فى منازلنا مايشبه حظر تجول ، فأقصى ميعاد للتواجد خارج المنزل الساعة ٨,٣٠ مساء وحينما كان يعلن عن نشرة الأخبار وواحد منا خارج المنزل كان يضرب (علقة) ساخنة عند عودته لأنه تأخر عن الثامنة والنصف .. وكانت أمى حازمة جدا فى هذا الأمر بالذات ولكن جدتى كان فيها شىء من الحنان .

فكانت تدارى اخطاءنا فكانت أمى تضرب وهى تلاقى وكأنها عملية مخططة بينهما . .

ولما وصلت الى الابتدائية فى مدرسة زفتى انتقل أخى الأكبر الى الجامعة وكان علينا أن ننتقل الى القاهرة التى كنا نملك منزلا فيها فى شارع رمسيس وكان والدى قد اشتراه قبلما يتوفى وانتقلنا الى ٣٤٧ فى شارع رمسيس عنواننا الجديد وهو العنوان الذى أسكن فيه حتى الآن . . وعندما استقرت الأسرة فى القاهرة نقلونى لمدرسة امبابة الابتدائية بمعنى انى حصلت على الابتدائية من القاهرة وليس من زفتى لأننا انتقلنا للقاهرة قبيل الامتحان بشهرين .

وكان لى اخت تقطن امبابة فعشت معها كى أكون قريبا من المدرسة وكنت أذهب الى الأسرة فى العباسية يومى الخميس والجمعة من كل اسبوع لاقضيها مع الاسرة وكنت استقل ترام ٣٣ ثم أعود مساء الجمعة لأختى حتى استعد للمدرسة صباح السبت . وظللت على هذا الحال ثلاثة اشهر كانوا باقين على الامتحان . وكنت فى هذه الفترة معتمدا على نفسى فى كل شىء . فكان مهما حصولى على مجموع عال كما كان مهما أن احقق ذاتى فى هذا المجتمع الجديد . فنسيت اللعب وبعدت عن أمى وأخوتى وجدتى الذين تربيت معهم قابلت مدرسين مختلفين ومدرسة كبيرة جدا وكان اصدقائى فى هذه المدرسة الدكتور صلاح عبدالقادر وكيل وزارة الصحة حاليا وأخيه عبدالمجيد عبدالقادر وكان لهما أخ صيدلى تزوج من اختى الرابعة وكان هذا سنة ٤٤ ــ ١٩٤٥ . وقد اصبح زوج اختى هذا استاذا بالجامعة ثم مديرا لشركة سيد للأدوية وقد توفى صغير السن لأنه كان مريضا بالقلب .

* * * *

المهم عايشت مجتمع القاهرة بظروفه الاجتماعية وكانت أول صدمة لى فى حصة العربى حينما قال مدرس العربى (لما نشوف الزفتاوى ده اللى جاى يحول آخر السنة ما كان راح فى أى داهية بعيدة عننا) وأول مابدأت اقرأ كما أمرنى ، فوجىء الاستاذ اننى تلميذ ممتاز وقال لى « انضم الى جمعية الخطابة معنا » وكان

هـنـاك جـاعة للصحافة انضممت لها ايضا .. وكونت صداقات مع ابناء فصلى . وكـان مـدرس الأحـيـاء قاسيا قسوة غير عادية فعندما يأخذ أحدنا ٨ من ١٠ كان يشده على الأرض ويمده على قدميه . وأذكر أنى أخذت ٦ من ١٠ واراد أن يضربني ٢٠ عصا على قدمى فوجدت نفسى اعدو باقصى طاقتى الى باب المدرسة ولم أتوقف حتى وصلت المنزل . وذهب معى زوج اختى فى اليوم التالى وعنف الاستاذ على ما كان يريد أن يفعله بى و بعدها اهملنى الاستاذ وكان لا يسألنى عن أى شىء وكأننى غير موجود . وحاولت أن أثبت وجودى معه بفهمى للمادة ..

وفى الثلاثة اشهر التى قضيتها عند اختى بدأ الجانب الدينى يقوى فى حياتى بشكل كبير فقد كان صديق زوج اختى الحاج أحمد العقباوى مدرس لغة عربية ودين فى مدرسة أخرى وكان شيخا من أفاضل المشايخ وكان هو والد زوج اختى وزوج اختى مكونين جمعية اسمها «جمعية الأحباب» وهى ما زالت موجودة حتى الآن وكانت جمعية لتحفيظ القرآن واقام الصلاة وكنا نذهب أنا وصلاح ومجموعة أخرى لنسمع الدرس ونؤدى الصلاة .. وكان لهذا أكبر أثر فى تقوية الوازع الدينى بداخلى فبعدها ظللت حتى الآن متمسكا بالصلاة والصوم .

****

دخلت الامتحان وحصلت على مجموع كبير وعدت لحياة الأسرة مرة أخرى وتركت منزل أختى وسبب عودتى للأسرة ذعرا كبيرا حيث تغير النظام اليومى الذى تعودت عليه فى منزل أختى .

المهم التحقت بمدرسة الحسينية الثانوية لأنها كانت ملحقة بمدرسة فؤاد الأول ، فكنا نقضى سنة أوسنتين فى الحسينية و بعدها ننتقل الى فؤاد الأول وكان هذا سنة ١٩٤٥ تقريبا وفى هذه الفترة كاد نجم الحرب أن يأفل واوشكت على الانتهاء و بدأت الامور تهدأ مرة أخرى ، وشهدت هذه الفترة عدة اضرابات فى المناسبات الوطنية مثل ذكرى وعد بلفور وغيرها من المناسبات . واستمر نشاطى كما هو فى الثانوى حيث

واصلت اشتراكى فى القسم المخصوص و برزت كعضو فى جماعة الخطابة والجماعة الأدبية وجماعة الشعر وكل الأنشطة الثقافية بشكل عام .

هذه المرحلة من أكثف المراحل احداثا فى حياتى حيث عايشت فيها مجتمعا جديدا وكونت صداقات جديدة ، واذكر أننى فى بداية هذه المرحلة كنت مصابا بالصمت الناتج عن عدم القدرة على معايشة هذا المجتمع الغريب عن الجو الذى تربيت فيه . ولقد أصابنى حزن كبير لانتقالنا من زفتى لافتقادى النيل الجميل والاصدقاء الأول والوفاء والاخلاص الذى عشته فى زفتى وكان لخالى الأستاذ محمد صفوت الألفى أكبر الأثر فى اعتيادى على هذا المجتمع الجديد . فقد كان من الشخصيات التى تأثرت بها جدا وقد كان واسع الاطلاع مثقفا متفتحا متطورا . وكان فى مرتبة والدى علاوة على أننى سميه .

وكانت ــ فى هذه المرحلة ــ تقع على مسئوليات كثيرة حيث كان أخى الأكبر مهتما بالجامعة وعلاوة على أنى كنت أكثر جرأة منه ــ فكان على أن اكتب ايصالات بيوتنا واراجع حسابات الايراد واحصل الايجارات من السكان وهذا جعلنى ارى من يتهرب منى ومن يقابلنى مقابلة سيئة . المهم أنى بدأت اتحمل مسئوليات كبارا فكنت علاوة على ماسبق أقوم بشراء حاجيات المنزل وقد كانت هذه الأشياء لها أشخاص يقومون بها أيام كنا فى زفتى وكان هذا سببا فى تعاملى المباشر مع الناس وتعرفى على طبائعهم .

وقد احسست فى هذه المرحلة بنوع من التهيب وعدم الاقدام لست ادرى سببه هل هو الخوف ؟ أم عدم اعتياد على المجتمع الجديد ؟ فكنت فى بداية وجودى فى القاهرة سلبيا ، لكننى كنت استوعب كل مايدور حولى . وبعد فترة وجدت نفسى مندمجا بشكل طبيعى مع هذا المجتمع بعد أن اعتدته . وأصبح لى صداقات كثيرة .

* * * *

وفى القاهرة عايشت الأحزاب وبدأت اتفهم طبيعتها على التحديد وأنا فى

الصف الثانى الثانوى ودعيت لحضور اجتماع فى حزب مصر الفتاة مع اننى لم اكن عضوا فى الحزب الا اننى ذهبت لاجتماعاته أكثر من مرة.. ثم احجمت عن حضور اجتماعات هذا الحزب لأننى كنت متعلقا بالحزب الوطنى ، وعاد دور عبد العزيز جبر مرة أخرى فى حياتى حيث ذكرنى طيفه بالحزب الوطنى وانتمائى اليه وتذكرت حماسه لهذا الحزب ، فعدت مرة أخرى اتردد على الحزب الوطنى ، وهجرت حزب مصر الفتاة ولا استطيع أن اسمى هذا انضماما للحزب الوطنى وانما هو نوع من التعاطف والحب لهذا الحزب فقط .

وعندما انتقلت للصف الثالث الثانوى سمعت أول ماسمعت عن الشيوعية حيث كان لنا زميل يقولون عنه أنه شيوعى يعقد اجتماعات أو شىء من هذا القبيل ، وكنت أرى اشخاصا يهجمون على الشيوعيين فأتساءل من هؤلاء ؟ فيقال لى أنهم الأخوان المسلمون . وبدأت الم ببعض الشىء عن الشيوعية وقد كانت فى هذه المرحلة شيئا خطيرا جدا .

وفى أحد الأيام وجدت بعض الزملاء يقولون «نحن ذاهبون لسماع الشيخ حسن البنا » وذهبت معهم سيرا على الأقدام . وقد كان السير على الأقدام فى الحقيقة أمرا طبيعيا ، حيث كانت القاهرة هادئة غير مزدحمة . وكانت منطقة العباسية منطقة زراعية وكان هناك ترعة نصطاد منها السمك فى مايشبه الرحلة كان هذا عام ٤٥ ــ ٤٧ . المهم حضرت لكى استمع للشيخ حسن البنا . وكان يجتاحنى شعور بوجوب معرفة كل شىء وكان حب الاستطلاع يصرخ فى أعماقى كى أعرف كل شىء عن مجتمعى الجديد برغم عدم انتمائى لأى اتجاه سياسى فى هذه الفترة .

فى الصف الرابع الثانوى بدأت مرحلة فلسطين سنة ١٩٤٨ وكنت قد بدأت أخرج فى المظاهرات من عام ١٩٤٧ حيث كنت خطيبا مسموعا نظرا لتمرسى فى جماعة الخطابة منذ المرحلة الابتدائية ورشحنى هذا أن أكون خطيب مدرستى الحسينية وفؤاد الأول وجعلنى هذا فى دائرة الضوء نوعا ما . وكل هذا بالطبع يحدث دون علم أهل المنزل لأننا كنا نهتف بسقوط الملك . ومازلت الى الآن

أذكر مقاطع من الخطب التى كنت ألقيها وأذكر عندما تشكلت حكومة الائتلاف بين السعديين والاحرار الدستوريين ألقيت خطبة ساقونى بعدها الى قسم الوايلى وضربت هناك ضربا مبرحا وأخذوا يسألوننى عما قلته فكان ردى أن حكومتكم حكومة واهية تقف على ساقين خشبيتين نخرهما السوس رجل الأحرار الدستوريين ورجل السعديين » .

وكنت من الذين تصدوا للاستعمار فى هذه الفترة ـ الاستعمار بكل اشكاله ـ الانجليزى فى مصر واليهودى فى فلسطين وكنت أقوم بجمع التبرعات للفلسطينيين المنكوبين قبل دخول الحرب . وفكرت فى التطوع ابان حرب ١٩٤٨ لكنهم رفضونى لست أدرى لماذا ؟ ربما اتصلوا بخالي وتمكن هو باتصالاته من منعى عما كنت ارغب فيه .

* * * *

وبدأت افكار واضحة تتبلور فى مخيلتى أولها أن هناك ملكا فاسدا يحكم بلادنا وثانيها أن هذا الشعب حقه مهضوم وأن هناك طبقة من الباشوات تتحكم وتملك كل شيء ، والشعب لا يملك شيئا ، ووضح فى ذهني أننا لسنا الا قطعا مثل قطع الشطرنج يحركها الاحتلال والقصر والاثنان فاسدان .

وكان أول دخولى جامعة القاهرة متوجها إليها مع المظاهرات الطلابية ومازلت أذكر أننى عصرت عصرا من الزحام الشديد عند دخولى الجامعة فى مظاهرة لأول مرة وكان هذا عام ٤٧ أو ٤٨ .

وقد عايشت حادث كوبرى الجامعة عام ٤٦ أو ٤٧ وفى هذا اليوم خرجنا بمظاهرة من مدرسة فؤاد الأول حاملين علم مصر سيرا على الأقدام حتى وصلنا للترام ثم ركبناه للجامعة وكان زعيم الطلبة يومها مصطفى مؤمن وكان يخطب فينا فيلهب حماسنا لكنى لم اذهب بعدها مع المظاهرة التى توجهت الى كوبرى الجامعة .. وكان فيها أخى كمال الشريف وقد أصيب اصابة بالغة فى هذه

لمظاهرة ويعود الينا في المساء وقد شجت رأسه وقد كان صاحب نشاط سياسي كبير وكان كله حماس ووطنية .

أريد أن أقول أن فترة الدراسة الثانوية شكلت فكرى بشكل عام وتبلورت فيها حقيقة اتجاهاتي وميولى وتعرفت على أوضاع بلدى كاملة وتعرفت على المناخ السياسي الذى تحياه البلد .

ومن خلال اصدقائي تعرفت بمصر الفتاة وكنت معجبا بزعيمها أحمد حسين والتقيت به مع مجموعة من الشباب . وقابلت ايضا عبد الرحمن الرافعي وصبرى أبوالمجد وعلى منصور. لكن ارتباطاتي بالحزب الوطنى كانت أقوى من كل ارتباطاتي بالأحزاب الأخرى وكان يشوبها شيء عظيم من التعاطف والاعجاب بالزعيم مصطفى كامل ورفيق كفاحه محمد فريد . وكانت هذه الفترة كثيفة الاحداث جدا . ولم تكن الانتماءات فى هذا العصر حزبية بقدر ما كانت وطنية .

بالرغم من كل ما كنت افعله من مظاهرات وجمع تبرعات و بيع طوابع فى الترام لصالح القضية الفلسطينية الا اننى كنت منتظما فى دراستى جدا ، ولا أذكر اننى تركت مدرستى يوما واحدا أو تخلفت عنها لأى سبب فقد كانت المدرسة شيئا مقدسا والاستماع الى الدرس هو الأساس لأننى كنت أكثر استيعابا حينما اسمع لشرح المدرس وكان المنزل هو لحل الواجبات فقط وكانت كراساتى وكتبى نظيفة دائما . وكنت لا أستطيع قراءة أى كتاب غير نظيف والى الآن هذا طبيعى .

وكانت والدتى لا تتوقع نجاحى ابدا نظرا لنظافة كتبى التى تبدو كأنما لم تستعمل قط . وفى آخر العام كنت دائما احمل لها بشرى نجاحى وكنت دائما من الخمسة الاوائل .

حينما وصلت الى الثقافة كنت اعتمد على آخر شهر فى الدراسة أغادر فيه القاهرة الى زفتى واعكف على المذاكرة لأننى فى القاهرة مشغول باصدقائى

و يضيع مني وقت كبير في شراء حاجيات المنزل وعند عودتي للامتحان كنت أعود ــ بحمد الله ــ مستوعبا كل دروسي . وفي التوجيهية كان على الاختيار بين العلمي والأدبي وكان أخي ملتحقا بالقسم العلمي ودخل كلية العلوم وكانوا في المنزل يريدون أن يلتحق بكلية الطب الا أنه لم يحصل على المجموع المناسب وبالضغط دخل كلية العلوم ورسب في أول عام وثاني عام وحول الى كلية التجارة . وعند اختياري بين العلمي والأدبي أيضا مورست على نفسي الضغوط لكي التحق بالقسم العلمي برغم أن ميولي كانت ادبية أحب الجغرافيا التي كانت تستهويني جدا ، والتاريخ وكنت آخذ لفافات الأشياء التي كنت اشتريها واقرأها والى الآن هذه هوايتي وكثيرا ماسألتني زوجتي عما اقرأه في هذه القصاصات . لكنها لذة قراءة القديم كانت تستحوذ علي ، وكنت في هذا الموقف اما أن أرضي أمي أو أكون ابنا عاقا فدخلت القسم العلمي بناء على رغبة والدتي . بالرغم من أن هذا القسم لا يوافق ميولي .

وواجهت عدة صعوبات في هذا القسم خاصة من الكيمياء والتي كانت غاية في الصعوبة وكنت لا أحب الاستعانة بالكتب الخارجية وكنت أشتريها بناء على أوامر المدرسين لكني لا استعملها ابدا لأني كنت أتوه بين أسلوبها وأسلوب الكتاب المدرسي ــ وكان عبء الكيمياء والطبيعة والاحياء كبيرا علي جدا ــ علاوة على الرياضة التي كانت ثلاثة فروع ــ ووقعت في مأزق حرج وأخذت أقارن نفسي بآخرين هل هم أحسن مني ؟ وصممت على النجاح ، وكانت الأحوال في هذا العام ١٩٤٨ غير مستقرة .. مظاهرات تهتف بسقوط وعد بلفور والحرب والتطوع الى آخر هذه الأشياء التي كان للطلبة دور كبير فيها وفي تحريك الحركة الوطنية . وبرغم كل هذا نجحت وحصلت على مجموع يؤهلني لدخول كلية الطب أو اى كلية أريدها .

ووقفت اختار طريقي ووجدت السياسة تسري في دمي فشققت عصا العصيان على المنزل واعلنت أني سألتحق بكلية الحقوق وسحبت أوراقي من كلية الطب حيث كانت كلية الحقوق في هذا العصر تقبل القسم العلمي علاوة على أنها كلية المشتغلين بالسياسة .

وبمناسبة الحديث عن التوجيهية احب أن أقول أني نجحت فيها في الدور الثاني حيث أتى لي زميل اسمه عطية محمد علي ليلة امتحان الكيمياء وطلب مني أن اشرحها له لأنه غير فاهم لأي شيء فيها وسهرت معه اشرح له الكيمياء حتى الخامسة صباحا ودخلت الامتحان وكان آخر يوم وذهبت للإمتحان في غاية التعب فنمت في اللجنة حوالي نصف الساعة وعندما ايقظني المراقب أخذت اكتب لدرجة أني طلبت ورقة اضافية ولكني لم استطع أن أجمع أي شيء ابدا وكانت النتيجة أني دخلت الدور الثاني ونجحت بـ ٦١,٥٪ وكان هذا المجموع في ذلك الوقت من أكبر المجاميع التي يمكن أن يحصل عليها طالب .

المهم أني قررت أن ادخل كلية الحقوق وقدمت أوراقي فيها والتحقت بها وأول ماشجعني على الالتحاق بهذه الكلية بعض أصدقاء كانوا أعضاء في الحزب الوطني وكانت هذه الفترة التي التحقت فيها بالجامعة حاسمة في تاريخ مصر وكان لنا نشاط كبير في الجامعة .

وكانت هذه الفترة تعتبر فترة تعبئة ضد الملك وقد كان الشعب كله ثائرا على النظام الفاسد الذي يحكمه وظهرت صحيفة «الشعب» تحمل مقالا لأحمد حسين بعنوان «رعاياك يا مولاي» وعبرت هذه المقالة عن الاستياء الذي يجتاح صفوف الشعب وقد اثرت فينا كشباب احداث هذه الفترة بشكل كبير وواسع وعميق .

وهناك موقف حدث لي أنا بالذات لابد أن اقصه الا وهو أننا — كما قلت — كنا نقطن شارع رمسيس وكان الملك يمر من هذا الشارع كثيرا وحينما كان يمر من عندنا كنت تحس أن الحياة كلها متوقفة الا موكب الملك الذي يتسم بالعظمة والابهة . وكان يركب سيارة حمراء . وفي يوم من الأيام كان سكران وهو يقود سيارته فاصطدم بجزيرة كانت موجودة في الشارع وقرروا بعد هذه الحادثة أن ينتزعوا الجزيرة كلها من وسط الشارع مما عرض حياتنا كلها للخطر . وفي يوم من الأيام كان موكب الملك يمر ووقفت أنا وأختي وابنتها الصغيرة لنرى الموكب وفوجئنا بالبنت الصغيرة تترك يد أمها وتعدو عابرة الطريق وكان موكب الملك على وشك المرور والشارع خال تماما . وإذا بالسيارة التي تتقدم الموكب تصدمها

وتسير وكأن شيئا لم يكن وصرخ فى اعماقى احساس بالمهانة زلزل اعماقى كلها.. وأحسست بأنى صاحب أرض ليست ملكا لى وأن كرامتى تمتهن بشكل لا يعد له السحل ولا التنكيل.. أحسست أنه لاقيمة لأى مصرى وانما القيمة كل القيمة للملك وحاشيته.

وكانت تصل الينا اخبار غريبة عن هذا الملك الغاشم وقوته غير الطبيعية، ووزعت علينا المنشورات وأذكر أن حزب مصر الفتاة والحزب الوطنى فى هذا الوقت كانا يشكلان جبهة تحد ضد كل المفاسد الموجودة فى المجتمع. وكانت الأحزاب كلها متقاربة عدا حزب الوفد الذى كان شبه معزول. وكان الشباب فى هذا العصر تقريبا مجتمعا على آراء واحدة حول سياسة وطنه.

* * * *

وقد كنا نكتب المنشورات ونجتمع فى منزل احد الطلبة فى العباسية الشرقية لنسخها ونناقش أوضاع الوطن المتردية. وكانت أغلب موضوعات هذه المنشورات ضد الملك وجرائم الملك. وكنا نوزعها فى الهزيع الأخير من الليل على صناديق البوستة ونلصقها على الجدران بالنشا وخاصة جدران مدبح الانجليز بالظاهر لأنها كانت منطقة هادئة جدا فى المساء وكنا نوزعها أيضا على راكبى الترام وماتبقى كنا نرميه خبط عشواء ليلتقطه الناس. وكنا نقوم بكل هذا بعيدا عن أى تنظيم حيث كان يجمعنا حب الوطن ولا شىء سواه. ودافعنا الوحيد هومحاولة استعادة حق هذا الوطن الذى كان مسلوبا.

وقد صار الشعور بأن الملك فاسد يقينا بعد حرب ١٩٤٨ وفضيحة الاسلحة الفاسدة وبعد هزيمتنا سنة ١٩٤٨ أصبح هناك تمزق حقيقى كنا نعانى منه اشد المعاناة. وكانت كل مظاهرة تختم «بعلقة» حيث يطيح فينا الجنود بعصيهم يضربوننا بلا هوادة ولا رحمة برغم ذلك ظل عزمنا شديدا لاينثنى ولا تقوى أى ريح على تغيير اتجاهه.. وكان تصميمنا على اشعال جذوة الثورة فى الشعب عظيما لا يخبو.

وكنت أحب النحاس باشا جدا لدرجة أنى تسلقت مرة احدى شجرات

جـاردنسيتـي لـكـي اراه ساعة يظهر فى الميدان حيث لا تجد مكانا للوقوف جزعت سـاقـي فى هذه المرة وكان النحاس رمزا للحركة الوطنية فى هذه المساحة الزمنية التى نحكى عنها .

نعود لـكـلـيـة الحقوق التى كانت دراستها جذابة جدا بالنسبة لى فى أوائل عـهـدنـا بـالـكلية انا وزملائى درسنا مدخل القانون و بدأنا فى دراسة الشر يعة ولم تـكـن دراستـهـا صـعـبـة على وكان فى هذه المرحلة التواجد النسائى داخل الجامعة قـلـيـلا جـدا مما كان يثير بعض المشادات بين الزملاء . ولكنها كانت فى مجموعها طر يفة يستعذبها الانسان عندما يستعيدها .

وكان هناك سؤال يلح على دائما .. ماذا بعد الحقوق ؟ ماذا استطيع أن أقدمه لمصر ؟ هـل مجـرد دخـولـى هـذه الكلية سوف يحدث التغيير المطلوب للبلد ؟ الف سؤال طرحت نفسها على ولم اجد لها اجابة ....

كـانـت الأحزاب فى هذه الفترة تسعى سعيا دءو با لضم شباب الجامعات لها مما دفـعـنـا الى الحوار مع الأحزاب وخاصة مصر الفتاة والحزب الوطنى . و بدأت حركة الضباط الأحرار تظهر وتأخذ دورها فى الحركة الوطنية .

واعـلـنـت الـكـلـيـة الحـربـيـة فى نهاية عام ١٩٤٩ عن قبول دفعة جديدة .. و وجـدت بـداخـلـى رغبة جامحة للانضمام لهذه الكلية التى سرعان ما أجابت عن اسئلتى السابقة .. ولكن كيف أواجه اسرتى . لقد سمحت لى الأسرة أن أترك تخصصى العلمى وأذهب لكلية الحقوق فكيف السبيل الى الحربية والحرب بينى و بينهم بسبب هذا لما تهدأ بعد ؟ !! وكانت المأساة التى تغلبت على واعتملت فى نفسى عدة أفكار .

* * * *

انـهـا الحـربـيـة مـصـنـع الرجال القادر ين على تخليص البلاد مما هى فيه من فساد .

الحـزب الـوطـنـى وحـزب مصر الـفـتـاة يـشجعان رجالها على الانضمام لهذه الكلية .

لقد حرمت من التطوع عام ١٩٤٨ واتيحت لى الفرصة مرة أخرى كى احارب من اجل فلسطين.

القضايا المسيطرة على الشباب .. كيف تضيع الأرض ؟ وكيف نستردها ؟

افكار كثيرة كانت كلها تدفعنى دفعا لدخول الحربية ..

* * * *

وفى هذه الأثناء كان أمين سامى الغمراوى الضابط المتخرج فى الكلية الحربية عام ٤٨ قد تقدم لخطبة أختى وقد كان صديقا لأخى الأكبر. وكان ميعاد تخرجه هو نفس ميعاد حرب الاسلحة الفاسدة. وقد اخذنى معه فى رحلة كانت شائقة جدا وكان مكانها العريش. ومكثت معه ومع زملائه الضباط فى معسكر بالعريش قرابة أسبوع قابلت فيه ضباط على مستوى راق جدا من الحوار السياسى وكان حوارهم منصبا على حرب ١٩٤٨، وحصار الفالوجا وعطائهم فى هذه الحرب، وعما بذلوه هم وزملاؤهم، وعن عدم كفاية تدريب بعض الوحدات. وخلصوا من حديثهم الى انه لابد من وجود جيش قوى مدرب. ورأيت كيف يتعاملون بروح الأسرة الواحدة وشاهدت حياتهم الجادة المنضبطة وهذه الأشياء كانت من أساسيات حياتى العادية فلم أكن أحب التهريج أو الدعابات التى لاطائل من ورائها وكنت دائما احترم نفسى علاوة على أن حياتى الأسرية كانت قائمة على الاحترام المتبادل بينى وبين كل أفراد الأسرة بمعنى أننا كنا نعيش جوا من القيم المتأصلة فى جذور الشعب المصرى بعامته .. وقد جذبتنى هذه الجدية وهذا الانضباط الى حد كبير.

وبناء على كل العوامل السابقة التى ما كان لى أن اقاومها قررت الالتحاق بالكلية الحربية وأعلنتهم فى المنزل أن هذه هى الحياة التى تلائمنى وشجعنى على هذا زوج اختى أمين الغمراوى الذى صار بعد ذلك صديقا لى يستشيرنى وأستشيره وقد كان كاتبا له عدة مؤلفات مثل «الاكراد فى شمال العراق» و«اكره اسرائيل» وكتب أخرى كثيرة وقد كان أمين الغمراوى لى قدوة صالحة فى الحياة العسكرية.

وتقدمت للكلية الحربية بعد ٦ أشهر مكثتها فى كلية الحقوق ، وان عدنا للخلف قليلا فسنجد أن هذه كانت أمنيتى من أيام الثقافة حيث كانوا قد اعلنوا عن الثانوية العسكرية وتقدمت لها ولم اجتز الاختبارات المطلوبة حيث كنت أقصر من المطلوب لصغر سنى وحزنت جدا لأنهم رفضونى على نصف سنتيمتر. ولكننى عدت ورضيت بما قسمه الله لى وهذا هو طبعى دائما . علاوة على أنى حاولت التطوع سنة ١٩٤٨ بمعنى أن العملية العسكرية كانت تستهوينى جدا . وكانوا فى هذه المرحلة يطلبون أوراقا ما أنزل الله بها من سلطان ، مثل حجج البيوت لأن طالب الحربية لابد أن يكون صاحب أملاك ، وكانت مصروفات الحربية كثيرة جدا حوالى ٣٠٠ جنيه . المهم استوفيت جميع أوراقى وكان لابد من «الواسطة» .

* * * *

بحثت فى العائلة وكانت لى قريبة لوالدتى فى مرتبة خالتى متزوجة من رجل لست أذكر اسمه كاملا أذكر اسمه الأول فقط الاستاذ زكى وكان له ابن فى سنى كان زميلى . وقابلت الاستاذ زكى مصادفة فى شارع رمسيس فسلم على وسألنى عن أحوالى وقد كان أحد مدرسى فى المدرسة فأخبرته أننى تقدمت للكلية الحربية فسألنى عن «واسطتى» من هو؟ قلت ليس لى الا الله وحده علاوة على انى رياضى العب السيف والشيش وقد كنت ماهرا فى السلاح بشكل عام وكنت ملتحقا بنادى الأزبكية ـ نادى السيف زمان ـ وألعب على العقلة والمتوازيين . قال : يابنى لازم واسطة ووجه نظرى لعطا الله باشا رئيس اركان حرب القوات المسلحة الذى كان يسكن جوارنا فى شارع رمسيس على بعد ٤ منازل منا . وقال لى : أنا ذاهب اليه لأوصيه بابنى خيرا فقلت له : الا يمكن أن انضم لهذه الوصية فوافق الرجل وكان رجلا طيبا .. وطلعنا للباشا ولم نجده . فلم أيأس وذهبت له وحدى ففتحت لى سيدة فاضلة هى ابنة عطا الله باشا فقلت لها أنا فلان قريب الاستاذ زكى وحكيت لها موضوعى وأخبرتها عن الزيارة التى قمنا بها أنا والأستاذ زكى ولم نجدهم ففهمت الموضوع وقالت لى أن الأستاذ زكى

كتب اسمى ضمن الأسماء الموصى عليها وقالت « انا حاقول لمايا اخلص » . وكان عطا الله باشا هو الذى يقوم بشكف الهيئة علينا . المهم دخلت الكشف الطبى ونجحت بعد أن رسبت فى أول مرة فى الطول ايضا لكنهم عندما عدوا أنى صغير السن قالوا « لسة حايطول » ونجحونى هذه المرة برغم قصرى وجاء يوم كشف الهيئة وارتديت البدلة والطربوش واطمأننت على كل شىء تماما قبل مغادرتى المنزل وكانت الاسئلة فى كشف الهيئة عن الاسم بمعنى أنه كان كشفا شكليا . معروف عنه أن من له « واسطة » سينجح وقال لى عطا الله باشا « كويس ياصفوت شد حيلك . مبروك » ونجحت واستدعونى بعدها بأيام واستعرضنا حيدر باشا مر علينا بعصاه ليرانا واحدا واحدا . .

وحدد لنا ميعاد دخول الكلية الحربية ، واستعددت للالتحاق بهذا المجال الجديد وقصيت شعرى « زيرو » كما كانوا يطلبون وجهزت نفسى وتوكلت على الله ووصلنى أخى فى الصباح كما لو كنت ذاهبا لسفر بعيد وكان هذا أواخر عام ١٩٤٩ فى نوفمبر بالتحديد . .

* * * *

ولنا لقاء آخر فى كتاب « ديوان الوزارة » مع صفوت الشريف ، منذ أن دخل الحربية الى أن أصبح وزيرا للاعلام .

فالى هذا الموعد ان شاء الله .

فهـــرس

اسم الفصل

رقم الصفحة

المقدمة ٥

حافظ بدوى .. كفاح تحدى الزمن ! ٩

وزير التعذيب ٣٣

الدكتوره حكمت .. اول وزيرة ٤٥

الوزير نبوى ٥٩

طياء .. وزير الندوة ٧٥

امسكو الخشب الدكتور حاتم و٣٣ سنة ثورة ٨٧

ابو النور ومديرية التحرير ٩٥

سلطان .. ملك الكهرباء ١٠٥

المهندس ابو العطا .. تحدى الرئيس ١٢١

ناظر الانفتاح .. والسياحة ١٣١

الدكتور رياض ابو التليفونات ١٤١

ممدوح سالم .. والاخلاص بعينه ١٥٥

تحت الاضواء ١٦٣

ابن العمدة الذى اصبح وزيرا للداخلية ١٧٣

واصبح الطبيب رئيسا للوزراء ١٨٥

صفوت الشريف والطريق الى القمة ١٩٥

رقم الإيداع
٨٥/٥٥٧٦

المطبعة الفنية


كتب
جديدة
للمؤلف
النزوة المشهورة
العصابة
المشقوق سعد جلاد وآخرون
مواجهة
ديوان الوزارة
لبنان لعبة الأصابع الخفية
فضح التاريخ
خبايا وأسرار عالم الصحافة
الأحزاب و الصحافة الحزبية
حكايتي مع الجن والعفاريت
حكام مصر بين الحقيقة والأكاذيب


بسم الله الرحمن الرحيم
المصرف الإسلامي الدولي
للاستثمار والتنمية
لا ربا ولا ريبة ... حلال طيب
يقدم كافة الخدمات المصرفية والمالية والتجارية .
يساعد في دراسة المشروعات الاستثمارية على أسس اقتصادية
تمويل المشروعات بأساليب المشاركة المتناقصة وسلات التمويل
تمويل العمليات بالمشاركة والمضاربة والمرابحة والمتاجرة
يقوم بأعمال أمناء الاستثمار
يقدم كافة المساعدات والخدمات لغير القادرين عن طريق صندوق الزكاة
يقبل مدخرات الإخوة العرب والمصريين العاملين بالخارج
يقوم المصرف بكل هذه الخدمات بواسطة مجموعة من الخبراء المتخصصين يستقبلونك ويسهلون لك كل الإجراءات
وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية
المركز الرئيسي : ٤ شارع عدى - ميدان المساحة/الدقي/الجيزة
تلكس : ٩٤٢٤٨ IBID UN
الفرع الرئيسي : ت ٤٨٩٩٧٣/٤٨٩٩٧٤/٤٨٩٩٧٥/٤٨٩٩٨٠ تلغرافيا: إسلامصرف/القاهرة
فرع المنيا : ١٩ شارع الجمهورية تليفون : ٣٤٧٩ /٧٧٣١١٣ مباشر
فرع طنطا : ش عمر بن عبد العزيز متفرع من ش الجيش ت ٢٨٢٨٢ مباشر تلكس ٢٣٦٠٦ IBID UN
فرع معروف : ٧ ش معروف/القاهرة ت ٧٤٨٠٤٩ /٧٥٧١١٢ تلكس ٩٤١٩٠ IBID UN
فرع المنصورة : تقاطع المديرية القديمة/ناصية ش جوهر الصقلي ت ٢٨٥٤٣/٢٨٥٤٢/٢٨٥٤١
قريبا بإذن الله
فرع العريش ت ٩٦/٩٥/٤٠٩٩٤
فرع الأزهر/فرع مصر الجديدة/فرع طنطا
الإسكندرية/المحلة الكبرى/شبين الكوم/
الثمن ٢٥٠ قرشا
طبع بالمطبعة الفنية ت : ٩١١٨٦٢